

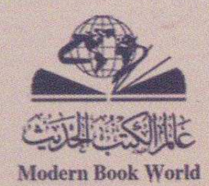
غريب القرآن

والشّعر الجاهلي



الأستاذ

محمد سعيد القطاري




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



غريب القرآن

والشّعر الجاهلي

الأستاذ

محمد سعيد القطاري

دبلوم القانون الدولي

عالم الكتب الحديث

Modern Book World

اربد – الأردن

2011

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

2011-1432

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2010/6/1994)

225

القطاري، محمد سعيد

غريب القرآن والشعر الجاهلي / محمد سعيد القطاري. - إربد: عالم الكتب الحديث، 2010.

( ) ص

ر. إ.: (2010/6/1994)

الواصفات: / ألفاظ القرآن // الشعر العربي // العصر الحديث /

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ردمك: ISBN 978-9957-70-361-5



عالم الكتب الحديث

Modern Book World

للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة- بجانب البنك الإسلامي

تلفون: (27272272- 00962) خلوي: 5264363/ 079 فاكس: 27269909- 00962

صندوق البريد: (3469) الرمزي البريدي: (21110)

البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com

almalktob@hotmail.com

almalktob@gmail.com

الموقع الالكتروني: www.almalkotob.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- عمان- تلفون: 5264363/ 079

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: 471357 1 00961 فاكس: 475905 1 00961



فهرس المحتويات غريب القران

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

[سورة الإسراء: 88]



تراثنا الشّعري

في تخوم الصّحراء المترهّلة، بين الصّخب الهادر مثل الإعصار، والصّمت الغامر مثل وجه يطفح بؤسه، وعقل يغري باللاّمنتهي، وقلب حائر متلظّ..يكفر كفر ظلوم، جهول، غشمْشم... ويطمئنّ اطمئنان صوفيّ يخلع عباءة النّفاق، مخلدا إلى جبروت الوعي..الانكسار لديه توبة..والانتصار ولادة القوّة التي لا تؤمن بالتردّي، أو حالة من حالات الوجد الذي يحتوي الذّات والعالم في آن واحد.

وفي تلك الأرض الشاحبة ألوانها، التي فصدت عرق الزّمان فأعطاها هيبة، وجمالا، وشموخا، وخيالا...وأرسل عليها سدولا مثل عظمة البحر واللّيل، فجرى على اللسان تدفّق وفي عمق العاطفة والشعور وحي كالبسمة الرّقراقة، والعبوس الشرس، أيّان النّخوة، والفرح والتّرح..بين الدّماء المطلولة والأعراس الموعودة.

في غمرة ذلك كلّه، رانت حالة نفسيّة غريبة أنتجت قولا غريبا ثقيلا ليس له مثيل من جودة ونباهة وصفاء وعذوبة...سواء عند اللذّة أو إبّان الألم والاضطراب، والقلق والحبور وفي الافتتان الحسّي والتّيهان الرّوحي...

إنّه كلام العرب القديم في روعته وجماله وجلاله، ومنطقه وثرائه...في ارتجافات أحرفه وصلصلة مقاطعه..في بيانه وفصاحته وبلاغته وروجه السّكرى نشوة أو حزنا.

وإذن، أفلا يكون ذلك مظهرا من مظاهر العبقريّة الفريدة التي ألهمت العرب قولا لا يدركه الفناء، ولا تعكّره روائح الابتذال، ليظلّ

على الدّهر مجيدا، وليصبح الشّعر لنا مرجعا وموئلا ومعينا.. وورْدًا تموت اللّغة بموته؟!

أفلا يكون لنا ذلك مددا نلجأ إليه استنجادا به، كلّما دعتنا الحاجة إلى الاصطفاف أمام روائعه كي نتقصّى معنى، ونستلهم سرّا من أسرار لسان الأعاريب فيحصل الإدارك والذّوق، واللذّة، فنّا ولفظا، ونعرف كيف نفسّر شيئا بشيء، ونأتي بقول على قول فيزكو الزّاد ونسمو... ونضيف ونتصرّف، خائضين موجا لا يفتر، ملتقطين أصدافا لا تبور.

إنّ القول الزّخار عند العرب قد طما شعرا يكتسح المكان، ويصفع صلف الزّمان، إلى جانب خطبة ومثل وسمر ليلي.

"فالشّعر إذا، في حدّ ذاته، ليس بالمعاني ولا بالصّور، ولا بالتّراكيب اللّغويّة، ولا بالصّناعة العروضيّة، ولا بالموسيقى النظميّة..إنّما الشّعر كلّ هذا متوحّدا حتّى لا انفصام لأجزائه، راقيا بمجمله إلى تلك الحالة الإلهاميّة السّامية التي حاولنا أن نقترب منها موقّتا بين ما يغرق فيه الشاعر من جوّ اهتزاز وارتجاف، وما تُتمْتمه شفتاه من كلمات ومقاطع تولد مجرى موصلا ينقل إلينا تيّار اهتزازه وارتجافه.

هذه الحالة الرّوحيّة الغريبة، بل هذه الرّوعة الناتجة منها، لا تُشرح ولا تُفهم، ولا يمكن أن تُدرَّس. لا يصل إليها قلم البياني، ولا يضبطها ميزان العروضي. يقصّر عن تحديدها قياس المناطقة، وتهزأ بحالات النّحويّين واللّغويّين. هي الرّوح التي لا تقع تحت مبضع الجرّاح ومشرط أستاذ التّشريح. إنّما يشعر ببعض مفاعيلها أولئك الذين اصطفتهم الحياة للتّمتّع بشيء من أسرارها الخالدة، فجعلتهم يقرأون

الشّعر "إنشاداً" فيتذوّقونه "شعراً" لا معاني منظومة، فيشعرون بجميع حواسّهم ويرتجفون متخدّرين بلذّة فنّيّة يَحَارُونَ في التّعبير عنها، فينسبونها طورا إلى الإلهام وتارة إلى "السّحر". وإذا بالشّاعر يسمو فوق البشر العاديّين، فيحتلّ مركزا رفيعا إلى جنب "الكاهن" و "المتنبّي" و "المأمور" و "المجنون" وإذا بالإلاهات والشّياطين يلهمون الشاعر، وقد رفعوه عن سائر الناس، ما يخلب به عقول أبناء النّاس[1].

تلك حالة ثقافية أدبيّة، روحيّة ومادّية، بثّها الأجداد فألهبت الجوانح، ثمّ اتّجه بَصَر القلب ونور العقل إليها فتجاوز روعة اللذّة الفنّيّة إلى فهم المعاني وتجاوزت التّفاعيل و موسيقاها إلى الصّناعة في مفهومها الشّامل لحسن الصّياغة والتّوافق الصّوتي وتساوق التّراكيب... ثمّ إلى المعاني التي تفيض بها الألفاظ والجمل والفكرة والغرض...وتشير إلى الحسّي والمجرّد..والرّوحي والمادّي..الخ.

"لذلك فإنّ دراسة التّراث القديم يؤثّر في الإرتقاء بلغتنا الأدبيّة والحفاظ على أصالتها، كما يؤدّي إلى استمرار إفادتنا من النتاج الفكري المكتوب بالعربيّة الفصحى في حياتنا المعاصرة.

و إهمال تراثنا الأدبي القديم يقطع صلتنا بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ويمكّن للّهجات العامية من النّموّ على حساب الفصحى ممّا يخلّف التّمزّق في الأمّة، لأنّ للّغة مكانة خطيرة في الوحدة الثقافية والهويّة الذّاتيّة.

---

(1) الشعر الجاهلي الروائع: 2/ 6 فؤاد أفرام البستاني – ط7-

وهنا تكمن أخطار الدّعوة إلى تغيير القواعد النّحويّة والصّرفية والبلاغيّة في دراسة العلوم الشرعيّة[1]...سيظهر القصور في فهم القديم، ثمّ الانقطاع النّهائي، بل الشكّ في ذلك كلّه لأنّه مبنيّ على الأصول القديمة، اعتبارا من بلاغة القرآن وإعجازه اللّغوي، إلى طرق استنباط الأحكام وفق قواعد "أصول الفقه" المبنيّة بصورة أساسيّة على قواعد اللّغة العربيّة وفهم أساليبها[2].

وقد تنبّه الباحثون في تالي الزّمان إلى ما تزخر به أشعار العرب من لغة قويمة ودلالة مضافين إلى ضوابط عقليّة كليّة تومئ إلى مسار فكري يتطوّر..وأيضا إلى ما أولاه الجاهليّون من قيمة كبرى للكلمة في خطابتهم وشعرهم الذي عقدوا لنقده الأسواق الأدبيّة العظيمة.. فانكبّوا على موروثهم يراجعونه مراجعة متأنّية، ويعودون حتّى إلى السّمر والخطابة يفحصونهما للمقارنة والاستدلال، ولاعتمادهما مرجعيّة لغويّة لا بدّ منها وإن اختلف تحديد المعنى في اللّفظة الواحدة بين عصرهم وعصرنا.

فلمّا نزل القرآن أصبح المسلمون في أمسّ الحاجة إلى التّحاور معها من جديد حتّى وإن لم تكن اللّغة موحّدة بين القبائل المختلفة كما ذكر الدكتور طه حسين وغيره إلاّ أنّ النظر فيها كان مفيدا جدّا، أو على

---

(1) وأيضا خطر الانحراف عن ربط اللّغة العربيّة بأصولها القديمة، والحفاظ على نموّ مفرداتها كإهمال الاشتقاق والتوليد لا سيّما وأنّ العربيّة معروفة بحيويّتها وقابليّتها للتحضّر والحياة الدّائمة والخصوبة..والقواميس التي بين أيدينا تدلّ على ذلك، من مثل (الصّحاح) للجوهري (ت: 393 هـ) و(لسان العرب) لابن منظور (ت: 711 هـ) و(تاج العروس) للزبيدي (ت: 1205 هـ) و(القاموس المحيط) للفيروز أباذي (ت: 816 هـ أو 817 هـ)– المؤلف–

(2) التّراث والمعاصرة: 75 – د/ أكرم ضياء العمري.

الأقلّ فيما تركته قبائل قريش التي نزل القرآن بلغتها، والتي لا غنى لمفسّري القرآن عنها حتّى اليوم.

"فالمذهب القديم، إذن، هو أن تكون اللّغة لا تزال لغة العرب في أصولها وفروعها، وأن تكون هذه الأسفار القديمة التي تحويها لا تزال حيّة، تنزل من كلّ زمن منزلة أمّة من العرب الفصحاء، وأن يكون الدّين العربي لا يزال هو، كأنّما نزل به الوحي أمس لا يفتننا فيه علم ولا رأي، وأن يأتي الحرص على اللّغة من جهة الحرص على الدّين إذ لا يزال منهما شيء قائم كالأساس والبناء لا منفعة فيهما معا إلاّ بقيامهما معا"[1].

إذن، هذا الفنّ الأدبي كان ضروريّا. أو قل إنّ لغة قريش كانت ضرورية لفهم الكثير من نصوص القرآن. فبالإضافة إلى نزول القرآن بلغتهم كانوا فصحاء وكانوا منفتحين على غيرهم بصورة مّا. كما كانت لهم الزّعامة على تلك المحافل الشعريّة الأدبيّة التي حكّمهم أهلها على ما ينشدون ويقولون. وقد كانوا هم أنفسهم يميلون إلى لغة قريش وينتخبون ألفاظهم منها إذعانا كي بفهمها الجميع.

وإذا قيل اليوم إنّ في شعر الجاهليّين قصورا عن وصف دقائق الشّعور أو غير ذلك ممّا يرومون من تشويه، فذلك لا يستقيم فيما نحن بصدده، لأنّ همّنا يقتصر فقط، على اللّغة المعوان ... ولأنّ فيما ذهب إليه هؤلاء مبالغة وتجنّ لقياسهم عصر الجاهليّة على العصر الحديث... ولأنّه إذا صحّ هذا، فما سبب ذلك التأثير البالغ حدّه حتّى كان الشاعر الجاهلي دليل قومه وخطيبهم، والمدافع عنهم لدى هجمات العدوّ اللّسانيّة، ينفث سحره، على قول بعض المستشرقين، حتّى في خيام كبار

---

(1) تحت راية القرآن: ص 11 – مصطفى صادق الرافعي – دار الكتب العلميّة – بيروت.

الأعداء فيرديهم، ويغمر بيانه نقائص الأصدقاء فيرفعهم[1]. وقد يجعل من المعايب محاسن كما فعل الحُطَيْئه ببني أنف النّاقة[2].

لذلك، فإننا بعد الذي ذكر، مطمئنّون إلى ما جاء على لسان الرّافعي:

"إنّ هذه العربيّة بنيت على أصل سحري يجعل شبابها خالدا عليها، فلا تهرم ولا تموت لأنّها اتّخذت من الأزل فلكا دائرا للنّيّريْن الأرضيين العظيمين، كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ومن ثمّ كانت قوّة عجيبة من الاستهواء كأنّها آخذة السّحر، لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو يدع"[3].

وكان الاستدلال بالأدب الجاهليّ ممثّلا في الشّعر خاصّة، وذلك ما نصبو إليه في هذا المقام. وهو ما نعتبره حقيقة ماثلة وليس عصبيّة.

فالقرآن نفسه – كمذهب أو كدين جديد – لم يُعنّا على فهم غريبه غير القديم من لغة الجاهليّين، لأنّهم مثل عرب صدر الإسلام "أبصر باللّغة وأقدر على تصريفها، وأعلم بحكمة الوضع فيها، وأحرص على وجوه الفائدة منها والانتفاع بها".

وهم الذين حفزوا من تلاهم على الإبداع في المعنى والتّخريج والفهم والتّأويل دون استعارة قلم دخيل يريق في قلوبهم سمّا..و وطّأوا لنا فصاحة القرآن وأدنوا إلينا فهمه، وبيّنوا تراكيب الألفاظ الصّانعة للمعنى، ودرّبونا على كلّ ذلك فنّا وأسلوبا قبل أن يتفلسف من يريد الظّهور تمويها، وقبل أن ينبت في أحشاء الطحالب موقف التّنطّع

---

(1) ماخوذ من كلام (CL. Huart, hist des arabes, 11-331).

(2) الشعر الجاهلي – الروائع 2/ 48 فؤاد أفرام البستاني.

(3) تحت راية القرآن: 26 – مصطفى صادق الرافعي.

Mobisme – محاولا إطفاء نور العربيّة الجاهليّـة بـزعم أعـشى، أنـه في الدّيجور مبصر، بيد أنّ قبضته لا تزال ماسكة بعكّـاز تبـصر بمـا لا تبـصر عيناه.

وممّا يؤيّد ذلك، ربّما، هو أنّ الفكر الإسلامي في انطلاقتـه الأولى قد دلّ علـى فهـم واع وبراعـة عقليّـة، وقـدرة علـى الـتّحكّم في الفهـم الصّائب..كما استطاع أن يبعث إلى الوجود بحركة بناء رائعة علـى أسـس متينة صلبة لم يزعزعها حتـى ذلـك الانفـصال أو شـبه الانفـصال الـذي حدث فيما بعد عندما راجت عوامل شتّى مثل التّقليد والتفلـسف وجـذّ الجذور وتعطيل الرّوافد...



موقفنا من التّراث الشّعري

لهذه الاعتبارات التي ذكرنا فأنا أمتدح أولئك القدامى الذين التفتوا إلى لغتهم في حاضرهم المطلّ عليهم، وفي ماضيهم الجاهلي الذي اختاروه ليشدّ أزرهم في معالجة الجديد المعجز.

فالتّراث ذاتنا القديمة التي تعيش فينا إلى اليوم إعصارا من الحبّ والتّقديس، وإحساسا بالمنعة والفخر لا حدّ لهما. ولولا محفوظنا من ذلك التّراث اللّغوي لأدقعنا، أو لذهبنا بين أضراس الحضارات الأخرى هباء..فالشّعر القديم وما يحفل به من ميزات الهويّة والخصوصيّة الثقافيّة هو جذور إنسانيّتنا ووجودنا وحياتنا الثقافية...وعدم الخضوع له والانصراف عنه بدعوى أنه انقضى هو الذي يكلّفنا كمدا وغربة، وينشر حولنا الظّلام.

"ومن الملاحظ في هذا الإطار – أنّ كلّ حركة نقديّة أو أدبيّة جديدة كانت تعود إلى التّراث الشّعري بوجه عام، والجاهلي بوجه خاصّ، كي تخضعه إلى تقنيات قراءاتها الجديدة وآلياتها التّفسيريّة الموازية، وذلك ابتداء من زمن الإحياء الذي راده محمود سامي البارودي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى زمن الحداثة التي رادها وأصبح علما عليها – أدونيس (علي أحمد سعيد) في النصف الأوّل من القرن العشرين، وهي في كلّ مرّة، كانت تتكرّر المحاولة التّجديديّة لرؤية الشعر القديم بعدسات الحركات الجديدة ومراياها واصطلاحاتها في الوقت نفسه"[1].

---

(1) غواية التّراث: 9 – د/ جابر عصفور.

إنّ هذا ينقلنا إلى صدر الإسلام عندما كان محاولو تفسير الغريب من القرآن يغنمون من أدبهم الأصيل ما يعوزهم من معاني الألفاظ التي يتوقّفون عندها، ويوظّفون لغة الشّاعر في خدمة الشّرح والتّفسير.

لقد كانت جهودهم تلك شجاعة، ونموذجا من نماذج الإنسان الواعي بما تمثله الدّلالة اللّغوية في لسان قومه من أهمّية لإنتاج كائن فرضه عليه كائن جديد قلب كيانه وجاده بقدرة عجيبة صمتتْ حيالها نبضته السّحريّة، وصفة الجودة التي كان يباهي بها ويحسبها غاية المجد التّعبيري.

وليس من الضّروري أن نجد لغرائب اللّفظ القرآني صورة طبق الأصل في الشّعر الجاهلي لنفسّر هذا بذاك، لكنّنا لفهم المعنى قد نعتمد الجذر أو الصّنو أو المشابه أو الصّفة الملازمة للنّموذج الأصلي. وقد نصرّف الأمر حسب وجوه الدّلالة التي ينطوي عليها المفسَّر والمفسَّر به.. فوجوه الدّلالة تمكّننا من الوعي بالمفارقة والمغايرة، والقياس والمطابقة، وتحسّس العلاقة بين ما نعرف وما لم نفطن له من قبل.

والتّعبير الجذري في المجتمع العربي الذي مثّله الانتقال من العهد الجاهلي إلى العهد الإسلامي قد غيّر الاتّجاهات الفكريّة والثقّافية، وبرزت لغة القرآن بروزها المعجز، فإذا هو أشبه بمن بعث لغة أرقى في لغة أدنى فتعدّدت اللّغات والأصوات وأشكال الإنتاج النثري، وأصبحت الحاجة إلى فهم أعمق مدعاة للفحص والتّفسير..واستدعاء لذلك الاتّجاه الرّوحي العقائدي والفكري ليلقي الأضواء الكاشفة على النّصّ الذي تكثّف حوله نشاط الفكر مؤصّلا الذّات العربيّة المسلمة...وداعيا إلى التّشبّث بالحضور الديني..وبات النصّ القرآني

يستقطب الجميع كمركزيّة ذات تأثير روحيّ لا يقهر، وتثقيفيّ، وتحديثيّ أيضا. وكانت الجماعات المجادلة والمستسلمة تعيش ذهنيةً جديدة تستمدّها من هذا الذي يمتلك القوّة المطلقة المهيمنة، والسّلطة الرّوحيّة التي حثّت على القيم الإنسانيّة والشّموخ.

ولمّا وجد النّاس أن أدوات الخطاب القرآني وغريبه على وجه الخصوص قد أصبحت تحدّيا كبيرا، مالوا إلى محاجّة الشّعر الجاهلي، وإلى السنّة النبويّة يستلهمونهما خالص المعاني فلا يصدرون عنهما إلاّ وقد فهموا.. بيد أنّ ذلك لا يكفي لأنّ شرح اللّفظة وحده لا يُعفي المفسّر من مؤونته وهو الباحث عن المعنى الأعمق والدّلالة اللّغويّة الأشمل سواء كانت دلالة مزدوجة أو عالقة بعدّة وجوه بما تنطوي عليه من سياقات.

والواقع أنّ اعتمادنا على الغريب في الشّعر الجاهلي لتفسير غريب القرآن هو – كما يبدو – مستند إلى ملموح مهمّ، هو أنّ المدرك من الدّلالة اللّغويّة للفظة الجاهلي يشكّل علاقة شعوريّة تبادليّة بين القائل والمقول لتصبح وحدة لا ينقص من قيمتها حائل مّا من تأويل وغيره. كما أنّ صراحة الشّعور لا يثقله حدس يصنع مسافة بين الشاعر ولسانه.

ومن ثمّ فاللّفظة موحية بمعناها مباشرة، مسعفة بما ننشده منها من دلالة مضمّنة، فكأنّها تحمل جديلة الضّوء في الكائن التّعبيري لتبوح بكلّ عناصر الصّورة التي ركّبها الذّهن في لفظة تتعايش ونسق الجملة والبيت الشّعري وتستعيذ بما ارتبطت به من سياق.

ولهذه الاعتبارات فلا مندوحة عن الشعر الجاهلي في مواجهة ما اعتاص علينا من لغة القرآن، لأنه كما قيل:

"وإذا أنا تركت الجملة القرآنية وعربيّتها وفصاحتها وسموّها وقيامها في تربية الملكة وإرهاف المنطق وحلّ الذّوق مقام نشأة خالصة في أفصح قبائل العرب وردّها تاريخنا القديم إلينا حتّى كأننا فيه، وصلتنا به حتى كأنّه فينا، وحفظها لنا منطق رسول الله ﷺ ومنطق الفصحاء من قومه حتّى لكأنّ ألستهم عند التّلاوة هي تدور في أفواهنا، وسلائقهم هي تقيمنا على أوزانها...إذا أنا فعلت ذلك ورضيته، أفتراني أتبع أسلوب التّرجمة في الجملة الإنجيليّة وأسفّ إلى هذه الرّطانة الأعجميّة المعرّبة..."[1].

والشّعر صناعة مثلما أنّ الكتابة صناعة، وله أدواته (وفيه النّمط الأعلى والأوسط وما دون ذلك) وليس لكلّ من هبّ أن يبدع فيه. لذلك كان اللّجوء إلى الفحول حتما لازما لا سيّما والقرآن بغريبه قد نزل بلغة قريش: الجامعة لبقيّة اللّغات العربيّة. وإذا كان بعض الغريب قد استغلق على القوم الفصحاء رغم ذلك، فذاك ضرب من ضروب الإعجاز الإلاهي، وتلك زعامة القرآن إذا شئت. وهم قد ذهبوا فيه أوّل الأمر مذاهب شتّى ليصرفوا النّاس عنه فعزوه إلى السّحر أو الكهانة أو الشّعر..لكنّهم خابوا.. ومن حكمة الله أن كان بلغة النبيّ وآله وقبيلته "ولو نزل بغير ما ألفه النّبيّ ﷺ من اللّغة القرشيّة وما اتّصل بها، كان ذلك مغمزا فيه، إذ لا تستقيم لهم المقابلة حينئذ بين القرآن وأساليبه وبين ما يؤثرونه من كلام النبيّ ﷺ، فيهون ذلك على قريش ثمّ على العرب فيجدون لكلّ قبيلة مذهبا من القول فيه فتنشقّ الكلمة ثمّ يصير الأمر من العصبيّة والمشاحنة والبغضاء إلى حال لا يلتئم عليها أبدا، ولو أنّ شاعرا من شعرائهم ظهر فيهم بدين خياليّ وأقامهم عليه، لكان من الرّجاء

(1) تحت راية القرآن: 22 – مصطفى صادق الرافعي.

والاحتمال أن يستجيبوا له دون صاحب القرآن الذي ينزل عليه بغير لغة قبيلته"[1].

وقد أتى القرآن العرب بأفصح ما انتهت إليه لغاتهم، ممثّلا في لغة قريش الجامعة لأبرع ما عرفوه من ملاءمة حرف لحرف، وتنغيم، ووضع تركيبي، وأسلوب بديع في صورة تأليفيّة محكمة.

وجمعت لغة قريش صفوة ما في اللّغات الأخرى. وتبلغ في القرآن – على ما ذكر – أربعين لغة عربيّة، مثل قريش، وكنانة، وجرهم، واليمن، وقيس عيلان وتميم وكندة وحمْير، وثقيف، وطيء، وحضرموت، وغسّان، وخزاعة، وأوس...الخ.

وانصهر ما وقع اصطفاؤه من هذه اللّغات في لغة قريش، فكوّنت ذلك البناء، القائمة أركانه على البيان والفصاحة والخلوص والدقّة والبلاغة...

ولّما كان القرآن بلغة قريش الجامعة لمنطق القوّة والخلود والاستهواء الفكري والذي جمع العرب ليكونوا في النّهاية وحدة، فقد جرى على أحرف مختلفات[2] نجم عنها علم القراءات. ويظهر ذلك في المدّ والقصر والفتح والإمالة والإظهار والإدغام والإشباع...الخ.

وكان لتلك اللّغات ظاهر، هو ظاهر لغة القرآن، وباطن انخذل عن باطن اللّغة القرآنيّة وانسحق، فكان الإعجاز. جاء في الأثر أنّ رسول الله عليه السّلام قال: "أُنزِل القرآن على سبعة أحرف، لكلّ منها ظهْر وبطْن، ولكلّ حرف حدّ...".

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة: 63 – مصطفى صادق الرافعي.

(2) فسّر اغلبهم الأحرف على أنها لغات من لغات قريش التي تختلف بها لهجات العرب.

ثمّ إنّ لكلّ لغة في امتزاجها بالقرآن حدّا يقف عنده أهلها، وهو الحدّ الذي تبتدئ منه الجنسيّة اللّغويّة، ولكلّ حدّ من هذه الحدود مطلع يصدر منه إلى مرتقى هذه الجنسيّة التي كان القرآن أخصّ مقوّماتها، وذلك في جملته إنّما هو الإعجاز كلّه، والهدى كله، والكمال كلّه[1].

لذلك فنحن إذ نركّز على اللّغة الممثّلة في الشّعر الجاهلي خاصّة وكلام العرب عامّة، فلاعتبارها(أي اللّغة) ميتافيزيقيا الإنسان، المشكّلة لروح الأمّة... والتي تشير بوضوح إلى درجة إحساس المجتمعات بالوجود وماهية الوجود.

فبالكلمة كان الوعي، وكان الوحي، وكان الفهم للوجود... لأنها صاحبة الدّلالة اللّغويّة للجانبين الرّوحي والمادّي.

والحسّ اللّغوي هو ضمير الفرد، وضمير الجماعة الدّالّ على شيء مّا له قيمة ومعنى.

من أجل ذلك كان استلهام التّراث أمرا ضرورياً، وفي مقدّمته تراثنا الشّعريّ الجاهلي، وعاء اللغة وسجلّ اللّحظات التّعبيريّة والذهنيّة، وصيرورة المجتمع، ورسالة الإنسان في الكون، والرّابطة الأشمل من روابط الدّم والنّسب بين القبائل العربيّة، والأكثر حسما في المنافرة والأحلاف والخصومة...

وفي هذا الشّعر الجاهلي ما يستحقّ الدّراسة المعمّقة إلى جانب القصّ والخطابة ... لمعرفة ما تنطوي عليه لغة العرب من أبعاد وتدقيقات وإشارات في جميع شؤون الحياة، واصطلاحات أيضا...ستصبح وسيلتنا والملاذ في شرح معاني غريب القرآن، كما أصبحت بمثابة الحلقات

---

(1) إعجاز القرآن: 69، 70 – مصطفى صادق الرّافعي.

الواصلة بين العهدين الجاهلي والإسلامي، بما تحمله من دلالة عن المكوّنات الثقافيّة الأولى ومدى انسجامها أو التحامها بما جدّ بعد ذلك، مثلما توحي بالتعاقب التّاريخي للّغة العربيّة، كاشفة عن أنماط تعبيريّة وفكريّة واكبت الثقافة والفنّ والعيش اليومي والحياة الاجتماعيّة...لجميع القبائل والبطون دون تحديد، تجنّبا لقصر الأمر على لغة قريش وحدها، وميلا إلى ما ذهب إليه الدكتور جواد علي ومن لفَّ لَفَّهُ من أنّ القرآن إنّما نزل بلسان عربيّ لا بلسان قريش فحسب كما ترى ذلك طائفة كبيرة من الباحثين.

وقد أورد المؤرّخ جواد علي رأيا أحسبه معقولا لتدعيم نظره، فقال[1]:

"...وفي تفسر الغريب والمشكل من القرآن بالشعر،وقول علماء التفسير إنّ اللفظة من ألفاظ قبائل أخرى غير قرشيّة، وفي استفهام رجال قريش، وفي جملتهم رجال كانوا من أقرب الناس إلى الرّسول مثل (أبي بكر) و(عمر) عن ألفاظ وردت في القرآن لم يعرفوا معناها، مثل (أبّاً)[2]، وفي رجوع (ابن عباس) إلى الأعراب يسألهم عن ألفاظ وردت في القرآن أشكل عليه فهم معناها، وفي اعتماده في تفسيره للقرآن على الشّعر، أقول في كل هذا وأمثاله دلالة واضحة على أنّ القرآن لم ينزل بلسان قريش، وإنّما نزل بلسان العرب، ولو كان قد نزل بلغة قريش، كان استشهاد العلماء بالشّعر وبلغات العرب في تفسير القرآن شيئا عبثا زائدا، وكان عليهم تفسيره وبيان معناه وتوضيحه بالاستشهاد بلغة قريش وحدها، لا

---

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 8/ 665 – د/ جواد علي.

(2) "وفاكهة وأبّاً سورة: عبس / 31، الإتقان:2/ 4.

بالشّعر الجاهلي الذي هو شعر العرب، وبكلام العرب. ولو رجعنا إلى كتب التّفسير والسّير، نجد أنّها قد فسّرت الغامض من ألفاظ القرآن بالشّعر".

وقد ضرب لذلك أمثلة عديدة..

"ولم يقف الاستشهاد بالشعر الجاهلي على النّاحية المذكورة وحدها، بل استعين به في تفسير وتعليل أمور أخرى وردتْ في القرآن أشكل فهمها على العلماء. من ذلك أوجه العربيّة وقواعد النّحو..."[1].

ولعلّك الآن قد عرفت لماذا كان موقفنا مؤيّدا بقوّة لتراثنا الشّعري. ولماذا نريد له النّماء ومزيد العناية به، حفاظا عليه من شرور الهدم التي تلاحقه. ففي بالي أنّنا لن نمتلك كلّ ذلك السّحر الذي ينبجس من أحرف كلمه، ونحن بعد، غرباء.. ولن نستطيع فتح نوافذ الحداثة على لغة تنبتّ عنها. إذ من العبث عزل الماضي ثمّ التطلّع إلى التّطوير والمنافسة ورؤية ما بعد الحداثة منطلقين من خيال حائر، أو لقيط لا يسمع الفجر نداءه.

أليس ذا، ما يرضاه العقل وتطمئنّ إليه النّفس؟!

ثمّ ألا ترى بما بيّنّا إجمالا أنّ للقرآن مزيّة كبرى على الشّعر الجاهلي، وقد ساعد على حفظه وجمعه لاحتياج العلماء إلى مادّته كوسيلة لفهم القرآن من ناحية، وتحصين اللّغة وضبط قواعدها من ناحية أخرى، وإكسابنا القدرة على التّأويل والتّوسّع والبحث في الغريب كالبحث في الإعراب والتّصريف...

---

(1) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 8/ 666 – د / جواد علي.

الشعر الجاهلي والغريب

ونحن حين نريد أن ننظر في الشّعر الجاهلي في عهد نضجه واستوائه على اعتباره ذخيرة نهل منها العرب فأعانتهم على الفهم عند نزول القرآن، كونها صورة نموذجية انتهى إليها في تلك الفترة الحاسمة، فإنّما نلتفت إلى خصائصه المعنويّة واللّفظيّة.

وواضح أنّ المعاني عندهم بسيطة صادقة لكن ليس فيها تلك الإرادة الفنّيّة التي تنأى بها عن رسم وثيقة تعبّر عن حياة..فالشّعر وجداني مطبوع ليس فيه تعقيد أو تخريج وتعليل. "إنّها معان واضحة بسيطة ليس فيها تكلّف ولا بعد، ولا إغراق في الخيال سواء حين يتحدّث (الشّاعر الجاهلي) عن أحاسيسه أو حين يصوّر ما حوله في الطّبيعة، فهو لا يعرف الغلوّ ولا المغالاة ولا المبالغة التي تخرج به عن الحدود المعتدلة"[1].

ومن هنا فنحن لا نجد في معناه ذلك النّور المنبثق من أحشاء اللّفظة دالاّ مهيمنا على ما تجيش به نفس القائل ممّا يذيقه المتأمّل فيه من صورة وإشارة وشيء بعيد المنال يراد، وكمون وراء اللّفظ يُعرَّى ليصبح زماما.

وهذا ما سلبه معنى وأبعاد غريب القرآن.

أمّا الخصائص اللّفظيّة، فكلّما تلفّتنا إليها عثرنا على فصاحة وصياغة تامّة، ولفظ صقيل مهذّب لولا أنّها قالب جميل لمضمون هزيل، وعبارة جزلة صارمة الضّبط.

---

(1) العصر الجاهلي: 219- د/ شوقي ضيف، طبعة دار المعارف مصر.

"فالتّراكيب تامّة ولها دائما رصيد من المدلولات تعبّر عنه، وهي في الأكثر مدلولات حسّيّة، والعبارة تستوفي أداء مدلولها، فلا قصور ولا عجز. وهذا الجانب في الشّعر الجاهلي يصوّر رقيّا لغويّا"[1].

وذلك الرّقيّ هو الذي كان المشكاة التي سلّط العرب أنوارها على لغة القرآن ليعرفوا بعض أسرارها. إلاّ أنّ هذا اللّفظ، فيه ما هو غريب – وتعني الغرابة هنا كلمة غير مألوفة أو مأنوسة بالنسبة لخطابنا اليوم، وقد انقطع ما بيننا وبينها من صِلة وليس ما يعنيه غريب القرآن.

على أنّ بعضها يصبح وحشيّا مستنكرا مثل ما جاء في شعر أمرئ القيس على الرّغم من أنه أسلم شعراء الجاهليّة لهجة وأبعدهم عن المعقّد المؤذي وذلك في مثل قوله:

وفرْعٍ يزين المتْن أسودَ فاحِم	أثيثٍ كقِنْو النّخلةِ المتعثْكِلِ
غدائرها مستشزرات إلى العُلاَ	تضِلّ العِقَاصُ في مُثنّى ومُرْسِلِ

يحدث هذا رغم متانة التّركيب وحسن الأداء الذي لا ينِدّ عن بليغ العربيّة وصحيح اللّغة وتجنّب الحشو المفسد.

وربّما قصدنا بذلك ما عناه الجرجاني بقوله: "هذا والمعقّد من الشّعر والكلام لم يُذمّ لأنّه ممّا تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة، بل لأنّ صاحبه يعثر فكرك، ويشيك[2] طريقك إلى المعنى ويوعر ذهنك نحوه، بل ربما قسّم فكرك وشعّب ظنّك حتّى لا تدري من أين تتوصل وكيف تطلب"[3].

---

(1) العصر الجاهلي: 226- د/ شوقي ضيف، طبعة دار المعارف مصر.

(2) يشيك: يجعل فيه الشّوك.

(3) أسرار البلاغة: 111- عبد القاهر الجرجاني.

ولبعض الجاهليّين شعر مستغْص عويص كأنّه قُدّ من صخر، منتقى اللّفظ، مجْبول على الشدّة إلى حدّ النّبوّ، ينسجونه نسجا متينا على السّجيّة والطّبع، فيأتي رغم جماله غريبا أو يأتي مستكرها غليظا. وذلك من مثل ما جاء في لامية الشّنفرى في قوله:

دعستُ على غطْشٍ وبَغْشٍ وصُحبتي ... سُعَارٌ وإرْزيز ووجْر وأفْكَلُ[1]

أو قول تأبّط شرّا:

وحَثْحَثْتُ مشْعوفَ النّجاءِ كأنّني ... هَجيف رأى قصْرا سِمالا وداجنا[2]
من الحصْر هزروفٌ كأنّ عُفَاءَه ... إذا استدْرج الفيْفاء مدّ المُغابنا[3]

فهذا إغراب وليس بالغريب المنشود، وهو الشديد الذي قد نلجأ إليه لتفسير لفظة بلفظة أو للاستدلال على عروبة الكلمة أو اللّهجة.

والغريب هو ذلك الذي سمعه أصحاب الرّسول من نبيّهم. وهو يسألهم عن سحابة نشأت: "كيف ترون قواعدها" "وكيف ترون رحاها" "وكيف ترون بواسقها" "وكيف ترون برقها، أوَمِيضا، أمْ خَفْيا، أم يشقّ شقّا" "وكيف ترون جَوْنها". ثمّ قال لهم عليه السّلام بعد أن أجابوه: "الحيا"[4].

---

(1) غطش: ظلمة – بغش: مطر خفيف – سُعار: حرّ في الجسم من شدّة الجوع – إرْزيز: بَرَد صغير – وجْر: خوف – أفكل: رعدة –

(2) حثحث: أسرع – مشعوف: مجنون، مذعور – النّجاء: الخلاص – الهجيف: الظّليم (ذكر النّعام) المسنّ – قصر: حبس – دِجان: غيم يلبس الأرض.

(3) الحصر: سرعة الجري – الهزروف: الظليم السريع الخفيف – العفاء: الغبار – الفيفاء: الصّحراء لا ماء فيها – المغابن: الآباط، بواطن الأفخاذ.

(4) قواعدها: أسافلها – رحاها: وسطها ومعظمها – بواسقها: ما علا منها وارتفع (والنّخل باسقاتٍ) – الوميض: اللمع الخفيّ – خفيا: يبرق برقا ضعيفا – جونها: أسودها – والجون من الأضداد يكون الأسود والأبيض – الحيا: الغيث والخصب جمع أحياء.

فلمّا أعجب الصّحابة بفصيحه الغريب، قالوا: يا رسول الله: ما رأينا الذي هو منك أفصح، قال: "وما يمنعني من ذلك فإنّما أُنزِل القرآن بلساني، لسانٍ عربيّ مبين"[1].

والغريب المنشود هو فيما رُوي من حديث رسول الله: "أحرّم ما بين لابتي[2] المدينة أن يُقطع عِضاهُها[3] أو يُقتَل صَيْدُها" و "المدينة خيْر لهم لو كانوا يعلمون لا يخرج منها أحد رغبة عنها إلاّ أبدل الله فيها مَن هو خير منه، ولا يصبِر أحد على لأوائها[4]. وجَهْدها إلاّ كنت شهيدا أو شفيعا يوم القيامة".

ففي هذا الحديث السّلاسة والبيان والدّقّة، ووضع الكلمة موضع الدّلالة النّافذة.

ومثل هذا قوله عليه السّلام: "أَلَمْ أُخْبَرْ أنّك تقوم اللّيل وتصوم النّهار" موجّها الخطاب إلى عبد الله بن عمرو؟

---

(1) الأمالي: 1/ 8 – أبو علي القالي – دار الآفاق – بيروت.

(2) اللاّبة واللُّوبة: الحَرّة، فمن قال: لابة قال في جمعها (لابٌ) ومن قال لُوبة قال في الجمع (لُوبٌ) قال سلامة بن جندل:

حتى تركنا وما تُثنى ظعائنُنا ... يأخُذْن بين سواد الخطّ فاللُّوَبِ

(3) العضاه: كلّ شجر له شوك يعظم مثل الطّلح. قال الرّاعي:

وخادَع الحَمْدَ أقوامٌ لهم وَرَق ... رَاحَ العِضَاهُ به والعِرْقُ مَدْخُولُ

(4) اللأواء: الشدّة. قال رؤبة: "لأواءَها والأزْلَ والمِظاظا".

الأزْل: الضّيق – المظاظ: المشارّة –

فلمّا أجابه: إنّي أفعل ذلك، قال: "إنّك إنْ فعلت ذلك هجمتْ[1] عيناك ونفِهتْ[2] نفسُك. إنّ لعيْنيْك حقّا. ولنفسك حقّا فقُمْ ونَـمْ وصُـمْ وأفْطِر"[3].

وجاء في معنى غريب الحديث قولهم: "هو ما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة عن الفهم لقلّة استعمالها، وهو فنّ مهمّ والخـوض فيه صعب، فليتحرّ خائضه، وكان السّلف يتثبّتـون فيـه اشـدّ تثبّـت وقـد أكثر العلماء التّصنيف فيه"[4][5].

كما قيل أيضا: "ويدخل في الغريب ما انفرد راوٍ بروايته أو بزيـادة في متنه أو إسناده.."[6] وليس هذا هو ما نعنيه.

---

(1) هجمت عينه وخَوصَتْ وقدحت. كلّ ذلك إذا غارت – وقال الأصمعي: حجّلتْ عينُه وهجمت: كلاهما غارت. وجاء حاجلةً عينُه، وأنشد.

واهْلَـكَ مُهْـرَ أبيـكِ الـدّوا	ءُ لـيس لـه مـن طعـام نـصيبُ
فتُـصبح حاجِلـةً عينُـهُ	لِحنْواسته وصـلاهُ غُيُـوبُ

قال أبو عبيدة : الحِنْو : ما انعطف من الشيء أي لحنواسته في صلاه غيوب لضعفه وهزاله. وصلاه: ما عن يمين الذنب ويساره. وقوله: مهر أبيك بكسر الكاف لأنّه يخاطب امرأة – وحاجلة من حجلت بالتخفيف. والأكثر حجّلتْ بالتّشديد فهي محجّلة.

(2) نَفِهَتْ: أعْيَتْ. وجمع النّافه، نُفّهٌ. قال رؤبة:

بـه تَمَطَّـت غـول كُـلّ مِيلَـهِ	بنـا حَـرَاجيجُ المهـاري النُّفَّـهِ

والمِيلَهُ: الذي يُوَلّهُ سالكَهُ. أي يُحيِّرُه.

(3) الأمالي: 1/ 9 ، 10 – القالي –

(4) تدريب الرّواي في شرح تقريب النّواوي – ص 420 للحافظ جلال الدّين السّيوطي.

(5) من العلماء الذين صنّفوا فيه: النّضر بن شميل وأبو عبيدة معمر بن المثنّى وابن قتيبة الدّينوري والخطّابي أبو سليمان.. وأيضا عبد الغفّار بن إسماعيل بن عبد الغفّار الفارسي من علماء العربيّة والتّاريخ والحديث من أهل نيسابور (ت: 529هـ).

(6) تدريب الرّاوي – ص 417 –

وفي هذا الصّدد، ومن تقليب وجوه البيان في قول الأعراب وغريب الحديث، والغريب من أقوال العرب كما سنرى، يحضرني قول الجرجاني الذي جاء في عصر تال، فيما يراه في نبيل الكلام وشريفه ممّا ينطبق جلّه على ما قيل:

"...وإنّها لصنعة تستدعي جودة القريحة والحذق الذي يلطف ويدقّ في أن يجمع أعناق المتنافرات المتباينات في رِبْقه[1] ويعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشُبْكة. وما شرفت صنعة، ولا ذكر بالفضيلة عمل إلاّ لأنهما تحتاجان من دقّة الفكر ولطف النّظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما ويحتكمان على من زاولهما والطالب لهما في هذا المعنى ما لا يحتكم ما عداهما، ولا يقتضيان ذلك إلاّ من جهة إيجاد الائتلاف في المختلفات.

وذلك بيّن فيما تراه من الصّناعات وسائر الأعمال التي تنسب إلى الدّقّة، فإنك تجد الصّورة العمولة فيها كلّما كانت أجزاؤها أشدّ اختلافا في الشّكل والهيئة ثمّ كان التّلاؤم بينها مع ذلك أتمّ، والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب والحذق لمصوّرها أوْجَب"[2].

وللتّمكين من المقارنة والمناظرة والتّمحيص، نعرض بعض نماذج من غريب أقوال العرب، عسانا نقترب من صورة الغريب الذي نسعى إلى تجليته وإبراز التباين الذي بينه وبين غريب القرآن أو الحديث الشريف، وصولا إلى إدراك ما نقصد من غريب القرآن في علوّه وعمق دلالته وبعده عن الوحشة والتأزّم اللّفظي ممّا نجد له وجها يلوح في أشعار العرب وأقوالهم.

---

(1) الرّبق: الحبل الذي تشدّ به البهيمة من عنقها.

(2) أسرار البلاغة: 112 عبد القاهر الجرجاني

وفيما يلي بعض النماذج:

1) الغريب في وصف الغلام للعنز التي كان ينشدها[1]:

يروى عن عمرو بن العلاء أنّه قال: "رأيت باليمن غلاما من جَرْم ينشد[2] عنزا فقلت: صفها يا غلام قال: حسْراء مقبلة[3]، شعْراء مدْبرة[4] ما بين غُثْرَة الدُّهْسة[5]، وقنوء الدُّبْسَة[6]، سجْحاء الخدّيْن[7]، خطْلاء الأذنيْن[8]، فشقاء الصُّوريْن[9] كأنّ زَنَمَتَيْهَا[10] ثَتْوَا قَلَنسِيَة[11]. يا لها أمُّ عيال وثِمالَ مالٍ[12]".

---

(1) الأمالي: 1/ 34 – القالي.

(2) ينشد: يطلب، والنّاشد: الطالب. يقال: نشدتُ الضّالّة، فأنا أنشُدُها إذا طلبتُها. وأنْشَدتُها: عرفتها، فأنا مُنْشِدٌ. وأنشدني أبو بكر بن دُرَيد.

يُصيخُ للنَّبْأة أسماعَه إصَاخةَ النّاشد للمُنْشِدِ

والبيت في الكامل للمبرّد منسوب للثقب العبدي (الكامل: 63).

(3) حسراء مقبلة: قليلة شعر المُقدَّم، قد انحسر شعرُها.

(4) شعراء مدبرة: كثيرة شعر المؤخّر.

(5) الغُثْرة: غُبْرة كَدِرة – الدُّهْسة: لون كلوْن الدّهاس. قال الأصمعي: والدّهاس من الرمل: كلّ ليّن لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين. قال ذو الرّمّة يذكر فراخ النّعام:

جاءَتْ من البيض زُعْرًا لا لباس لها إلاّ الدّهاس وأمّ بَرّةٌ وأبُ

(6) والدُّبْسةُ: حمرة يعلوها سواد. وقال أبو عبيدة: الدُّبْسة شُقرة يعلوها سواد.

(7) سجْحاء الخدّين: سهلة الخدّين حسَنَتُهما ومن هذا قالوا أسْجح. قال الشاعر:

مُعاويَ إنّنا بشر فأسْجِحْ فلسْنا بالجبال ولا الحديد

أي أحسِن وسهّل. ورواه النحويّون "ولا الحديداً" بالنّصب عطفا على محلّ الجبال. ورواها المبرّد: ولا الحديد.

(8) وخطْلاء: طويلة الأذنيْن مضطربتهما. ومنه قيل لكلاب الصّيْد "خُطْل".

(9) فشْقاء: أي منتشرة متباعدة – الصُّوران: القرنان واحدهما صُور.

(10) الزّنَمَتان: الهُنَيّتان المتعلّقتان ما بين لُحْي العنز.

(11) الثّتوان: ذؤابتا القلنسُوة واحدُهما ثتْوٌ.

(12) ثِمال مال: أصل مال. والثّميلة: ما يبقى في بطن البعير من العلف.

فلنتأمّل في هذا الغريب الذي نزْورّ عنه أو نكاد، أو ربّما نسخط عليه متعسّفا وكأنّما يتشبّث بقشور جافّة دون لباب ممتع، حتّى لو أعذرنا قائله لأنّه من اليمن، من منازل القحطانيّة الذين يصطنعون مثل هذه اللّغة التي لا نطمئنّ اليوم إليها على حالها المشهودة.

2) وهذا نموذج ثان من غريب حديث أعرابيّ في وصف النّساء[1]:

"وصف أعرابيّ نساءً فقال: يلتثِمْن على السّبائك[2]، ويتّشِحْن على النّيازك[3]، ويَأْتَزِرْنَ على العوانك[4]، ويرتفقن على الأرائك[5]، ويتهادين على الدّرانك[6]، ابْتسامُهنّ وميض[7]، عن وليعٍ كالإغْريضِ[8] وهنّ إلى الصِّبَا صُورٌ[9]، وعَنِ الخَنَا نُور[10]".

كلام قاسٍ شديد يوحي بالوحشة ويحمل على النّفرة: فأين هو من غريب القرآن، كما سنرى، في لينه وعذوبته.. في سهولته وامتناعه.. في ثرائه وحسنه لغةً وأسلوبا، ولفظا ومعنى!

---

(1) الأمالي: 1/ 42.

(2) قال أبو زيد: اللّثام على الفم واللّفام على طرف الأنف. يقال تلثّمت المرأة، وتلفّمت المرأة. والسّبائك ههنا: الأسنان. شبّهها لبياضها بالأسنان.

(3) والنّيازك: واحدها نيْزَك: الرّمح القصير.

(4) والعوانك. واحدها عانك: وهو رمل منعقد يشقى فيه البعير لا يقدر على السّير، فيقال حينئذ: قد اعْتَنك.

(5) والأرائك: السُّرُر، واحدها أريكة. وقال قوم: الفُرُش.

(6) ويتهادين: يمشين مشيا ضعيفا – قال الأعشى:

إذا ما تأتّى يريد القياما ... تهادى كما قد رأيت البهيرا

البهير: منقطع النّفس من الإعياء.
والدّرانك: الطّنافس: واحدها دُرْنوك.

(7) الوميض: اللّمعان الخفيّ.

(8) الإغريض والوليع: الطّلع.

(9) وصُورٌ: موائل. ومائل العنُق: أصْوَر.

(10) ونُور: نُفْرة من الرّيبة، واحدها: نَوَار.

فرغم أنّ القرآن هو كما قال عنه الدكتور طه حسين: "أصدق مرآة للحياة الجاهليّة. وهذه القضيّة غريبة حين تسمعها، ولكنّها بديهيّة حين تفكّر فيها قليلا، فليس من اليسير أن نفهم أنّ النّاس قد أعجبوا بالقرآن حين تُليَت عليهم آياته إلاّ أن تكون بينه وبينهم صلة، هي هذه الصّلة التي توجد بين الأثر الفنّي البديع وبين الذين يعجبون به حين يسمعونه أو ينظرون إليه. وليس من اليسير أن نفهم أنّ العرب قد قاوموا القرآن وناهضوه وجادلوا النّبيّ فيه إلاّ أن يكونوا قد فهموه ووقفوا على أسراره ودقائقه..."[1].

وعلى الرّغم من ذلك ومن تحفّظنا على قول الدكتور " قد فهموه ووقفوا على أسراره " فقد أعجزهم كثيره فهما وأفحمهم فصاحة وبيانا، فراحوا يسألون ويتدبّرون ويفسّرون.. وما هم ببالغيه. فالقرآن كان أصفى وأنقى وأجلّ..والقرآن قد مثّل الحياة النّفسيّة والرّوحيّة والعقليّة والمادّية، ودعا وأمر، ودلّ على القوامة في الحياة الاجتماعيّة والفكريّة والتاريخيّة...فكان خطابه في ذلك كلّه خطابا متوازنا لا إسراف فيه، واضحا كلّ الوضوح، بالغ الدّقّة في تعبيره حتّى لا إخلال فيه، ولا غنى عن التّأويل. ثمّ إنّه كان حتّى في غريبه فصيحا، وبعيد الغور في غير غريبه، فلسنا واجدين سبيلا للطّعن عليه. ولا واجدين سبيلا لاختزاله إذ هو يحتوي على كلّ شيء، ولا يختلف على لفظه و أسلوبه أحد. ولا يستطيع أن يخرج عن حدوده أحد.

ولكي نقف على الحقيقة واثقين، نختم بهذا النصّ المشتمل على الغريب في وصف أعرابيّ لبنيه[2]:

---

(1) من تاريخ الأدب العربي: 1/ 88 – د/ طه حسين.

(2) الأمالي: 1/ 52 – القالي –

أخبر عبد الرّحمان عن عمّه عمرو بن العلاء، قال: "قلت لأعرابيّ يحمي الرّبَذَة: أَلَكَ بنون؟ قال: نعم. وخالِقِهم لم تقُمْ على مثلهم مُنْجِبة. فقلْتُ: صِفْهم لي. فقال: جَهْم وماَجَهْم! يُنْضِي الوهْم[1] ويصُدُّ الدُّهَمَ[2]. ويفري الصّفوف[3] ويعُلُّ السُّيوف[4]. قلتُ: ثمّ منْ؟ قال: غشَمْشَمْ وما غشَمْشَمْ! حالُهُ مُقسّم، وقِرْنُه مُجَرْجَم[5]. جِذْل حِكاك[6]، ومِدْرَهُ لِكَاك[7]. قلت: ثمّ من؟

قال: عَشَرَّب وما عَشَرَّب !

ليثٌ مُحرَّب[8]، وسِمَام مُقَشَّب[9]. ذكْرُهُ باهر[10]. وخصْمُه عاثر. وفَنَاؤُهُ رُحاب، وداعيه مُجاب.

---

(1) يُنضي: يُهزل. والنِّضْو: المهزول. والوهْم: الضّخم العظيم من الإبل..قال ذو الرّمّة :

كأنّها جَمَل وَهْمٌ وما بقِيَتْ ... إلاّ النّحيزةُ والألْواحُ والعَصَبُ

النّحيزة: الطّبيعة – الألواح: العظام. وكل عظم عريض فهو لوح.

(2) يصدّ: يكفّ – والدّهم: العدد الكثير.

(3) ويفري: يشقّ (للإصلاح) وأفريْته (للإفساد).

(4) يعُلّ: يوردها الدّماء ثانية (مأخوذ من العَلَل في الشّرب).

(5) المجرْجم: المصروع.

(6) والجذْل: أصل الشّجرة وذلك أنّ الإبل الجُرْب تحتكّ به فتجد له لذّة. وإنّما قال: وجِذْل حِكاك. اي انّه مَن يُستَشْفَى به في الأمور بمنزلة ذلك الجِذل الذي يَستَشْفِي به الإبل.

(7) والمِدْرَهُ: لسان القوم، والمتكلّم عنهم والدّافع عنهم. يقال: دَرَهْتُهُ عنّي ودرأته عنّي: دفعته..واللّكاك: الزّحام. يقال: أَلْتَكَ القوم على الماء إذا ازدحموا.

(8) المُحرَب: المُغضَب الذي اشتدّ غضبه واحتدّ.. وحرَّبْتَ السّكّين إذا أحدَدْته.

(9) مُقشّب: مخلوط.

(10) باهر: غالب.

قلتُ: فصِفْ لي نفسك، فقال: ليث أبو رَيابل[1] رَكّاب معاضل[2]، عسّاف مجاهل[3]، حمّال أعباء[4]، نهّاضٌ ببَزْلاء[5].

بهذا يمكن أن نتلمّس الغرابة في الغريب ممّا أوردنا من نماذج، وأن نتحسّس الحوشية التي تدغم الكلمات.

على أنّه لا ينبغي الظنّ أنّ الغرابة تعلق باللّفظ وحده أو بالمعنى وحده لكنّها متحققّة فيهما معا. فهي في اللّفظ تتجافى عن اللّين والسّهولة سواء في الشّعر أو في النّثر، لتطبعه بداوة مفرطة تجنح إلى الشدّة والعسر والمشقّة، حتّى لتوشك أوابده أن لا تقيّد. وهذا ليس خصيصة الشعر الجاهلي واللّغة الجاهليّة كما يُزعم. ففي كثير منهما رقّة ونعومة، لا سيّما في ذلك الذي مسّته من الحضارة نفحات فتهوّد ونزع إلى التّرف أحيانا، وإذا نحن نقرأه فنحسّ باللّذّة ونشعر بالسّهولة واليُسر فنحار عالمين أنّ قائله النابغة الذّبياني أو امرؤ القيس، مثلا، ونعجب كيف ترك الواحد منهم ذلك التّكلّف الممجوج والإغراب الذي ينقلنا إلى متاهة مظلمة فيها سرف، وفيها وعورة وخشونة تحجبان الفهم عنّا. ويحملنا ذلك على إعمال الفكر في غريب المعنى حين نفقد سبل الملاءمة بين اللّفظ ومعناه.

---

(1) ريابل: جمع ريبال وهو الأسد.

(2) المعاضل: الدّواهي.

(3) العسّاف: الذي يركب الطّريق على غير هداية.

(4) الأعباء: الأثقال واحدها عبء.

(5) البزْلاء: الرّأي الجيّد الذي يبزُل عن الصّواب أي يشقّ عنه. قال الرّاعي:

من رأي ذي بَدَوَاتٍ لا تزال له　　　بزْلاءُ يعيا بها الجُثامة اللُّبدُ

ذو بدوات: ذو آراء (رجل حازم).

الجُثامة: البليد.

اللُّبَد: الذي لا يُسافر ولا يبرح منزله ولا يطلب معاشا.

على أنّنا كثيرا مّا نقع على المعنى الواضح القريب منّا متناسين أنّ المعاني لدى عدد كبير من الشّعراء والخطباء، قد تحضّرت، أو خلعت لبوس البداوة، وانتهبت لغة صافية مهذّبة، اختارت مشربا غير الذي اعتاده آخرون وسايرت سبيل من هدفوا إلى أغراض ومعان مغايرة، سحبوا عليهما خيالهم الخاصّ، ورؤيتهم المتأثرة بعوامل التّطوّر والتّثقيف، من قريب أو من بعيد.

وبعد، فلا بدّ أن ننبّه إلى أنّ غريب القرآن سيظلّ مختلفا عن غريب هؤلاء، ذلك أنّه إلى جانب قوّته وسطوته وإحكامه ودهاء معانيه..يظلّ ممتعا لذيذا، متميّزا بخصائصه الفنّيّة الفريدة.. بألفاظه الدّاوية..بأغراضه التي انكبّ عليها المفسّرون منذ قرون طويلة دون أن يحدّدوا كثيرا منها أو يصلوا إلى كلّ الحقّ فيها..

فاللّغة القرآنية رغم أنّها زخّارة طامية، سخيّة غير ضنينة، فالعقل البشري حيالها متغضّن يكدّ ويجهد ليملأ منها قيعانه، فيبيت على الخواء، منحطّا دون شرف ونبل ما يواجَه به.

وعلى هذا الأساس سنضطرّ – إضافة إلى ما تقدّم – إلى المجابهة بنظرة أوسع لتحقيق بعض ما نصبو إليه من توضيح حول لغة القرآن والشّعر وما بينهما من غريب يبحث، فنقول: لقد كان للّغة في شعر العرب الأوائل طموحات تجسّد ما هي عليه من صولة ونخوة، إلاّ أنّها لم تبشّر بالكائن الحضاري والفنّي الرّاقي بما هو إرهاص لحاضر ومستقبل، وإن كانت جوْهرًا لنّهضة طاغية.

لذلك أصبح القرآن منذ نزوله فوق الشّعر وفوق البيان والسّحر المبين، وخاب الظنّ الجاهلي فيما توهّموه سموقا أمام الانقلاب الفكري واللّساني الذي حدث، والكشوف اللّغويّة والبلاغيّة الصّاعقة.

"... وتصوّروا الشّعر ما تصوّروه فلمّا سمعوا آياته البيّنة وبلاغته المتدفّقة، ورأوا هدايته النّادرة وفصاحته الباهرة، وما فيه من روعة التّصوير ودقّة التّعبير وشدّة التّأثير، قالوا: إي والله، إنّه لشعر شاعر وسحر ساحر"[1].

ثمّ لم يلبثوا أن تبيّنوا عجزهم، فأقرّوا بأنّ القرآن إن هو إلاّ وحْي يوحى، وأنّهم وإن استعانوا بشعرهم الجاهلي على القرب من معنى ألفاظه، فهو أعظم من ذلك حتّى قال فيه عتبة بن ربيعة فزعا: "والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر "وعلموا يقيناً أنّ أسلوب القرآن نمط فريد من البلاغة والرّوعة وجلالة الرّوح وإشراق البيان و جمال الدّيباجة وقوّة المنطق وعبقريّة التّصوير والتّعبير"[2].

لذلك سجّل التّنزيل على الجاهليّين عجزهم، لغة ومعنى وأسلوبا فبهتوا ووقعوا له وأذعنوا.. ألم يطلع عليهم الوليد بن المغيرة صافعا صلفهم ليقول لهم:

"والله ما فيكم رجل أعلم بالشّعر منّي ولا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبهه الذي نقول شيئا من هذا. ووالله إنّه لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنّه ليعلو ولا يُعْلى عليه".

---

[1] إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاّني، مقدّمة د/ محمد عبد المنعم خفاجي – ص 18 – طبع دار الجيل، بيروت –

[2] إعجاز القرآن للباقلاّني مقدمة د/ محمد عبد المنعم خفاجي – ص 18 –

وكأنّما أراد أن يفهمهم أنّ هذا الذي يتجادلون فيه هو أبعد غورا ممّا عرفوا من خصائص النّظم العربي ودقائقه، وأنّه أدهى مكنة في مواقع الألفاظ ومجاريها، و أجلّ بيانا وأجزل عطاء وأعمق معنى وأوسع تأويلا وأشمل مقاصد – حتّى أنّ اللّفظة لتبدو غريبة وما هي بغريبة غير أنّها تفيض بدلالاتها التي لا تخطر على قلب بشر، حاملة لمدركات حسيّة وروحيّة خارقة، تهتزّ لها القلوب فتخشع كما تهتزّ لها العقول اهتزاز تدبّر وإكبار فتخضع، وتصغي لها الأذن فتلين الجلود.

ولأنّ تلك العبارة القرآنيّة عجيبة وغريبة فقد حارت في كنهها الأفهام، إذ أنها تجاوزت ما كان يصبو إليه اللّغويّون والبلاغيّون من كشف أسرارها وبحثٍ عن إعجازها ومجازها وجزالتها وتشبيهاتها واستعارتها..الخ..فإذا هي أكبر ممّا قصدوا إليه..وأوفى من خصائص الفنّ الأدبي والبياني الذي مهروا فيه وأبعد منالا من لغة الأعراب التي تحدّاها القرآن وهو نازل بها، وتفوّق عليها تفوّق قواصف الرّياح على ما يعترض سبيلها من رموز القوّة.

إنّ لغة القرآن هي الإشراق والوضاءة والسّلاسة والعنفوان...ليست كالمألوف من لغة العرب أو المعهود من نظم كلامهم، لكنّها الغرابة في فصاحتها ومطلق معانيها فلا اختلال أو تعمّل، ولا تكلّف أو تعسّف: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ

﴿... ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[1].

وإذا كان الغريب من اللّغة مستكرها فغريب القرآن ليس فيه عِوَج يعيبه إلاّ أنّه عجيب مسيْطر، يلتبس عليك جاهلا به، ويغريك عارفا به ليغدق عليك ما تعلم وما لا تعلم... ما تؤوّل وما لا تستطيع تأويله. ولعلّ مثل هذا ما حدا بأبي سفيان مخاطبا الأخنس بن شريق إلى القول: "يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يُراد بها، وسمعت ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها".

بذلك وقع الذين فطروا على البلاغة والشّعر صاغرين يجرّدهم الإعجاز من سلاحهم، تغشى وجوههم مسحة ذهول فيخفضون الجناح للّغة التي اضطرّتهم لأن ينزلوا معلّقاتهم المعلّقة على الكعبة وأن يسجدوا لقول الله.

ثمّ لا يلبث الزّمن أن يتقدّم قليلا حتّى يصبح القرآن ممثّلا للبشريّة أروع خصائص الفنّ الأدبي لفظا وأسلوبا ومعنى وبلاغة، وصورة وفنّا وفكرا وروحا حضاريّة عظيمة، إلى جانب ميزاته الأخرى التي لا تحصى غاياتها وأهدافها، وميزاته العلميّة الدّقيقة، وشرف تشريعاته ومقاصده ومراميه...

يقول الإمام أبو بكر الباقلاّني[2] متحدّثا في وجوه إعجاز القرآن:

---

(1) سورة الزّمر، الآية: 23.

(2) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، المعروف بالباقلاني البصري، المتكلّم المشهور واحد اعلام الأشاعرة، فقد كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري. سكن بغداد وبها توفّي في شهر ذي القعدة سنة 403 هـ.

"معنى عاشر: وهو أنه سهل سبيله، فهو خارج عن الوحشيّ المستكره والغريب المستنكر، وعن الصّنعة المتكلّفة وجعله قريبا إلى الإفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النّفس...وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مطمع مع قربه في نفسه، ولا موهم مع دُنُوّه في موقعه أن يقدر عليه أو يظفر به. فأمّا الانحطاط عن هذه الرتبة إلى رتبة الكلام المبتذل والقول المسفسف، فليس يصحّ أن تقع فيه فصاحة أو بلاغة، فيطلب فيه التّمنّع أو يوضع فيه الإعجاز، ولكن لو وضع في وحشيّ مستكره، أو غمر بوجوه الصّنعة وأطبق بأبواب التّعسّف والتّكلّف، لكان لقائل أن يقول فيه ويعتذر، ويعيب ويقرع. ولكنّه أوضح مناره، وقرب منهاجه، وسهل سبيله، وجعله في ذلك متشابها متماثلا، وبيّن مع ذلك إعجازهم فيه.. وقد علمت أنّ كلام فصحائهم وشعر بلغائهم، لا ينفكّ من تصرّف في غريب مستنكر أو وحشيّ مستكره، ومعان مستبعدة، ثمّ عدولهم إلى الكلام مبتذل وضيع لا يوجد دونه في الرّتبة ثمّ تحوّلهم إلى كلام معتدل بين الأمرين، متصرّف بين المنزلتين، فمن شاء أن يتحقّق هذا نظر في قصيدة امرئ القيس[1]:

"قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل"

ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما تتصرف إليه هذه القصيدة، ونظائرها ومنزلتها من البلاغة، ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلّها، علة

(1) شاعر جاهليّ مشهور من أصحاب المعلّقات، موصوف بالبلاغة والإجادة، توفّي سنة (560م). مطلع معلّقته: "قفا نبك ..."

وجه يؤخذ باليد، ويتناول عن كثب، ويتصوّر في النّفس كتصوّر الأشكال، ليبين ما ادّعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن"[1].

وهكذا نلمح في هذا الوجه من الوجوه التي أوردها الباقلاني مرامي كثيرة ومسائل جمّة تحيط بما نتشوّف إليه من إبراز بعض الخصائص الفنّيّة في القرآن والشّعر القديم، واللّغة التي تعلو على اللّغة، والغريب القرآني المتوهّج الذي يتميّز على غريب الشّعر فيجعله يشيه. وكانت الفصاحة القرآنيّة تخرج عن أساليب شعرهم فتفحمهم وتفجعهم. ورغم أنّ الشّعر مسخّر لهم فقد أرمدوا في هذا الشّأن، كما خسئ غريبهم أمام غريبه، وخفي عليهم تدفّق المعاني التي ينطوي عليها. مع أنّ اللّفظ قد يتّفق صورة، هنا وهناك... فإذا جبّار المقصد في القرآن، غضيض في الشعر الجاهلي المنعوت بالزّعامة... وإذا الوجوه التي ينصرف إليها الخطاب القرآني بارعة أشد البراعة، موحية أكبر الإيحاء، محيّرة إلى حدّ العجز عن التّنبيه على وجوهه المختلفة. وهذا ما نعتبره خرقا لعادات كلام العرب رغم اقتدارهم على التّصرّف في اللّغة وفيما يغرب لفظه، وتمييزهم بين غريب مبتذل وغريب بارع، ولفظ عويص في ذاته البنيويّة أو في غموض معناه أو فريد نظمه.

ومن ثمّ وجب أن نفرّق بين كلام يجمع الغريب والمعاني في آن وكلام يجفّ ويستوحش ويميل إلى الغلوّ، وبين أخر قاصر الصّنعة، أو مستبشع لا ينتهي إلى فصاحة وبراعة...

"ولأنّ الذين اختاروا الغريب فإنّما اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشتبه على غيرهم، وإظهار التّقدّم في معرفته وعجز غيرهم عنه، ولم يكن قصدهم جيّد الأشعار لشيء يرجع إليها في أنفسها. ويبيّن هذا أنّ

---

[1] إعجاز القرآن: ص 98، 99 – الباقلاني.

الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النّفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يتخيّر من اللّفظ ما كان أقرب إلى الدّلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب، ولم يكن مستكره المطلع على الأذن ومستنكر المورد على النّفس، حتّى يتأبّى بغرابته في اللّفظ عن الأفهام، أو يمتنع بتعويض معناه عن الإبانة. ويجب أن يتنكّب ما كان عليه اللّفظ مبتذل العبارة، ركيك المعنى، سفسافيّ الوضع، مجتلب التّأسيس على غير أصل ممهّد ولا طريق موطد.."[1].

إنّ هذه الفقرة قد تغنينا حقّا عن كثير ممّا نبحث عنه ممّا نحن بصدده، وقد برع فيها الباقلاني الذي جعل سرّ الإعجاز فنّا في البلاغة والبيان في القرآن الكريم فكشف عن الجانب الأدبي في الغريب وجلاه بما يفي بالمقصد حتّى لكأنّنا نقف أمام لوحة في النّقد الأدبي تصدر عن خبير يقوده الفهم وعمق النظرة، أو عارف يؤسّس لمذهب نقديّ.

ولنبيّن عظم شأن اللّفظة القرآنيّة مقارنة بمثيلاتها لدى الأوّلين سنورد مثالين لكلمتين، وردتا في الشّعر عاديتين لا تتجاوزان المعنى القريب من اللّفظة، ووردتا في القرآن في صورة معنويّة مغايرة يميّزها إشراقها الدّاخلي بما يبعث على الإعجاب والحيرة. فالكلمة مستقلّة أو مرتبطة بغيرها مشتملة على البلاغة والقوّة في نفسها حتّى لتفوق شأو المألوف ولا تندّ عن القول المعروف لكنّها متضمّنة شريف المعنى في كمال اللّفظ. فهي عند الإفراد جمال، وعند الاقتران حسن، وفي كليهما منبثة بالدّلالة المنداحة، ليس فيها تكلّف أو نبوّ إلاّ أنّها واقعة في موقعها بما يقتضيه المقام.

---

[1] إعجاز القرآن: ص 169، 170 – الباقلاّني.

المثال الأوّل:

قول صاحب العزّة: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾[1].

فهذا اللّفظ هو من الغريب البديع، وهو كلمة واصفة واحدة لكنّها تجمع في كينونتها معاني الألوان والظّلال والرّواء والغضارة والنعيم، وتجمع بين المجرّد والمحسوس حيث تزجى صورة الخضرة الشديدة لجنّة وارفة تراكمت ظلالها فأوحت بترف ونعمة وسحر مشهد.. وأيضا بغبطة وخلابة ليس لكلمة سواها ملمح يفي بالتّعبير عن الحسن مثل الذي تشيء به أو تستقيم استقامتها في أداء الغرض وبلوغ الشّأو، وصحّة اللّفظ والمعنى ورشاقته.

ومدهامّتان: وصف مشتقّ من الدّهمة وهو لون السّواد ووصف الجنّتين بالسّواد مبالغة في شدّة خضرة أشجارهما حتى تكون الأشجار وقوّة خضرتها كالسّوداوين لأنّ الشّجر إذا كان ريّان اشتدّت خضرة أوراقه حتّى تقرب من السّواد[2]. فمدهامّتان أي سوداوان من شدّة الخضرة. وقال الزجاج يعني أنهما خضراوان تضرب خضرتهما إلى السّواد، وكلّ نبت أخضر فتمام خصبه وريّه أن يضرب إلى السّواد.

وفي القواميس: الدّهمة: السّواد. ودهّمت النار القدر سوّدتها. وادهمّ وادهامّ الفرس صار أدهم.

والأدهم: الأسود يكون في الخيل والإبل. قال أبو ذؤيب:

---

(1) سورة الرحمان: الآية 64.

(2) انظر التحرير والتّنوير.

أمنــك الــبرق أرقُبُــه فهاجــا فبــتّ إخالــه دُهْمــا خِلاجــا[1]

وادهامّ الـزرع: عـلاه الـسّواد ريّـا..وحديقـة دهمـاء ومدْهامّـة: خضراء تضرب إلى السّواد من نَعْمتها وريّها.

وروضة مدهامّة أي شديدة الخضرة المتناهيـة فيهـا كأنهـا سـوداء لشدّة خضرتها.

وانشد ابن الاعرابيّ في صفة نخل:

دُهْمــا كــأنّ اللّيــل في زُهائهــا لا ترهب الذّئب عن أطلائهـا[2]

يعني أنّهـا خُـضر إلى الـسّواد مـن الـرّيّ، وأنّ اجتماعهمـا يـري شخوصها سودا، وزُهاؤها شخوصها. وأطلاؤها أولادها يعـني فـسْلانها لأنها نخل لا إبل.

فأيّ عبقريّة وأيّ غرابة لكلمة في شكل مفردة تحمل معنى وحدة مـشحونة بـدلالاتها ذات البُعـد التّخييلـي الـذي يـصنع مـشهدا زاخـرا بأشيائه، ويرسم كون إبداع شهيّ طليّ يتجاوز سطحيّة المباشر، ويرمز إلى كثير من المعاني والصّفات.

المثال الثاني:

لفظ " قمطرير" الذي ورد في التّنزيل في وصف يوم القيامة.

---

(1) دُهْما خِلاجا: الجياد السّريعة. والإخليج: الجواد السّريع.

(2) الزّهاء: النّضارة والحسن والنبات الناضر، والبسر.

قال تعالى: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[1]

فاللّفظة رغم إيحائها بالشدّة فهي عميقةُ الدّلالـة، بوّاحـة بالإيمـاء إلى ما تدلّ عليه. ولها صوت خارجيّ قاصـف، وتفـرّع داخلـي ذو طـابع إيقاع تهويلي يرسل ومضات الارتماض والعسر ليوم رهيب مدلهمّ.

واللّفظة لها بنيـة خاصّـة تبعـث إشـارات لهـا تـداعيات لا تكـاد تتوقّف تنسجم مع مقتضيات الغرض. وهي في موضعها ليست بالمستنكر الوحشيّ مثل ذلـك الـذي نجـده لـدى شـعراء الباديـة مـن خـروج عـن الاعتدال إلى الشّطط في التّغريب ممّا ليس له في النفس شيء يعلق.

"والكلام الغريب، واللّفظة الـشديدة المباينـة لنـسج الكـلام، قـد تُحمد إذا وقعت موقع الحاجة في وصف ما يلائمها، كقوله عـزّ وجـلّ في وصف يوم القيامة: ﴿عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2].

والملاحظ هنا أنّ المعنـى كـان وفـق اللّفـظ ليجـودا معـا بوجـوه الكلام ويتشاكلا.

ولو وقعت اللّفظة في غير هذا الموقع لغدت مستكرهة مذمومة.

لقد عبّرت ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ عن شدّة العبوس والظّلام تعـبيرا بليغـا يتطابق فيه صدى اللّفظ والمعنى تطابقا وصفيّا مؤثّرا جـدّا ثـريّ الإيحـاء، يشعر بالهول والشدّة والارتياع لأنّ توظيف العبارة كان توظيفا ضـاربا في الإيماء الماورائي، معلنا عن سمة ذلـك اليـوم المـشهود، حتّـى لتحـضر في

---

(1) سورة الإنسان: الآية 10.

(2) إعجاز القرآن: ص 218 – الباقلاني.

تركيبتها الرّؤية والصّدى والحال المعيش، ويثير المعنى المهيمن صلصلة خارجيّة تفجّر في السّمع رعشة الألم.

كما أنّ للّفظة مقترنة بسابقتها ضربا من الملاءمة، من ناحية، وضربا من التّفاوت من ناحية ثانية ينجم عنهما تعميق الشعور بالشّدّة، ويصبح في إلحاق الكلمة الثانية ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ بالكلمة السّابقة ﴿عَبُوسًا﴾ مزيد من الإحساس بالرّهبة العضوض والوجل المكثّف والخوف... إضافة إلى ما اشتملت عليه الأولى من معنى العبوس و الظّلام، لتكتسب بذلك ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ من الحدّة والجزع والعذاب ما يوحي بأشنع صور المعاناة التي تحمل على الهلع والذعر، ما يبثّ غمّا ملء النّفس والسمع و القلب، ويشكّل مشهدا محزنا تتمثّله الباصرتان تمثّلا فاجعا، لحدث أليم عظيم في يوم كألف سنة مّما نعدّ، تحتشد فيه عناصر الفَرَق واللّوعة والرّعب، ليسيطر طابع مأساوي بائس..

وهذا لعمري غريب معجز..أين منه لغة الشّاعر القديم المحنّطة أوصال كلمه، القتيلة حركته ونشاطه !.. وحتّى لئن اتّفق اللّفظ في القصيد والآي فسيظلّ في القصيد مظهرًا باهتا لغيمة تفتقد الهطل.

الشعر الجاهلي ركيزة في عمل المفسّرين

والشّعر الجاهلي على امتداد تاريخنا العربي قد تعاظمت العناية به، وفي مقدّمة ذلك المعلّقات على كثرة ما روّجوا لها وعليها.

وقد وجدنا الحقّ إلى جانب المهتمّين به لأنّه وإن علق الشكّ ببعض ما وصلنا منه فسيظلّ ذلك الأدب شامخا، وحجّة على تاريخ الأمّة وحضارتها، وموئلنا في تتبّع ما كان حياة فكريّة وعاطفيّة وعقليّة بما تحويه تلك الحياة من معان ولغة وأسلوب وصياغة ووزن وقافية... وبما تمثّله تلك المجتمعات من عادات وتقاليد وآمال وآلام، كصورة من صور الوجود..ونبض معبّر عن أماني النّفس وانفعالاتها..

وهو وراء ذلك كلّه قاموس محيط لألفاظ العرب ومصطلحاتها ودلالاتها في شتّى القبائل والبطون والأفخاذ..في مختلف الأصقاع..في الشمال وفي الجنوب.

وإذا كان شعرهم فنّا راقيا من فنون القول، فهو أيضا صوت البيئة ورسم للنّظام القبلي في فيافي البادية، وسجلّ للأصالة والسّجايا والشّيم والخصال..وحتّى للمضارب والحومات والأيّام والأدوات والحيوان..

وهذا المأثور الأدبي هو الذي كان القلم الذي يكتب والرّيشة التي تملأ مساحة اللّوحات ألوانا..منه عرفنا اللّغة عبر مراحلها المتطوّرة. ومنه استقينا خاصّيات الفنّ ودقائق اللّغة، وأمكننا أن نقف على صدق اللّفظ المطابق لمعناه دون نبوّ أو زيف، وصدق الوصف في غير تحمّل لما يُحَسّ أو يرقى إليه الخيال الشّعري لديهم على محدوديّته وجفوته

وانكساره أحيانا. ولما توصّلت إليه تجاربهم التي حاول الكثيرون الإغضاء منها. علما بأنّ هذا العصر الجاهلي الذي نزل فيه القرآن كان يفيض بأغزر مادّة وأفصح عبارة مثلما كان يعجّ بفطاحل القول وفرسان الخطاب. وقد تواترت الأخبار على أنّ التّنافس يومئذ كان شديدا – والتنافس هو من ثمار العقل – وأنّ الفترة كانت أرقى الفترات عند العرب..

على أنّ بعضهم قد يطلع علينا بحملة تدميريّة لذلك العهد ناسفا كلّ قيمة لهذا الشّعر الجاهلي الذي تحدّى العصور متطاولا..وذلك ضرب من السّفه الشعوبي والمذهبي القصد منه خضد أحد أركان الحضارة الفنيّة العربيّة لإخماد تاريخ وإذلال لغة..

ولكن، أي مصدر لنا نستوحيه.. وأيّ معجم لغوي سنسأل لو لم يكن هذا الشّعر؟..

فالشّعر الجاهلي - شئنا أوْ أبينا – هو ذات قويمة، وأصلاب تورث أصلابا.. وهو عزّ اللّسان ونور الوجدان مثله كمثل شجرة سوقاء إن تعهّدناها تفيّأت فاستغشينا أدواحها، وإن أهملناها عضدها الصِرُّ، ونبذتنا الأطلال التي يلعنونها اليوم بأمر من سلطة التّغريب.

وهو أيضا، ومهما تقوّل المتقوّلون، فهو اللّغة المثلى التي فهمنا فأعانتنا على فهم القرآن الكريم وتفسيره، لما فيه من تأصيل وفنّ، ولغة أدبيّة راقية جدّا، وثراء وغواية. وهو ممّا يُستشهد به كما يذكر البغدادي[1]، لأنّه مبنيّ على معرفة أوضاع اللّغة العربيّة الفصيحة المختارة والإحاطة بقوانينها ونُظُمها.

---

(1) خزانة الأدب: 1/ 5 عبد القادر البغدادي.

وهذه اللّغة الأدبيّة تتمثّل فيها خصائص اللّغة العربيّة في إبان نضجها وأوقات ازدهارها، وهي اللّغة التي نزل القرآن الكريم بالمهذّب منها، الذي تلافى ما فيها من العيوب، ليكون صالحا لكلّ زمان ومكان، وكذلك الحديث النّبوي، والشّعر العربي الذي اختلفت لغته وصلته بالشّعر الجاهلي على حسب القرب أو البعد عن الحياة البدويّة، فلغة ذي الرّمّة مثلا، وهو من شعراء عصر بني أميّة لا تبتعد عن لغة هذا الشّعر الجاهلي الذي نجد صورته في المعلّقات، وذلك لأنّ حياته لم تبعد كثيرا عن حياة العرب في باديتهم الأولى.

وفي ألفاظ المعلّقات ما يصحّ أن ينعت بالغرابة أو الحوشية، ولكنّهما وصفان غير أصيلين فيها. والدّليل على ذلك أنّنا لم نعثر على قول قديم ينقد هذا الشعر بغرابته وحوشيته في البيئة التي قيل فيها هذا الشّعر، أو في السّنين القريبة من ذلك العصر، وإنّما وجد هذا النّقد في العصور التّالية التي لانت ألسنتها وتهذّبت لغتها بفعل الحضارة، وتأثير القرآن الكريم الذي عدّت ألفاظه وأساليبه نمطا رفيعا للتّعبير في خلوّه من تلك الألفاظ التي توصف بالحوشيّة. وكان ذلك سببا من أسباب إعجازه، وسرّا من أسرار تفوّقه على أساليب الفحول المذكورين بالسّبق والإجادة[1].

لذلك فالغريب أو الحوشيّ لم يكن كذلك عندهم، وإنما هي مسألة اعتباريّة فقط. فاللّفظ الذي كانت قلوبه تتأبّط حجرا وحديدا، كان لديهم ممّا يفخرون به ويعدّونه فصيحا، ويرفع عن شاعر خمول حجب الوضاعة في غلس الظّلام.

---

(1) معلّقات العرب: ص 349، 350- د/ بدوي طبانة – دار الثقافة – بيروت.

وبظهور الإسلام اشتدّت الحاجة إليه، داعية إلى استلهامه لفهم النصّ القرآني وتفسيره. ولم ير الرّسول ﷺ ولا المسلمون معه أنّ الشّاعر قد جاء بِنُكْر. ولكن كان ممّن يجب أن يسمع لكي يستظلّ بظلّه، للمعرفة والتدقيق والقدرة على التّأويل والبحث عن الدّلالة في مظانّها، وكشف الارتياب في معنى ملتبس يدرك بالبصائر...الخ.

جاء في العمدة: "وكان ابن عباس يقول: إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإنّ الشّعر ديوان العرب. وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعرا.

وكانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرّواية للشّعر. يقال إنّها كانت تروي جميع شعر لبيد.

وروي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: "لا تدع العرب الشعر حتّى تدع الإبل الحنين"[1].

"فأمّا احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[2] فهو غلط وسوء تأوّل لأنّ المقصود بهذا النصّ شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء، ومسّوه بالأذى، فأمّا من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك. ألا تسمع كيف استثناهم الله عزّ وجلّ ونبّه عليهم فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 1/ 30 ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني.

(2) سورة الشعراء: الآية:224.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1] يريد شعراء النّبيّ ﷺ الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة..."[2].

وواضح أنّ فصاحة الشّعر الجاهلي ولسنه وعبقريّته.. قد مهّدت لنا طريق البأس وأضاءت المسالك ومجاهل الآي الكريم فأصبحت ركيزة من ركائز المفسّرين حيث أذهبت عن الآذان الصّمم، وعن النّفس الحائرة همّها وشجاها إذ هي تواجه الوحي عاكفة على ضلالها وجهلها لا تستطيع أن تلج إلى محاريب العظمة القرآنية إلاّ على لهث وعناء.

وقد التقت اللّغة الشّريفة بمعجز الآي القرآني فأخنى هذا التعانق على نضارة كلّ لغة أخرى تُطاول، ولم تتصوّح العربيّة بعد ذلك على مدى القرون الدّوارس، ولن تذوي على عذبات[3] الألسن ما دام للعرب صدى القوادم بين هوج الزّعازع.

"ولا يشنأ هذه اللّغة الشّريفة إلاّ من أهتاف به ريح الشّقاء، ولا يختار عليها إلاّ من اعتاض السّافية من الشّجواء"[4].

---

(1) سورة الشعراء: الآية:227.

(2) العمدة: 1/ 31.

(3) العذبات: الأطراف.

(4) شرح ديباجة القاموس المحيط.

معنى الكلمات: يشنأ : يبغض.

اهتاف: من الهيف: رماه.

ريح الشّقاء: الشّدّة والعسر.

اعتاض: استبدل.

السّافية: الرّيح تحمل التّراب وتلقيه على وجهه وعينيه.

الشّجواء: البئر الواسعة الكثيرة الماء.

وعليه فلا بدّ من معرفة الشعر الجاهلي في علاقته بالتّفسير كأدوات تكامل تفيدنا في فهم اللّفظ والجمل ووجوه الاستعمال دون أن يكون ذلك زاريا على القرآن كما يتوهّم البعض لأنّه في الواقع نظر في آداب العرب ولغاتهم للاستنارة والوقوف على مظانّ القبول والرّفض، والغاية من تلك الاستعمالات مثل: الإطالة التي قد تأتي للتّأكيد..وكالحَذف للإيجاز..والتّكرار للإفهام...وأيضا لمعرفة متى نبدئ ونعيد، وننذر ونحذّر.. إلى غير ذلك من العلل.

وربّما قادنا ما وراء هذا إلى المرحلة الأدقّ والأخطر بالنّسبة إلى جهود الأئمّة الأعلام في تفسير القرآن، وفي غريبه على الأخصّ.

ولا أظنّ أنّ تفسير هؤلاء يعود إلى تحقيق شخصيّ يتفرّع إلى ظاهر وباطن، ولكنّه فهم مؤيّد بعامل خارجي تستوحى معانيه من نصّ دالّ وقع تجريبه وإقراره مثل الشّعر الجاهلي.. ووعي داخليّ تأويلي لا يخرج عن الحقيقة التي يحملها التّعبير القرآني مُراعًى فيها الأبعاد التي يرى فيها المفسّرون رايا مسنودا إلى واقع ومنطق واستدلال وأسباب..تعصمه من الخلط ومن الفهم المجازي الذي ينأى عن التّفسير الحرفي والرّمزي وإن لامسهما من بعيد أو خيّل إلينا ذلك.

وفي هذا الصّدد قد نجد ميلا قويّا إلى ما صرّح به السّهروردي المقتول الحلبي، المعاصر لابن رشد. وهو شهاب الدّين يحيى (ت: رجب 587 هـ/ جويلية 1191م). أو الشّيخ الشّهيد كما يسمّه تلاميذه في "كلمة التصّوف" قائلا:

"اقرأ الكتاب بوجد وطرب وفكر. واقرأ القرآن كأنّه نزل في شأنك"[1].

"وهذا القول يحدّد إذًا ظاهرة التّفسير، فهو يجعل حقيقة التّفسير "فرديّة" ويحول دون انحدارها إلى مرتبة "التّعميم" الخاصّة بالرّموز، مرتبة البيّنة القابلة لأن يدركها مباشرة كلّ إنسان حتىّ لو كان تطبيقها يمكن أن يتبدّى له على أنّه نقل "رمزي" وتخفيف من الحرفيّة التي يحاول هذا النّقل أن يشيع فيها الحياة. وهذا التّطبيق هو الذي يحدّد "مراتب تصدّر المسائل" التي تحدّثنا عنها من قبل، وهو الذي يمنعنا من ردّ هذه المسائل والبواعث إلى أمور مطروقة عادية يمكن تعرّفها بيسر، ويمكن مقارنتها، بعد ردّها على هذا النّحو، فيما بين أوساط معلومة متعدّدة. وهو إذًا الذي إذا ما مورس حَدَّ تفسير السّهروردي بإزاء موقف وأساليب التّفسير الفنّية عند آخر جيل من الأفلاطونيّة المحدثة، ممّن فسّروا مجموع مؤلّفات أفلاطون والكتب المستوردة.

وأخيرا نرى أنّ هذا التّطبيق يبيّن اتّجاها يقيمه، لا على قياس أو استدلال كما يفعل المدرسيّون أو الفقهاء وإنّما على التّمثّل الباطن لمضمون النصوص القرآنيّة. بيد أنّه ليس في الوسع تقديم صورة إجماليّة له ذات طابع عام"[2].

(1) في "كلمة التصوّف" الفصل الأخير عند نهايته، وهذا هو مبدأ الفهم "المجازي" وهو بعيد عن التّفسير الحرفي وعن التّفسير الرّمزي، وقد أشار السّهروردي إلى أهمّيته في كتابه هذا، الفصل الأوّل. (د/ عبد الرحمان بدوي).

(2) شخصيات قلقة في الإسلام: 115، 116- ترجمة عبد الرحمان بدوي. مكتبة النهضة المصرية - 1946

وإذا كانت عبارة السّهروردي قد حملتنا على موقف، وشاقتنا كثيرا، فقد حيّرتنا في الآن نفسه لأنّ ظاهرها يغري بالسّلامة غير أنّه لا يقنع. وهي تحيلنا – ربّما – على قول القائل من إخوانه المتصوّفة: "...وإنّهم إذا سمعوا القرآن من قارئ فإنّما يسمعونه من الله".

وكأنّما الحرف ومعناه ينزّلان لوقتهما قولا مباشرا منسوبا خطابه إلى نفس السامع أو القارئ وهذه في كلّ الأحوال مشكلة لا تتعلّق بما نحن فيه إذ تدخلنا في معنى الزّمان والوجود والذّات الإلاهيّة..وعلاقة ذلك بالقارئ المتلقّي مرتبطا بالوحي الإلاهي متمثّلا في الصّورة والحالة اللّتين يجد نفسه فيهما، وما تقتضيانه من تأويل صوفيّ فلسفيّ عجيب...

كما لا يغفلنا عن هذا القارئ الذي ذُكِر على التّعميم دون تحديد لمدى الإدراك والمعرفة وتفاوته لدى مختلف القارئين، ومبلغ القدرة على الفهم والتّمييز حيال نصّ قرآني شديد القوّة والدّقّة، عصيّ على الفكر، رهيب عتيّ...لا ينقاد إلى الكشف بسهولة، حتّى لو أخذنا بالظّاهر، لأنّ الفكر العارف بعد استثنائنا للبسيط والسّاذج، يصبح أمام العارف الأعظم المنزّل، على مسافة بعيدة. مهما أوتي من إدراك وحسّ ومعرفة وعلم..وكأنّه في مظهر دالّ على العجز، لو لا أن العقل المستنير يرفعه إلى درجة التّفسير والتّأويل في الحدود المتاحة والمخوّلة له.

وبناء عليه، ودون أن نتكلّف التّأويل ونتجشّم التّفلسف، تبقى عبارة السّهروردي بيانا لطريقته الشّخصيّة الخاصّة في تفسير القرآن وفق ما يراه ويراه إخوانه من الصّوفيّة..وتفترض افتراضات تتعلّق بالنّظر الصّوفي المؤمن بالتّجريد (تجريد العقل والقلب) والذي يرى أنّ القلب هو النّفس والنّفس نور من أمر الله، كما الرّوح، والله نور ﴿ٱللَّهُ نُورُ

﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1] وبذلك تقوم الرّابطة في مرحلة من المراحل أو في مرحلة التجلّي، بين المخلوق والخالق، وينكشف الغطاء ويقع التّواصل فإذا هو يسمع ويرى على طريقته الخاصّة التي لا تنطبق على النّاس كافة والتي تثير جدلا قد لا نطمئنّ إليه فقد جعلوا كأنّ السّمع عندهم متكشّف والرؤية متكشّفة.

وبناء على ذلك فإننا نقف موقف رفض الرّافضين لتفسير الصوفيّين واعتباره ليس بتفسير ينشر بين عامّة النّاس، لما فيه من خاصيّة التعليل الصّوفي الغامض – causalité mystique .

---

(1) سورة النور: 35.

"النور يجمع على أنوار ونيران. ويجيء لما يأتي:

أ= فالنّور: ضوء كلّ جرم مضيء يُعين على الإبصار. ويكون هذا في الدّنيا والآخرة.

ب= والنّور: اليقين بالحقّ والهُدَى وثلَج الصدر به. وهو في أغلب أمره يُذكر مع الظّلمات التي يُراد بها الشّكوك والشُّبهات. ويفسّر بعضهم النور بالإيمان، والظّلمات بأنواع الشّرك. على أنّ النّور المقابل للظّلمات قد يُراد به النّور الحسّي.

ج= والنّور: المعارف والدّلائل والحقائق التي تجلو الشكّ وتجلب اليقين في العقائد، وتنفي البلبلة والوسوسة، وعقائد الضّلال.

د= والنور: الكتاب السّماويّ[2]: إذ هو يأتي بما يجلو الشّكّ وينير السّبيل.

هـ= والنّور: النّبيّ الذي يجيء بما ينير السّبيل، أو النّبوّة والدّين.

و= وقد يُراد بالنّور المنوّر ومبعث النّور، وهذا على سبيل المجاز"

معجم ألفاظ القرآن الكريم : 2/ 772 ط2 – مجمع اللغة العربيّة –

(2) ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾[النساء: 174]– النور: القرآن.

﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾[الأنعام: 122] – أي دلائل تهديه إلى الحقّ –

﴿فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾[الحديد: 13] – النور الحسّي أو الهدى –

﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾[الحديد: 28] – هو النور الحسّي في الآخرة –

﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾[التوبة: 32، الصفّ: 8] – أي النبوّة –



غريب القرآن غرابة وليست غربة

معاني الغريب من القرآن، كمعاني الغريب من لغة البداوة في صفائها و عمقها.

وممّا عرفنا أنّ الإغراب في اللّفظ ضائر ممجوج لأنّه صورة من صور القبح عندنا اليوم..وفي المعنى هو ما يحمله لفظ غريب من معنى دقيق. فللّفظ قيمة وللمعنى قيمة..وتغيّر القيمة اللّفظيّة متلف لها... وتغيّر قيمة المعنى لا يغيّر الأساس لينسفه نسفا.

وغريب القرآن منظور إليه أوّلا وقبل كلّ شيء عند نزوله، ففُهِم فهْم الفترة لكنّه لم يفقد بريقه بتوالي القرون.

ونحن نعلم أنّ القيمة اللّفظيّة خاضعة للتّطوّر والتّحوّل..قابلة للنّقصان والزّيادة..إلاّ أنّ القيمة لمعنى غريب القرآن خاصّة كانت في غاية الدقّة منذ نزولها. وما طرأ عليها من تفسير وتأويل كان مرتهنا، ربّما بتفسير المفسّر واجتهاده، فليس ما فقهه ابن عباس في الصّدر الأوّل للإسلام هو نفس ما فقهه الزّمخشري مثلا أو ابن عطية أو ابن عاشور فيما بعد..واستدلال فلاسفة الإسلام خلال بحثهم في العلوم القرآنية ظلّ موشجا - بصفة عامّة- بكتاب الله حتّى لا ينطوي على انحراف في المعنى ينأى به عن الدقّة.

ولأنّ تفسير الغريب من القرآن يهدف إلى الإدراك التامّ لمقتضى المعنى، كان لا بدّ من مقارنة ذلك بما يطابقه من غريب اللّفظ نفسه عند العرب القدامى والأعراب منهم خاصّة، أولئك الذين امتلكوا اللّغة

سليقة واقتدارا، وتقريرا لمعنى لمّاح يراودهم مراودة حريص على النّقاء والصّفاء وعمق الرؤية، ما داموا قد استحفظوا على لغتهم فصاحة وبيانا، فوفّوا.

ولعلّ الإمام جلال الدين السّيوطي حين قال في كتابه "الإتقان في علوم القرآن":

"وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه، فإنّه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصّحيحة".

إنّما كان يحيلنا على ابن عباس لأمرين أساسيين قد يمنحانه أهليّة تفسير الغريب، هما:

1) عروبة لغته، ومعاصرته لفحول المتكلّمين لغته القويمة في وجودها الآمن من التشويه، سواء من الصّحابة أو البُداة. وهو ما يخوّله الوعي بها وفهمها الفهم العميق.

2) إخلاصه لعلوم القرآن والحديث بشهادته للمورد العذب، قرآنا مُوحَى وسنّة شارحة. وأيضا ببحثه الدّائم عن الحقيقة، وامتلاك القدرة على استيعاب الدّليل المؤيّد، وتوفّره على ما يعينه على التّفسير في وقت مبكّر، من القرائن والأحوال بما جمعت شخصيّته ما توفّر في شخصيّة معاذ بن جبل.. وزاد عليه. فمعاذ حين قرّر الرّسول عليه السّلام إرساله إلى اليمن، قال له سائلا:

(فيم تحكم؟) قال: بكتاب الله. قال: "فإن لم تجد؟" قال: بسنّة رسول الله. قال: "فإن لم تجد؟" قال: أجتهد رأيي. فضرب الرّسول صدره، وقال: "الحمد لله الذي وفّق رسول الله لما يُرْضي رسول الله".

لذلك فإنّ أقوال ابن عبّاس فيما تناوله من غريب القـرآن كانـت تنمّ عن علم ودراية بمعانيها. ولا غرو، فهو ابن عمّ الرّسول ومن صـلبية العرب وترجمان القرآن الذي دعا له الرّسول قائلا: "اللهمّ فقّهـه في الـدّين وعلّمه التّأويـل". وفي التّأويـل انقـلاب محـوري يـؤدّي إلى معـايير الفهـم المقبول دون الإغراق فيه، باتباع المنهج التّفسيري اللّغوي الـذي لا يـشطّ ولكن ينطبق على المعنى انطباقـا عقلانيّـا موضـوعيا يطمـح إلى الـصّدق والأمانة والصّواب... وظاهر اللّفظ له باطن نتأوّله للتّوفيق بينهما. علـى أنّ الإيغال في التّأويـل لا يحرّرنـا مـن قيـود الـنصّ واللّفـظ الغريـب ولا يسعفنا بالأخذ بالفحوى المرتضى، أو المراد مـن الظّـاهر وصـولا إلى رأي سديد إلاّ أنّه قد يضطرّنا إلى الانحراف والرّمز وليس إلى منهج للفهم.

"ولهذا كانـت عمليّـة التّأويـل قائمـة دائمـا هنـاك حيـث يـضطرّ الإنسان إلى الأخذ بنصّ. ومن هنا لم يقتصر الأمر على الكتـب المقدّسـة، بل امتدّ إلى النّصوص القانونيّـة، وإلى الآثـار الأدبيّـة، حـين تـصبح ذات سلطة.

فحينما صار شعر (هوميروس) نـصّا ذا سـلطة، أخـذ المفكّـرون اليونانيّون والأدباء في القرن الخامس قبل الميلاد في تأويله..."[1].

واللاّفت حقّا أنّ غريب القـرآن لـيس لـه أجـل لوفاتـه. فهـو في التّحقيق والتّقريب قدوة. وقد يماثله من كلام الأعاريب لفظ، غـير أنّـه لا يبلغ وقعه في جملته ولا في دقّته وتلويحاتـه وتهذيبـه..حيـث يربـي غريـب القرآن على غريبهم ويتطاول عليه بريقا وسرّا وتأثيرا... لذلك فهو أوقـع في النّفس وأكثر إيغالا في المعنى المقصود، صيغة وتركيبا وصوتا..

---

(1) مذاهب الإسلاميّين: 1/ 10 – د/ عبد الرحمان بدوي – دار العلم للملايين – بيروت -

والألفاظ قد تتماثل أو تتشابه لكنّ ذلك صورة ظاهرة هنا، مؤزّرة بتلميحاتها وإيحاءاتها هناك. فلدى الأعاريب، مثلا، اللّفظة واردة في تركيبها، وقد تكسّرت في صدورها المعاني..وفي التّعبير القرآني تتألق وتفصح، عند معالجتها، منبئة بما عجزت الأولى عن الإعراب عن كنهه.

وللعربيّة أسرار وجوامع ولطائف وخصائص.. تجري في مجرى الأسلوب آيةَ إبداع، تلوذ بها إشاراتها إلماعا، وفتقا لما خفي، وفضحا لشجون الحديث، وإيماء أشرف من البوح، فإذا هي تخرج بك من العدم إلى الوجود...أو تضع الجمود طيّ الغموض والتّضمين... وإذا هي معالم يقْفو بعضها بعضا فيكون التّمثيل والتّنزيل... والإغراب والوضوح، واللّفّ والتّفصيل، والشّخوص والكمون... وتظلّ المعاني منهلا نسعى إليه من خلال اللّفظ لامتلاك فصاحة العرب البلغاء، فما بالك بالقرآن حين نقبل عليه مكتشفين وعورة الذّات اللّغويّة التي تجمع إلى سحر الأسلوب إيجازا ملقوحا بلواقح الإعجاز، وسهولة البلاغة في عبارة مشيّدة من يسر اللّبنات اللّغويّة واعتياصها. على أنّه بالمعاشرة والمصاحبة والمعالجة... ترفع عوائق التّعسير ممّا اشتمل عليه الغريب من دلالة محفوفة بسرّها فيطابق اللّفظ معناه، ويعانق الظّاهر الباطن، ونصل إلى البغية في نهاية المطاف.

فممّا يميّز غريب القرآن هو التحام اللّفظة بما تحمله من معنى التحاما عضويّا بجملتها ووحيها وتأثيراتها الدّاخليّة والخارجيّة... بمحتواها ومضمونها...

بذلك تصبح بوّاحة بسرّها أو قابلة للتّأويل ناشرة ظلالها وألوانها وكأنّما ترسم وجودا للمفردة في ذاتها المضموني وفي علاقتها بغيرها حين

ينصهر الكلّ في وحدة متكاملة. وعندئذ لا يبقى الغريب غريبا أو شاذّا أو ميتا...فالنّبض خفّاق في أوصالها جميعا، والمفردة حيّة متجدّدة لا يدركها الموت بالتّقادم أو الاستعصاء.

تلك هي العربيّة الخالدة على الزّمان وإن ظنّ بعضهم خطأ أنّها ذوت وشاهت. فقوّتها وصرامتها وخلجاتها دائمة الرّفيف لا تشيخ ولا تني ولا تطحنها المجادلة طحنها لغيرها من اللّغات، أو يغضي من سحرها وجماليّتها غريبها الذي لا يعاني فقر الأداء اللّغوي الذي يسقطها في الهاوية.

وباختصار فإنّ غرابة اللّفظ الجاهليّ تختلف عن غرابة اللّفظ القرآني اختلافا بيّنا نظرا إلى أنّ العبارة الجاهليّة وإن هي متينة شديدة الأسر، يتخلّلها من اللّفظ عويصه فهي مكثّفة كثافة ظاهريّة ومحدودة المعنى فكان الإلحاح على حتميّة المطابقة الدلالية للّفظة وتفريغها من أصواتها الدّاخليّة القابلة للتّأويل لأنّها ناشئة أساسا في بداوة منغلقة تسيطر عليها أجواء صحراويّة لم تلنها الحضارة، وكلّما أوغلت القبائل في بيدائها كلّما تقوقعت واتخذت لنفسها لغة تناسب حالها منقطعة عن الاتّصال بالآخر، فلم تنج منها إلاّ تلك التي شملها ترف البيئة أو شيء من ذلك وأصبح لها مع الحضارة سبب.

وربّما تكلّف بعضهم غريبه فنحا نحو المشقّة والعنف لغاية أو داعٍ يرتجيه، على أنّ لغته ستظلّ حبيسة المعنى مثل شظف ذلك العيش الذي لا يتيح لأهله الرّخاء والميسرة لتبقى ماحلة الصّورة والغرض والخيال، تعاني الغربة؟

فأين من ذلك غريب القرآن في يسره وطغيانه واتّساع مجالاته الدلاليّة والفكريّة، واتّساع معناه وشموليّته وعمقه.

وإذن فالغريب بات غربة هنا، وغرابة هناك تمسح الخصائص الفنّية واللّغوية والغرضيّة والدّلاليّة... .

وأيضا فإنّ غريب الجاهليّة قد اشتركت فيه قبائل وبطون كثيرة نسجت على نفس المنوال. واتّفقت أو اختلفت حوله، فيما تفرّد القرآن بغريبه وتميّز تميّزا واضحا وإن اتّفق لفظا مع مفردة جاهليّة لا تعدو في واقعها أن تكون لحاء لنواة لا تنبض فيها الحياة.

ولعلّ من أسباب ذلك أنّ القرآن غدا صورة للحياة العقليّة والدينيّة والأخلاقية والأدبيّة، ومنبعا ثرّا للبيان والمعاني والأساليب التي تفتن العقل والوجدان، وتبعث على التّأمّل وإعمال الفكر..فيكون غريبه على ذلك القدر من الفحولة والرّصانة والقوّة والإحكام..فتعالى عن غريب الأعراب المحكوم بالجفاف، المرسوف بقيود الغربة اللّفظيّة أوّلا، وبجمود المعنى ثانيا.. والذي ينكسر دون وضوح الغرض وامتداد الذّهن إلى التّوسّع والتّدقيق وقوّة الحجاج والحوار.. وإن كان هذا لا ينفي ثراءه المعجمي العجيب.

وغريب الشعر الجاهلي وإن أفادنا كثيرا جاريا على الفطرة والسّليقة، مسجّلا الطّبيعة وحوادث الأيام...فهو في أغلبه لم يحقّق العذوبة المنشودة ولا غنى المعنى...ولم يستطع السيطرة على الجملة ليتّفق اللّفظ مع المعاني والأغراض كمثل ما فعل غريب القرآن. كما لم يستحدث غريبه جديدا مثلما استحدث غريب القرآن. وأيضا لم يرسل علينا تلك الصّور البديعة التي أشاعها القرآن.

وعلى أيّ حال، فلسنا نحمّل الشعر الجاهلي وغريبه أكثر ممّا يحتمل لكن فقط، نريد في إلمامة قصيرة التّفريق بين الغريبين، فالشعر الجاهلي المحدود فيما أشرنا إليه آنفا، والمحدود نوعه لا يسعفنا بأكثر من ذلك، لعلمنا – وهذا جانب آخر – أنه شعر غنائي وكفى.

(Lyrique) يقتصر تقريبا على الوصف والبطولة والوقائع الحربيّة والتّعبير عن الخصومة والفخر والذّات تعبيرا حماسيّا مذهلا، وذكر الطبيعة والحيوان.. وإبراز الشعور الوجداني في تشبيب وغيره.. لكنّه لا يتجاوز ذلك إلى القصصي الملحمي المثير (Epique) إلاّ أن تكون ملامح باهتة. ولا إلى المسرحي التّمثيلي (Dramatique) الذي يفرغ المأساة أو الملهاة في قالب مسرحيّ مؤثّر شجيّ.

هذا الذي كان سيمنح غريبه ومعتاده أفقا أرحب للإشارات والدّلالات والصور الذهنيّة..قد تجافاه فخبا بريقه، كما تخلّى عنه الخيال وافتقر إلى النظر العميق والتّطويل والتّحليل والتوليد... فأصيب بالانكماش، وانعكس إيجازه وجزالته إذا شئت، حتّى على اللّفظ الغريب الذي لم يرحل بنا إلى البعيد ولم يتفلسف، وانحصر في وعثاء غير نديّة.

من أجل ذلك قد عذرنا نقّاد الأدب الذين تعلّق نقدهم بالبيت الواحد لا بالقصيد لأنّه لا يخوّلهم المضيّ مع الغرض الكامل والمعنى الشّامل..وعذرناهم في شرح الغريب شرحا معجميّا محدودا لا يكاد يتجاوز المعنى اللّفظي، إذ كان غريب الجاهليّة دالاّ على الغربة كدلالة حياتهم على الغلظة والإنزواء.



القرآن والشعر الجاهلي

لعلّ بعضهم يستنكرون أو يعارضون تفسير غريب القرآن بما جاء في أشعار العرب وأقوالهم، مرتابين، خشية أن يذهب الظنّ بأنّ لغة الجاهليّين أكثر كمالا. وهذا خطأ محض لا يقبله من يريد الاطمئنان إلى الدّراسة العلميّة الدّقيقة، لأنّ القرآن يتضمّن بعدا وتدقيقا لا تستوعبهما أذهان العرب، وتقصر عنهما فطرتهم التي فطروا عليها، كما يخفى عنهم ما بطن.

وإذا صحّ هذا الرّأي، فما بالنا نعود إلى المعاجم اللّغويّة نستشيرها ونستعين بها على شرح ألفاظ القرآن؟..

أليس الشّعر ديوان العرب ومعجمهم، منه نستقي وإليه نعود؟..

ثمّ لماذا نميل إلى التّجديف دون تمعّن؟ أليس رجوعنا إلى الشّعر الجاهلي السّابق لنزول القرآن أو المعاصر له دليلا على عظمة القرآن الذي أفحم، فرحنا نستنجد بما فيه نفع لنا، عسانا نهتدي لظاهره على الأقلّ وكأنّنا نعترف بأنّ البحر الذي زخر قد أعيانا السّبح في مجاهله فجنحنا إلى ما ينجينا، ولنعرف كيف نتعامل معه راجين الأمان؟

وأيضا... ما الذي يضير من يسعى إلى الفهم والإدراك أن يبحث عن القصد في لفظ مماثل، فلا يغيب المعنى في تلافيف القول..و ما العيب في أن نتلمّس المعنى لدى العرب فيما يتكلّمون حتّى وإن تغيّر ذلك المعنى جزئيّا أو تفصيليّا، فالمهمّ هو أن يحدث الوعي بالغريب الموحي؟..

وإذا كان كتاب الله هُدًى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان، فلماذا نستنكف عن شعر سبق نزوله، لنقارن ونتمعّن ونقوّم ونستنتج...

عسانا نصادف منهلا؟ ولماذا ينبض فينا عرق المكابرة فننصرف عمّا يقودنا إلى الحقيقة؟

ثمّ.. كيف توصّل عبد الله بن عباس إلى استيعاب غريب القرآن في وقت مبكّر لو لم يكن له سند من تراثه اللّغوي... وكيف قبل بطريقته ونهجه علماء تلوه فحذوا حذوه؟

على أنّنا إذا أقررنا تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنّة. ألا يحملنا ذلك على التّسليم بأنّ محمّدا عليه السّلام، وهو أفصح العرب، قد استفاد من لغة أجداده السّابقة لنزول القرآن، وبالتّالي استساغة تعاملنا نحن مع الشّعر الجاهلي للاستعانة على التّفسير – وهو ما يستنتج من قول الحافظ عماد الدّين إسماعيل بن كثير القرشي الدّمشقي: "فإن قال قائل: فما أحسن طُرُق التّفسير؟ فالجواب: إنّ أصحّ الطّرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن. فما أُجمل في مكان فإنّه قد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك، فعليك بالسّنّة، فإنّها شارحة للقرآن وموضّحة له.

والمعلوم أنّه قد وقع اللّجوء إلى غريب العرب عندما بدأت علوم التّفسير علوما ناشئة وبات من الضّروري النّظر في ذلك الغريب من جديد للاستعانة والاستئناس، لما له من بعد مأثور، ولكي يُسعف المفسّر بفهم أشمل وأدقّ لغريب القرآن.

ومن المعروف أنّ بناء الكلمة أو الجملة له ظواهر كثيرة، اختلف فيها الحديث عن القديم اختلاف صدر الإسلام فيها عن العهد الجاهلي، وإذن، فما يمنعنا من الرّجوع إلى القديم نستفتيه مادام متضمّنا جذور ذلك التّعبير؟

ومهما يكن الأمر، فنحن ننظر إلى هذا الغريب من اللّغة، في مستوى الاستخدام اللّغوي منذ كانت اللّغة العربيّة في عزلتها أو شبه عزلتها التي شكّلت عنصرا إيجابيّا محافظا عليها في حالتها الخام، حتّى على مستوى اللّهجات المنسوبة إلى قبائلها. وقد ارتبط جميع ذلك بالوجدان الشّعبي ارتباطا وثيقا، وكان هذا الوجدان أمينا على الفصاحة، حريصا على البقاء.. وكان التّشبّث قد أظهر جوانب كثيرة للمادّة اللّغويّة، وتنوّعا حدّد ملامحها وخصائصها في عصرها السّحيق...ثمّ ارتبطت هذه اللّغة بالدّين عند ظهور الإسلام الذي نزل دستوره عربيّا، فأصبح الاستخدام يعني تركيبة اللّفظة وإبداعها الفنّي، وإشارتها المتعلّقة بالمعنى..وقد شمل القرآن الغريب صورة ومبنى، وما كان الغريب دخيلا على اللّسان العربي. ومن ثمّ باتت له علاقة بالقرآن باعتباره كلام الله تدعم علاقته العضويّة بلغة الجاهليّين فكوّنت العلاقتان صلة متينة بالغريبين نشأ عنهما هاجس الاستعانة بغريب الأعراب للتّفسير والتّقريب..وللجواب على مدلول أو فكرة قد تحمل نفس الصّفة. وقد تخوّلنا معطيات جديدة حسب المواقف والأضواء كما تصلح لتفسير ظاهرة جزئيّة فيما أتى به القرآن. إلاّ أنّنا في كلّ الأحوال لا ينبغي أن نستخدم ذاك الغريب تعسّفا لتوضيح المراد ولا أن نلغي قيمته اللّغويّة والتّاريخيّة لما له من خصائص تدعو إلى فهم شيء.

وليس الغريب بشاذّ منفور كما يتبادر إلى الذّهن بداءة. إذ أنّ له جمالا كامنا فيه يدركه من يقف على خليّة إبداعه وهو يمارس سلطة اللّغة من خلال ما تزجيه من قيمة في التّفكير والرّؤية، كائنة في نسيج النصّ واللّفظة:

"وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب. وليس المراد بغرابتها أنّها منكرة أو نافرة أو شاذّة. فإنّ القرآن منزّه عن هذا جميعه، وإنّما اللّفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة، مستغربة في التّأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر النّاس. وجملة ما عدّوه في ذلك من القرآن كلّه: سبعمائة لفظة أو تزيد قليلا، جميعها روي تفسيره بالسّند الصّحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو ذلك المعجم اللّغوي الحيّ الذي كانوا يرجعون إليه، كان يقول رحمه الله: الشّعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"[1].

ومرَدُّ ذلك فيما أشرنا إليه من أنّ لغة قريش قد داخلتها لغات عربيّة أخرى. وقد اختلفت استعمالاتها بحسب مواطنها، وأخرجت بوّاحة بمدلولاتها المختلفة، مخرج الغريب من القول. وقد تحوّلت بعض معانيها وسياقاتها إلى المفهوم الإسلامي محمّلة بقرائنها وإشاراتها، فلزمها المعنى القديم أو فارقها.

"وكان الصّحابة – رضي الله عنهم – يسمّون فهم هذا الغريب: "إعراب القرآن" لأنّهم يستبينون معانيه ويخلصونها، وقد روى أبو هريرة في ذلك: " أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه"[2].

ومثلما ورد في القرآن غريب اللّغة، اندرج فيه من لغات الأقوام عدد كبير بلغت لدى العلماء أكثر من مائة لفظة (وليس ذلك بكثير في البحر العجاج).

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة: ص 71 مصطفى صادق الرّافعي.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة: ص 72 مصطفى صادق الرّافعي.

ويحتجّ من في قلوبهم مرض بأنّ القرآن يتضمّن ما هو غير عربيّ من لغات الفرس والرّوم والحبش والبربر والسّريان والقبط والعبران... وهي في الحقيقة ألفاظ عُرّبت وأصبحت فصيحة بما يسرّ للُغة الضّادّ من قدرة عجيبة على التصريف والاشتقاق والصّوغ والتّخريج على أوزان لغتها. وهذا ما يحسب للعربيّة حيث آمنت بالتلاقح والتّثاقف وحوار الحضارات...فسبقت غيرها إلى الانفتاح منذ عهد سحيق، وانخرطت في النشاط اللّغوي الإنساني دون عائق عنصري أو حائل من تعصّب.

" وإنّما وردت في القرآن، لأنّه لا يسدّ مسدّها (أي العربيّة) إلاّ أن توضع لمعانيها ألفاظ جديدة على طريقة الوضع الأوّل، فيكون قد خاطب العرب بما لم يوقفهم عليه، وما لا يدركون بفطرتهم اللّغويّة وجه التصرّف فيه. وليس ذلك ممّا يستقيم به أمر، ولا هو عند العرب من معاني الإعجاز في شيء لأنّ الوضع يعجز أهله، وهم كانوا أهل لغة"[1].

لكنّ أولئك المرضى إذ يحاولون تشويه القرآن والعربيّة عموما، لا يستحْيون في الوقت ذاته من تمجيد لغة الغرْب المشحونة بألفاظ عربيّة الأصل، ويعيبون على العربيّة احتضانها مفردات لا يوجد غيرها يغني عنها في مواقعها من نظم الآيات.

بيد أنّ القرآن اعتبر عربيّا رغم ذلك لأنّ العهد قد مضى على تعريب تلك الألفاظ – التي لا تعدّ كثيرة نسبيّا – فنالت صبغة العربيّة ونكهتها وأسرار معانيها الجديدة وبلاغتها...كما مازجت اللّسان الفصيح ففصحت. ثمّ نزل القرآن وفق السّائد المأنوس من اللّغة، وليس ذلك بضائره ما دام قد لهج بما صفا من الأكدار، مضفيا عليه الإعجازُ رونقا وجلالا.

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة: ص 72 مصطفى صادق الرّافعي.

الغريب إعجاز فكري

فلسفة الكلمة في المعجم ليست هي ذاتها في القاموس القرآني. والغرائب مثّلت في القرآن متانة التّعبير وقوّة التّأثير واضطرام المعنى... وهي لأجل ذلك تهزأ بمحاولات اللّغويّين، حين تتّخذ من معنى الباطن ما ترتجف له القلوب.

وسواء تحاورت مع الكون أو مع الكائنات فهي محيّرة، مخترمة للمنطق والعقل... وتبدو كأنّها سمة رمزيّة بين الإنسان وغيره من العوالم..وذلك هو الإعجاز.

فمثلا: لو تناولنا قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[1] لوقفنا أمام إرهاص من حوار الكائنات وهو يصوّر لنا ما حدث لأبرهة بن الأشرم وأصحابه (أصحاب الفيل) الذين أرادوا تدمير الكعبة المشرّفة بمكّة المكرّمة. فكانت الخصائص المستخدمة غير معهودة. وكان تصوير الحادثة أجلّ ممّا يمكن أن يساير العقل والمنطق.. ثمّ كان ذلك التّشخيص للطّائرات المدمّرة التي تبدو كأنّها استعارة ورمز، أو أسماء لكائنات حيّة

---

(1) سورة الفيل: 3 – 5.

ولم يكن الفيل معروفا عند العرب حتّى دخل (الفيل) بلادهم في غزو الحبشة للكعبة. وقد ذكره لبيد في شعره حين سمع أخبار الحادثة وتخيّله عظيما، فقال:

ومقامٍ ضيّقٍ فرّجْتُه ... ببيانٍ ولسانٍ وجَدَلْ

لو يقوم الفيلُ أوْ فيّالُه ... زلّ عن مثل مقامي ورحَلْ

مُنِحت القدرة على الإفناء بما لا يخطر لنا على بال.. فإذا هي جماعات متفرّقة تغزو.. وإذا هي حُزَم شبّهت الطّير في اجتماعها بالحَزْم الصوّال العاتي.. أو هي كما قال بعض علماء العصر: مكروبات خبيثة حملت إلى المهاجمين أذاها وكربها ووباءها الفتّاك.. وكأنّه ضرب من التّشبيه يدنينا من تصوّر الطّير في صفة بشريّة أو حيوانيّة تصمي إصماء وتهلك لينسحق المعتدي انسحاق العصف المأكول الذي لا ترجى بعده حياة، وقد صوّر على أنّه ورق نبات جافّ مضغته الأضراس وطحنته طحنا..وكانت الأجساد المبادة فُتاتا مثله بفعل الحجارة.

وإنّنا بقدر ما لا نعير كبير اهتمام لما قدّروه من أحجام الطّير، فإنّنا نلحظ كمال القدرة الإلاهيّة على الفعل المقدّر. على أنّ هذه الطّير الأبابيل كيفما تخيّلناها لا تساوي ما يحيلنا إليه التّعبير القرآني المتجاوز لحدود الفكر البشري بما يشيعه أو بما يشي به من هول ومن ملابسات تحفّ بالحدث.

وسواء قلنا إنّ الإصابة كانت بالجدري كما في رواية عكرمة أو الإصابة بوباء الطّاعون أو الميكروبات الوبائية كما يذهب إليه علماء العصر الحديث من الجانحين إلى المنزع العقلي، فسيظلّ المعنى صورة تقرّب الحدث إلى إفهام النّاس.

غير أنّ الذي نميل إليه ونعلق به هو التّصوير القرآني الذي جاء بغريب اللّفظ وغريب المعنى..وبتلك الموجة العاتية من التصوّر الذي يحملنا على التّأويل دون أن نبلغ المرام تجاه مدلولاتها ومنطقها، فلا يسعنا إلاّ أن نؤمن – فقط – إيمانا جازما ببديع قدرة الله.

وأين منّا – نحن البشر – تلك الصّيغة الدّلاليّة المعبّر عنها بالأبابيل التي تغطّي وجه السّماء وتخرق الأرض ومن عليها من أولئك الجُفاة، مسلّحة بحجارة من سجّيل، وهو حجر أصله طين. – وقد أخذ اللّفظ من الكلمة المعرّبة (سجّيل) – وليس حجرا صخريّا. وكانت جملة (ترميهم) حالا من (طيرا) وجاء بصيغة المضارع لاستحضار الحالة وكأنّها تحدث في زمان الحال.

لذلك، أليست المسألة نوعا من علاقة دلاليّة أوسع ممّا نتخيّل ونقدّر؟

أليست صورة تتجلّى فيها القدرة الإلاهيّة مقرّبة إلينا في حالة تجسيدية تحطّم الحواجز المتعارف عليها في معارك الكائن البشري وأدواته وأشيائه؟

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

من هنا نفهم أنّ القرآن بغريبه ومعانيه وأساليبه، قد أثّر تأثيرا بالغا في العقل البشريّ فانبلج فجر جديد على الآفاق العربيّة والإنسانيّة، وانشرحت الصّدور.

و"القرآن حافل بالعجائب مفعم بالغرائب، لا تنتهي غرائبه ولا تنقضي عجائبه، وهو سجلّ شامل ليبحث فيه من يشاء فلن يلقى نفسه إلاّ منهوما لا يشبع من القرآن. وهو كلّما وصل إلى نقطة مّا سيجد نقاطا أخرى تحتاج إلى استقراء وفضول إلى ما لا نهاية"[2].

---

(1) سورة الحشر:21.

(2) الإعجاز الفكري في القرآن: 15–د/ السيّد الجميلي.

وهـذه الغرائـب لا تقتـصر علـى لفظـة أو معنـى أو تربيـة أو تشريع..بل في كلّ ذلك وأكثر ممّا توصّلت إليـه مـداركنا، ومـا لم تتوصّـل وظلّ محجوبا في جانب من جوانبه.. في منطقه العلمي وبلاغتـه وفلـسفته ومعالجته النّفسيّة والرّوحيّة.. أو في ضروب أخرى من الإعجاز لم نبلغها.

وغريبه ظاهر في الكلمة (اسما كانت أو فعلا أو حرفـا) أو فيمـا عدا ذلك ممّا هو خارج عن نطاقنا في هذا الصّدد.

يقول الدكتور الجميلي: "الكلمة في القاموس القرآنـي لهـا معنـى كبير ورصيد عظيم من العناية والتّقدير، وقد استعمل القرآن كلمة غريبـة لأوّل مرّة أدخلها في حوزة اللّغة العربيّة في ثوب خلوده الأزلي، فكان لها البقاء والاستمرار لمّا أن خلع عليها هذا الثّوب الجميـل، والـذي أكّـد أنّ القرآن ليس من قول بشر. ممّا لوحظ في مواضع كثيرة في القـرآن اشـتراك ألفاظه في التّعبير عن معنى واحد وبألفاظ مختلفة – أي مـا اختلـف لفظـه واتّحد معناه – وفي ذلك المقام قـال مقاتـل بـن سـليمان في صـدر كتابـه المصنّف في هذا المعنى حديثا مرفوعا: "لا يكون الرّجل فقيهـا كـلّ الفقـه حتّى يرى للقرآن وجوها كثيرة[1]".

وقد فسّر بعض العلماء هـذا الحـديث علـى أنّ المـراد بـذلك أن يرى اللّفظ الواحد يحتمل معاني متعـدّدة فيحملـه عليهـا إذا كانـت غـير متـضادّة لا يقتـصر بـه علـى معنـى واحـد. ونـوّه آخـرون عـن ضـرورة استعمال الإشارات الباطنة وعدم الاقتصار على التّفسير الظّاهر.

---

(1) وذلك لأنّ دلالة كثير من ألفاظ القرآن الكريم ظنّيّة وليست قطعيّة مثل قوله تعالى:
﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: 288].
فالقُرْء هو الطّهر، وقيل هو الحيض. فدلالة اللّفظ على كلا المعنيين ظنّيّة وليست قطعيّة.

أخرج ابن سعد عن طريق عكرمة عن ابن عباس عن عليّ بن أبي طالب أنّه أرسله إلى الخوارج، قال: اذهب إليهم وخاصمهم ولا تخاصمهم بالقرآن فإنّه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسّنة.

والقول واضح في حروف العطف للوصل بين الجمل فالحرف في الكلمة ومع الكلمة له معناه وله دلالته القرآنية الدّقيقة التي لم ينسج على نوْلها كتاب سماوي عقائدي سابق.

قال تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾[1].

عطف الجملة الأولى بالفاء والأخيرة بالواو لمّا انقطع نظام الرّتب لأنّ التّلطّف غير مرتّب على الإتيان بالطّعام.

كما كان الإنسان به مرتبا على النظر فيه والنظر فيه مرتبا على التّوجّه في طلبه والتوجّه في طلبه مرتبا على قطع الجدال في المسألة واللّبث، وتسليم العلم له تعالى[2].

ومن هنا أعطي للحرف (حتى الحرف) مدلول ومعنى تتغيّر بهما أو بإحلال سواه مكانه أو في تراتبه وعطفه الوصلي بين الجمل..الدّلالة الدّقيقة. وهذا ما تنبّه إليه ابن عبّاس حين قال: في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[3]:

"الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم".

---

(1) سورة الكهف: 18، 19.

(2) الإعجاز الفكري في القرآن: 39، 40 – د/ السيد الجميلي – دار ابن زيدون – بيروت ودار أسامة دمشق.

(3) الماعون: 5.

ذلك أنّ قوله ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ صفة للمصلّين قيّدت حُكم الموصوف، فكان الويل للسّاهي عن صلاته لا السّاهي في صلاته أو المصلّي على الإطلاق.

"فيكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ ترشيحا للتّهكم الواقع في إطلاق وصف المصلّين عليهم.

وعُدّي (ساهون) بحرف (عن) لإفادة أنّهم تجاوزوا إقامة صلاتهم وتركوها. ولا علاقة لهذه الآية بأحكام السّهو في الصّلاة"[1].

"وقوله ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ يجوز أن يكون معناه الذين لا يؤدّون الصّلاة إلاّ رياء، فإذا خلوا تركوا الصّلاة.

ويجوز أن يكون معناه: الذين يصلّون دون نيّة وإخلاص، فهم في حالة الصّلاة بمنزلة السّاهي عمّا يفعل، فيكون إطلاق (ساهون) تهكّما كما قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: 142] في المنافقين في سورة النّساء"[2].

وإذا كان النّحاة قالوا إنّ حروف الجرّ تعمل عمل بعضها، و ينوب بعضُها بعضا، فالأمر يتغيّر في هذا المقام عندما يصبح المعنى القرآني قد أدخل تغييرا جذريّا بإبداله (عن) بـ (في) ليدلّ على معنى من المعاني التي مرّت، ويؤكّد أهمّية الحرف من الجملة و حساسيّته.

وهذا يبيّن ما للكلمة من أثر في البيان القرآني منهجا ومعنى. وما للكلام من وزن في خدمة الغرض.

---

(1) التحرير والتنوير: 30/ 567 محمد الطاهر بن عاشور.

(2) التحرير والتنوير: 30 / 568 محمد الطاهر بن عاشور.

وباختصار لقد جاء القرآن بغريب من المعاني بما لم يتكلّم بها دين قبله، ولا بلغتها عقول السّلف في العصور الخوالي. كما حارت فيها عقول بعده فقصرت دونها.. وثبت أنه لا أروع ولا أدقّ من هذه المعاني، ومن الفلسفات القرآنية سواء ما كان منها مباشرا أو غير مباشر، وسواء بلغتنا مشروحة أو استنبطناها بما أتيح لنا من دلائل السّنّة، أو من القرائن اللّغويّة والبيانيّة.

إنّه فيض من فيوضات الوحي الإلاهي الذي لا يطاوله ركام القول البشري المحدود الصّورة والعبارة والمعنى مهما استقام وعلا. لأنّه أعجز من أن يبلغ التّدقيق المعبّر عن مسالك الحياة والضّمير و الفعل والعقل جميعا، أو عن علاقة الخالق بالمخلوق وعلاقة الحقيقة الإلاهيّة بالعالم وبموازين الكون.

لذلك فخصائص التّعبير القرآني أجلّ من أن تحدّ. إذ أنّ الكلمة الواحدة – ولا سيّما غريب القرآن – موج هادر لصورة ومعنى ونغمة.. فالكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة، تبعث نبضا يوحي إلينا بأنّه صورة ومعنى جليل، وخطّ مرسوم، وظلّ ولون، وسبيل إلى الدّنيا والآخرة والحياة والموت..ونموذج من نماذج التّعبير فوق الزّمان والمكان والعقل والرّوح...

إنّه الإعجاز والتّحدّي.



القرآن معجز في غير الغريب أيضا

نريد أن ننبّه أوّلا إلى أنّ الإسلام قد طالب كلّ آخذ بالحديث النّبوي الدّليل على ما يقوله وما يعتقده و بثّ فيهم من روح النّقد ما لا يسمح لهم بأخذ شيء قبل أن يَزِنوه بقسطاس العقل ويمتحنوه بمحكّ النّقد[1].

وإذا كان المسلمون الأوائل قد بلغوا هذا المبلغ من النّقد بالنّسبة للأحاديث النبويّة، فهل تراهم يسمحون لأنفسهم بقبول الشكّ أو الرّواية الضّعيفة في كلام الله؟

وبناء على ذلك فما لدينا من القرآن الذي بدأ جمعه وحفظه منذ عهد الرّسول هو الوحي المنزّل لا ريب. ولتسليمنا بذلك تبيّن أنّه معجز لا محالة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[2].

وآية إعجازه أنّ العرب انصرفوا عن معارضته وإبطاله مذعنين ولم يصرفهم الله عن ذلك بل تحدّاهم فوقعوا للعجز الفظيع وبهتوا.. كما

---

(1) دائرة معارف القرن العشرين: 7/ 668 مع تصرّف قليل.

(2) سورة البقرة: 23-24.

طالبهم بأن يأتوا بسورة من مثله فركنوا إلى الاستسلام لّما سمعوه، ولم ينكر تأثيره وسطوته من كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد.

"وقد ذكر في كون القرآن معجزا طريقان: الأوّل أنّه إمّا أن يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء أو زائدا عليه بما لم ينقض العادة أو بما ينقضها. والأوّلان باطلان لأنّهم وهم زعماء وملوك الكلام تحدّوا بسورة منه مجتمعين أو منفردين ثمّ لم يأتوا بها مع أنهم كانوا متهالكين في إبطال أمره حتّى بذلوا النّفوس والأموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا في الحميّة والأنفة إلى حدّ الإعجاز فقد حصل المقصود وإلاّ فامتناعهم عن المعارضة مع شدّة دواعيهم إلى توهين أمره معجز. فعلى التّقديرين يحصل الإعجاز"[1].

وذلك برهان على أن القرآن قد بلغ الغاية في الفصاحة، وأن أسلوبه ونظمه المؤثر جدّا في القلوب قد مثّلا الجلال والكمال. وهو ما قام دليلا على نبوّة محمّد من جهة وعلى أنه كلام الله من جهة أخرى. حتّى لا مجال فيه للتّخيّل والنقصان والتنافر..فأنت ترى أنّ المكرّر في القرآن هو بمنزلة الأول من الفصاحة وهو آت بسرّ جديد ومعنى، ولو كرّر أديب أو شاعر قوله لما عادت ملاحة شعره في مكرّره، أو لأصابه عطن البلاغة، وما جرى على قوانين اللّغة العربيّة بنفس السّلامة والصّواب.

وشيء آخر هو:

---

(1) دائرة معارف القرن العشرين: 7/ 668 نقلا عن تفسير (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للعلاّمة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري.

أنّ في الجاهليّة تكلّم العرب كثيرا..وأبدعوا ما شاء لهم الإبداع أن يفعلوا لكنّهم ظلّوا ينشرون الظّاهرة دون تعمّق، ويصوغون نماذج لا تعتاص معانيها عن الأذهان في عصرهم.. كما كانوا يضعوننا أمام وجود منغلق رغم أنّه وجود المبادئ والفتوّة والتّضحية بالنّفس..

كما كانوا يبثّون خلال شعرهم إرادة، أو روحا ظامئة للحياة، ظامئة للموت إلاّ أنّه ظمأ يصهد حشايا الكلمة دون أن يصعد به الفكر إلى الوعي بالكون وبالإنسان في الكون..

حتّى الحكمة عندهم لا تكاد تتجاوز حدود المعرفة بتجارب الحياة.. فالانتصار على الأيام هو انتصار على القسوة المادّية في سعي ومأكل ومشرب. وإثبات لذاتٍ بين القبائل المتلاطمة في عنفوانها وأهوائها وقدرتها على الصّراع وردّ الأذى.

أو كما قال ثابت بن جابر المعروف بتأبّط شرّا:

قليل التّشكّي للمُلمّ يصيبه   كثير الهوى شتّى النّوى والمسالك

فلمّا جاء الإسلام، حدث شيء في التّكوين الرّوحي، وأصبح القول المحمّل بأبعاده الذّهنيّة والإيمانيّة والفلسفيّة مدهشا ومحيّرا كما أصبح يهتمّ بعالم الغيب والشّهادة، ينبجس فيه الوعي بالذّات التّاريخيّة والحضاريّة والإنسانيّة..كما يجب أن تكون في علاقتها الخاصّة، وعلاقتها بالكون والمجتمع، وبما وراء الطّبيعة المشخّصة، والغاية من الوجود واقعا وتطبيقا واستعدادا.. ماضيا وحاضرا ومستقبلا..وما ينشأ عن ذلك كلّه من تصوّرات فلسفيّة..

أو هو ذلك الذي يطلق عليه الدكتور عفّت الشّرقاوي: الهويّة الرّوحيّة..والإنسان في الزّمان.. بما يدخلنا في مفهوم التاريخ الذي هو فكرة أساسيّة في القرآن الكريم.

يقول الدكتور معلّلا افتقار المجتمع الجاهلي لهذه المفاهيم إلى أن جاء الإسلام فمنحه هويّته الرّوحيّة: "..رأينا في فصل سابق كيف افتقد المجتمع العربي قبل الإسلام المفهوم الكوني الواضح للتّاريخ الذي يربط بين ماضي الحياة وحاضرها على أساس روحي عميق، أو فلسفي شامل، وذلك لافتقاده وعيه بذاته الحضاريّة المستقلّة، وتشتّت هذا الوعي بين التّصوّرات القبليّة للماضي وما يرتبط بها من قصص الأيّام والأنساب – وبظهور الإسلام دينا عالميّا من جهة، وتنظيما سياسيّا شاملا من جهة أخرى، توسّعت فكرة الرّوابط الاجتماعيّة بين الأفراد، فبدأ إحساس الجماعة الإسلاميّة الوليدة بذاتها الحضاريّة الخاصّة في الظّهور، وأخذت بواكير الشّعور التاريخي طريقها إلى ضمير المسلم، فشرع المسلمون في الاهتمام بالتّاريخ تدريجيّا، ثمّ تزايدت عنايتهم به بعد ذلك لأسباب متعدّدة، حتّى بلغوا في ذلك شأوا بعيدا كما هو معروف"[1].

ولنا أن نرتدّ إلى مجتمع الجاهليّة لندرك أنّ ما قيل كان صحيحا.. ولنأخذ مثلنا من الأعشى الأكبر ميمون بن قيس. أو "أعشى قيس" و "أعشى ربيعة" الشاعر الجوّالة الذي كان ينشر أشعاره وأفكاره على نطاق واسع في الجزيرة العربيّة..فهذا الشاعر، وعلى الرّغم من أنّه يمتاز بصناعة شعريّة عالية..وبأنّه متين السّبك، بصير بمواقع الألفاظ، فقد كان يذكر الموت والدّهر، ويلمّح تلميحاته الدّالة على معرفة ودراية.. لكن ذلك كلّه لم يكن يعدو الظّاهر المادّي والحسّي. عاريا عن معنى الشّعور المرتبط

---

(1) في فلسفة الحضارة الإسلاميّة: 246، 247. د/ عفت الشرقاوي – دار النهضة العربيّة – بيروت.

بتصوّر فلسفي أو حضاري، أو بالتّيه في فلسفة الموت والفناء والوجود، وفعل الدّهر بالنّاس.. ولا نكاد نجد غير ذلك القناع الزّاهي الذي لا يشي بالحسّ التاريخي..فاستمع إليه يقول:

فمُوتوا كراما بأسيافكم ولَلْموْتُ يَجْشَمُه من جَشِمْ[1]

وأيضا قوله:

فإنْ يُمْسِ عندي الشّيبُ والهَمُّ والعَشى فقد بِنَّ منّي، والسّلاَمَ تفَلَّقُ[2]

وقوله:

بأشجَعَ أخّاذٍ على الدّهر حُكْمَه فمِن أيّ ما تجني الحوادِثُ أفْرَقُ؟[3]
فما إن دامت عليك، بخالد كما لم يُخلَّدْ قبلُ ساسا وموْرقُ[4]
وكِسْرى شهنْشاهُ الذي سارَ مُلكُه له ما اشْتَهَى راحٌ عتيقٌ وزنْبَقُ[5]
ولا عاديًا لم يمنع الموتَ مالُه وحِصْنٌ بتيْماءِ اليهوديِّ أبْلَقُ[6]

ومثل ذلك قول عنترة بن شدّاد العبسي:

---

(1) جشِم الأمر و به: تكلّفه على مشقّة.

(2) بنَّ: من بان = ذهب وفارق – السّلام: حجارة دقيقة الأطراف.

(3) اشجع متعلّق بـ (بنّ) وهو الجسيم – وأفرق: أخاف .

(4) ساسا: ساسان جدّ أزدشير مؤسّس دولة الساسانيّين الفرس سنة 223م- مورق: موريقي من ملوك الرّوم (582-602).

(5) شاهنشاه: ملك الملوك (في لغة الفرس).

(6) عاديا: والد السّموأل – الأبلق: اسم الحصن وبانيه عاديا والد السّموأل.

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الحُتُوفَ، كأنّني أصبحتُ عن غرَضِ الحُتُوف بِمَعْزَلِ[1]
فأجبْتُها: إنّ المنيّة منهلٌ لا بُدَّ أنْ أُسْقَى بكأس المَنْهَلِ[2]
فاقْنِي حَيَاءَكِ، لا أَبالَكِ، واعْلَمِي أنّي امْرُؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقْتَلِ[3]
إنّ المنيّة لوْ تُمثَّلُ مُثِّلَتْ مثْلي إذا نزلوا بِضَنْكِ المَنْزِلِ[4]

وبتأمّلنا هذا الشّعر فإنّ التفكير في سطحيّته لا يعنينا كما لا يعنينا ظاهره المتعلّق فقط بالنموذج الدّنيوي البسيط وبالتّصوّر الجاهلي في تجسيد القيمة المادّية للموقف الدّنيوي البحت، الذي قد يحمل معنى وعظيًا. كما في مثل قولهم:

أين الملوك ومن بالأرض قد عمروا قد فارقوا ما بنوْا فيها وما عمروا
وأصبحوا رهن قبر بالذي عملوا عادوا رميما من بعدما أثروا

وبمجيء القرآن أصبح لمفهوم التاريخ في القرآن والسنّة شأن آخر" وكما فهمه المجتمع الإسلامي الأوّل من جهة أخرى. أي في جانبيه، النظري الغيبي المتمثّل في النّصوص القرآنية والنبويّة، والواقعي التّطبيقي المتمثّل في فهم المسلمين بعد وفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لهذه النّصوص واستجاباتهم العمليّة التّاريخيّة لها.

---

(1) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.
(2) المنهل: المورد.
(3) اقني: احفظي ولا تضيّعيه.
(4) أي أنّ المنيّة لو أمكن أن تظهر صورة لاتّخذت هيئتي، لأنّي أظهر أمام أعدائي على شكل الموت. وذلك حين ينزلون ضَنْك المنزل (القبر الضيّق).

وموضوع التاريخ كما هو معروف، هو الإنسان في الزّمان. ولذلك فإنّ التّحليل الأوّلي لفكرة التّاريخ في القرآن الكريم ينبغي أن تبدأ بالتوقّف عند هذين المفهومين فيه – أعني الإنسان و الزّمان – قبل المضيّ في دراسة المقوّمات الأخرى التي ساعدت على تحقيق الشعور بالذّات الحضاريّة الوليدة، وما يرتبط بهذا الشعور من تصوّرات فلسفيّة خاصّة[1].

ولمفهوم الزّمان في القرآن معنى أعمق من انطباعنا العابر عنه كرمز للفناء، وفهم الدّهر والزّمان حسبما تُصوّره اللّغة مرتبط بالألم والشّقاء والفناء والمحاق.. أو بالجهد في رحم الزّمان المندثر لا محالة..

فالدّهر: الزّمان الطّويل والأمد الممدود، وألف سنة، والنّازلة، والهمّة، والغاية، والعادة والغلبة... [2].

والزّمن: العصر واسمان لقليل الوقت وكثيره، والحبّ والعاهة.

وزَمِنَ: أي زمان، وأزمن أتى عليه الزمان[3] والزّمانة العاهة، وآفة الحيوان...

والحِينُ: الدّهر أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان، طال أو قصر (سنة، أو سنوات، أو أشهر)..وكلّ غدوة وعشيّة.

وقوله تعالى: " فتولّ عنهم حتّى حين " أي (حتّى تنقضي المدّة التي أمهلوها).

وحيّنه: جعل له حينا. وحان حين: قرب وآن..وحان السّنبل: يبس.

---

(1) في فلسفة الحضارة الإسلاميّة: ص 247، د / عفّت الشرقاوي.

(2) القاموس المحيط.

(3) القاموس المحيط.

والحَيْنُ: الهلاك والمحنة..وقد حان وأحانه الله – والحائنة: النّازلة المهلكة...[1].

ويومٌ: جمعه أيّام..ويوم أيْوَمٌ وَ يَوِم: شديد – ويوم ذو أيام : شديد. أو آخر يوم في شهر – وأيام الله: نِعَمه – وياوَمَهُ مُياوَمَة: عامله بالأيّام – ويوم ذي قار: يومٌ لبني شيبان انتصرت فيه العرب من العجم – و (يوم شهْوَرَة) من أعظم أيّام بني كنانة.

والسّنة: العام، وأسنى القوم: لبثوا سنة – وأسْنتوا: أصابتهم الجدوبة.

وكلّ هذه فواصل زمانيّة ينصبّ الفكر فيها على النّهاية.

والزّمان عند عبد الرّحمان بدوي له تفسير آخر، وقد تناوله على ضوء فلسفة الزّمان في المذهب الوجودي المعاصر. قال في كتابه: "الزّمان الوجودي":

وجود أو لا وجود. تلك هي، المسألة هنا أيضا.

فإن كان وجود، فلا بدّ من الزّمان، أمّا بغير الزّمان، فثمّت لا وجود. ولا واسطة بينهما... ولهذا فنحن نرفض كلّ محاولة لاستبعاد الزّمان على أيّ نحو كان هذا الاستبعاد. والزّمان هنا هو العلّة في تحقيق الإمكان. والإمكان لا متناهٍ. واللاّمتناهي لا يمكن اجتيازه، فتحقيق كلّ الإمكان مستحيل، ولّما كانت السّعادة لا تتمّ إلاّ بأن يحقّق الوجود كلّ إمكانياته، فالسّعادة بالكلّية وَهْم. وبهذا نفسّر السّرّ في تصوير الزّمان على أنّه مدمّر، قاض على الأشياء ممّا يتمثّل بوضوح في قول القائلين: ﴿وَمَا

---

[1] القاموس المحيط.

﴿يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾[1]. مّا جعل الدّهر هدفا لأشدّ اللّغات وهذا أظهر ما يكون في أدبنا العربي، على الرّغم من تحذير النّبيّ في الحديث المنسوب إليه القائل:

"لا تسبّوا الدّهر، فإنّ الدّهر هو الله"...وطابع الإشْقاء هذا الذي يُعْزَى إلى الزّمان هو ما نعتوه باسم "آفة الزّمان" أي الزّمان مصدر للشرّ والشّقاء"[2].

ثمّ يمضي فيقول في تفسير هذه الظّاهرة من النّاحية الوجوديّة:

"إنّ الزّمان هو الذي فيه و به يتمّ الفعل، وتحقيق الفعل فيه سلب لإمكانيات، وهذا السّلب معناه أنّ التّحقّق لن يكون كاملا، ونقصان التّحقّق يفضي إلى الشّقاء. ولا سبيل كما رأينا إلى القضاء على هذا الشّقاء ما دام مصدره الزّمان..."[3].

وهو تفسير مقبول إلى حدّ من وجهة نظر الفلسفة الوجوديّة، وهو "يصدق حين يفتقد الإنسان الإحساس بالغاية في الوجود، كما حدث في العصر الجاهلي، حينئذ يبدو كلّ وجود غير الوجود المتزمّن بالزّمان وجودا باطلا كلّ البطلان، ويعجز الإنسان عن إدراك السّرمديّة المضادّة للزّمانيّة التي هي مصدر كلّ سعادة كلّية"[4].

---

(1) سورة الجاثية: 24 ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾.
و "الدّهر في الأصل: اسم لمدّة العالم من بدء وجوده إلى انقضائه، ثمّ يعبّر به عن كلّ مدّة طويلة.
وهو بخلاف الزّمان الذي يقع على المدّة القصيرة والطّويلة". معجم ألفاظ القران: 1/ 422، مجمع اللغة العربية.

(2) الزّمان الوجودي: 253 – د/ عبد الرحمان بدوي – دار الثقافة بيروت.

(3) الزمان الوجودي: 253 د/ عبد الرحمان بدوي – دار الثّقافة بيروت.

(4) في فلسفة الحضارة الإسلاميّة: 255، د/ عفّت الشّرقاوي.

وعليه فينبغي أو يجب أن لا نتناول المعنى فقط بالوجود في الزمان، ونلغي فكرة اللاّزمانيّة كمصدر لكلّ وجود يأمل في الخلود، لا باعتباره قلقا على المصير بل باعتباره خاتمة جهاد وجزاء عمل. "فإنّ الوجود المتزمّن لا يصبح شرّا مطلقا، كما فهم الوجوديون، بل يصير كلّ ما فيه من شقاء وألم في الحسّ الإنساني نسبيّا موقوتا مرتبطا بالغاية الكلّية التي تتحرّك نحوها الأشياء شوقا"[1].

على أنّ القرآن قد تعدّدت مقاصده في معنى السّنة والحين والزّمان عموما... "فإنّ القرآن الكريم كان واضحا في التفرقة بين ضربين من الوجود هما: الوجود المتزمّن والوجود اللاّمتزمّن، وربط بينهما ربطا فلسفيّا عميقا يقوم على العلاقة بين الخالق والمخلوق، والنّسبي والمطلق. ومن هنا فقدت فكرة الزّمان في الضّمير الإسلامي أو يجب أن تفقد كلّ ما تعلّق بها من معاني الألم والمشقّة والنّقصان كما تصوّرها الجاهليون، وكما يميل إليها الفيلسوف الوجودي الحديث"[2].

فالدّهر في القرآن تجرّد من المفاهيم الموحية بشيء معيّن.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[3].

آية تبدأ باستفهام يفيد التّحقيق، معناه: هل يقرّ كلّ إنسان موجود أنّه كان معدوما زمانا طويلا.

" والدّهر: الزّمان الطّويل أو الزّمان المقارن لوجود العالم الدّنيوي.

---

(1) في فلسفة الحضارة الإسلاميّة: 256، د/ عفّت الشّرقاوي.

(2) في فلسفة الحضارة الإسلاميّة: 256، د/ عفّت الشّرقاوي.

(3) سورة الإنسان: 1.

والحين مقدار مجمل من الزّمان يطلق على ساعة وعلى أكثر[1].

وقيل: يطلق على عشرات السّنين.

والسّاعة في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[2].

لا تعني السّاعة التي نفهمها، بل هي قرب حلول السّاعة فيما يأتي من الزّمان لا نعلمه بالضّبط.

"وهو قرب نسبي لما مضى من الزّمان ابتداء من خلق السّماوات والأرض" ولا مجال لتحديد المدّة هنا لأنّها فوق علم الإنسان.

كما أنّ (اليوم) أصبح له معنى غير مدرك منّا. فيوم القيامة ليس كما نظنّ ونقدّر، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[3].

فإذا كان اليوم لا يعني الفسحة الزّمنيّة المحدودة فيما تعارفنا عليه. وكانت (ألف) مبهمة لدينا ونحدس فيها حدسا. وكانت السّنة كذلك. فأيّ قوّة إعجازيّة هذه التي نُواجهها؟

وأين نحن من ذلك وغيره لا سيّما إذا عرفنا أنّ الزّمان في الحسّ الإسلامي لم يعد ضائعا مع الأيّام: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[4] فلا شيء يضيع ما دام قد حفظ.. ولا يبقى القلق الوجودي إلاّ سمة من سمات الشّعر الجاهلي الذي ركن إليه الذين لا يعلمون ولا

(1) التحرير والتنوير: 29/ 372، محمد الطاهر بن عاشور.

(2) سورة القمر: 1.

(3) سورة المعارج: 4.

(4) يس: 12.

يؤمنون حين أفسدهم داء دويّ في حياة الغفلة صرف همّهم عن الحقّ فوقعوا في مصارع التّيه والضّلال.

إنّ هذه التّوطئة التي طالت لتحملني على أن أضرب مثلا لما عليه القرآن العظيم من إعجاز. وقد قلت لك إنّه معجز في غير الغريب أيضا لأنّ الضّعف الإنساني كان واهنا أمامه منذ اللّحظة الأولى لنزوله وواصل عجزه مدى الدّهر، وفي اشدّ حالات الإنسان معرفة وعلما.

وما دمنا قد نبشنا هنا عن الزّمن الذي قال فيه القرآن كلمة بعيدة الغور عسيرة على الأفهام... والذي حدّد حقيقة الحوادث المادّية في الزّمن، وهي لا تملك من الزّمن إلاّ أجلا مسمّى. فإنّنا لذلك نقرّ بأنّ كلّ الفلاسفة القدامى والمحدثين لم يأتوا بمثل ما أتى به القرآن في هذه القضيّة التي كلّما نوقشت في ضوء القرآن ازدادت نصاعة وغرابة وانتفى كلّ فكر مخالف لما جاء به من علاقة الخالق بالمخلوق مرتبطة بحقيقة الزّمن قيمة وهدفا ومعنى، وبالمكان والمادّة.

وقبل أن نختم نرى من الفائدة والنّفع، اقتباس شيء ممّا تفضّل به في هذا الصّدد الأستاذ محمد العفيفي متحدّثا عن "معجزة القرآن"[1]. وكان حقّا علينا تقديره لما برع فيه من استدراج العقل لتوضيح أمر عويص: "...وبقي أنّ علاقة المكان، وهو المادّة المرئيّة، بالزّمان وهو أوّل طريق الغيب، هي نفسها علاقة الحادثات التي لا تملك من الزمن إلاّ أجلها المسمّاة "بالحقّ" أي بالبقاء الأبدي. هذه قضيّة الزّمن التي أوسعت الفلاسفة وهما وحيرة وعنتا، منذ حيّرت أرسطو فاحتار في أمر الزّمن،

---

(1) منبر الإسلام: ص 49. عدد9 لسنة 1974.

وهو ما يراه سابقا للحوادث وباقيا بعده دون أن يفطن إلى أنّ الزّمن هو البقاء، وإلى أنّ البقاء هو من صفات الله، فالزّمن إذن من صفات الله.

ولقد حيّر الزّمن الغزالي نفسه، من أئمّة الفكر الإسلامي، فقال إنّ الزّمن لا وجود له، إلاّ بوجود المخلوقات التي تشعر به وتعانيه.

ولعلّنا بحاجة إلى تكرار ما سبق منذ قليل من حقيقة أنّ الحوادث في علاقتها بالزّمن، إنّما تعاني التّزامن. أي تعاني علاقتها المحدودة، بصفة البقاء الإلاهي غير المحدود.

بل إنّ "كانْ" صاحب الفلسفة النّقديّة، الذي توسّع بين العقليّين والتّجريبيّين، ليغلّب قضيّة الوجود المادّي التّجريبي، على قضيّة الغيب، حتّى يرى الزّمان صورة بلا حقيقة، لفي حاجة ماسّة إلى قراءة القرآن ليفهم ويتعلّم.

ولقد رأى "برجسون" صاحب الفلسفة الحدسيّة، أنّ الزّمن خطوط مستقيمة كخطوط الضّوء. وخطوط الضّوء في حقيقتها لا يمكن أن تكون مستقيمة، والأرض التي تتلقّاها دائرة حول مصدرها وهو الشّمس. والشّمس وهي بمثابة النّواة، في ذرّة المجموعة الشمسيّة. فهيهات أن يصل برجسون إلى حقيقة الزمن أيضا بغير صلة بالقرآن.

إنّ الزّمن لم تتّضح حقيقته في أيّ فكر بشري.

ولم يتّصل بحقيقته المطلقة ليحدّد بالتّالي حقيقة الحوادث المادّية التي لا تملك من الزّمن إلاّ آجالها المسمّاة، كما يقول القرآن العظيم، حيث يبيّن أنّ الخلق تحقّق بالحقّ، والأجل المسمّى. والحقّ هو إحاطة الله "والأجل المسمّى" هو معاناة المادّة المحدودة للبقاء غير المحدود. إنّ الحقّ هو البقاء الأبدي، أي الزّمن على إطلاقه، ونحن والمخلوقات جميعا في آجالنا

المسمّاة، تتحرّك طلبا للبقاء دون جدوى. إلاّ ما كان من أجل مسمّى، حدّده الحقّ سبحانه لكل مخلوق من مخلوقاته".

ونعود الآن إلى ما بدأنا به الفصل عن القرآن المعجزة والإعجاز لنقول معتذرين عن الاستطراد: لسنا نعني أنّ هذا الإعجاز هو ما يتعلّق بالأسلوب والبيان أو ما يتّصل باللّغة.. ولكن في جميع أسراره التي عرفنا وما لم نعرف. وما أوتينا منها إلاّ قليلا.

لذلك فأنا لا أطمع أن أقتحم الشّعاب متلمّسا الجوانب الخفيّة، ولا أطمع أن أسبر أغواره في تراكيبه وإشاراته، وفيما يتعلّق بآفاق الكون الذي تحاوره العلماء طويلا وانحطّوا دون تفسيره وإن طرقوا منه الصّعب الشّديد، وبلغوا منه ما أسعف به الجهد والمعرفة والعلم، وانبسط لكثيرين منهم ظلّ راح على الدّوام هزيلا.

ولكنّي مكتف بشيء بسيط يحمل دلالة..فالقرآن على درجة عليا من البلاغة والعلم والقوّة والغموض والوضوح.. وقد اجتمع على وجوه عدّة ومسائل شتّى لا يستطيع خوض عبابها غير العلماء..لذلك لا استطيع أن أقول إلاّ أنّه معجز وأنّه الإعجاز ثمّ أمضي.

بيد أنّ الجسارة لتحملني على الإتيان بشيء دالّ، وعليه يقاس، فأضرب مثلا للّذين يتفكّرون علّهم ينضمّون إلى رعيل الإقرار بالقرآن المعجزة.

فلننظر – إذن – كيف يرتقي الكلم الإلهي صعدًا إلى أسمى درجات الكمال فتجتمع له في آية واحدة روعة المبنى والمعنى والأسلوب والتّوقيع والصّورة الحسّية والصّورة المعنويّة..وغير هذا ممّا لم أذكر من ظاهر وباطن، ومن علاقة بينهما... وهذا أمر محيّر معجز...

والآن تعال معي نقرأ ونتدبّر قول صاحب الجلال والعزّة:

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

مثل عجيب يضربه الله لنفَقة الرّياء وهو مقابل لمثل عجيب آخر في الآية السّابقة يتعلّق بالنّفقة في مرضاة الله.

وفي هذه الآية صورة رائعة جدّا لاكتمال رجاء أحدهم بإنتاج جنّته الوارفة المخضلّة الخصيبة المثمرة، التيّاهة بالريّ والنّماء.. تلك الجنّة المعطاء ذات الرّيع العظيم الحافلة بمزايا البهجة مشهدا وإنتاجا، كان صاحبها في أشدّ الحاجة إليها. فهو رجل كبّار، له ذرّية صغار (ضعفاء، والضّعيف هو القاصر أو الفقير) وفي حالة عجز، لا قدرة له على الكسب إلاّ أمل الرّخاء في جنّته. وهي صورة شاملة لحالة مفصّلة عن الجنّة وصاحبها المحتاج، تحملنا على شوق كبير للتطلّع. كما يبرز فيها أعظم الترقّب لبائس متلهّف لثمرة جنّته.. وفي قمّة التّفاؤل والرّجاء بالخير والمنفعة، وفي غمرة النّشوة بما سيجيء، يصيب الجنّة إعصار محرق (ريح سموم تقلع الأشجار). ولم يكن إطلاق الإعصار على الحالة، بل هو إعصار محمّل بريح السّموم التي طافت على الجنّة فاحترقت وأصبحت أثرا بعد عين لأعواد ميتة تحت درجة الجدب.

---

(1) سورة البقرة: 266.

هنالك تكون الخيبة المدمّرة والصّدمة الكاسحة واليأس لصاحب الجنّة الذي يصاب بعجز فادح عن الإنقاذ ودرء الخطر، ويصبح الهلع النفسي ذا باس شديد يطبق على صدره.

وهنا نواجه إعجازا في آية نلحظ فيها فضائل كثيرة لم نعهدها. أجل..في آية واحدة:

* استفهام إنكاري "أيودّ أحدكم.." كمثل (أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميّتا) فيه تنبيه وتحذير.
* هيئة مشبّهة محذوفة (هيئة المنفق رياءً ومنًّا وأذًى كَالذّي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ" لرجل لم يعمل بطاعة الله ولجأ إلى المعصية.
* تشبيه بليغ "إعصار فيه نار" فكان لفظ النّار معبّرا عن الحرّ الشّديد، كمثلٍ يُضرب لعمل خاسر أحرقه صاحبه بسوء ما فعل.
* صورة مستهواة تقرّب المعقول من المحسوس في حالة تشخيصيّة عجيبة. والتّنبيه من الوقوع في الغفلة.
* اتّساق بين فنّيْ الرّسم المعبّر في جلاء، والفنّ التّمثيلي المتحفّز، المستدعي لكلّ الشّواعر والمعاني والعقل والوجدان.
* صورة بشعة مقحطة، ونهاية بائسة محزنة تحدث لمن قضى على شرف الصّدقة وجلالها، فانسحق بعد رغد ورجاء مأمولين، فاقدا كلّ عون وشدّ أزر. وكان العالم الحسّي موحيا أعظم الإيحاء بالمصير الفاجع لحياة...
* وكان المعنى الأبعد للحسنة يمحقها الأذى أكثر إثارة وأدعى للعبرة خلال مشهد تشخيص ينبض بالحياة مزجيا إيحاءه الرّهيب.

فأيّ إعجاز صاعق نواجه في آية تجتمع فيها كل عناصر القوّة متجلّية في استفهام إنكاري و أسلوب جبّار، وصورة مدركة بالحسّ والشّعور معا، وطريقة عرض محيّرة تدقّ فيها المعاني وتتناسق التّراكيب، وهيئة مشبّهة محذوفة، واجتماع الحسّي بالعقلي والإيحاء الشعوري ثمّ بعد هذا كلّه، ذلك التّجسيد الالتحامي الزّاخر بهواتفه ووحيه عن الحقيقة الجامعة بين النّفس البشريّة والتّربة في خيرهما وشرّهما، في صياغة داهية وصبغة تمثيلية لا شيء أروع منها، و لا أكمل، ولا أعزّ.. دون أن يكون للفظ الغريب وجود. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾.

أليس هذا هو الإعجاز المفحم الذي يصفع كل مكابر معاند، والذي يصاب بالوهن أمامه، بين سحر الكلمة وطغيان الدّالّ على المدلول وضخامة المعنى؟!!

ثمّ أليس القرآن هو الفيض الذي استحال كلّ ما عداه غيضا. فكان خارقا في كلّ أصوله التي لم تسبقه إليها أمّة قبله. وكان من أصوله: نفي الأوهام والخرافات كلازمة معنويّة من لوازم الذّات، وتطهير النّفس والعقل، وتسخير الكون للبشر ودعوتهم إلى العلم في جميع فنونه وطرائقه ومستحدثاته ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[1]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

---

(1) سورة الجاثية: 13.

(2) سورة طه: 114.

"وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب. وليس المراد بغرابتها أنّها منكرة أو نافرة أو شاذّة. فإنّ القرآن منزّه عن هذا جميعه، وإنّما اللّفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة، مستغربة في التّأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر النّاس. وجملة ما عدّوه في ذلك من القرآن كلّه: سبعمائة لفظة أو تزيد قليلا، جميعها روي تفسيره بالسّند الصّحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو ذلك المعجم اللّغوي الحيّ الذي كانوا يرجعون إليه، كان يقول رحمه الله: الشّعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"[1].

ومرَدُّ ذلك فيما أشرنا إليه من أنّ لغة قريش قد داخلتها لغات عربيّة أخرى. وقد اختلفت استعمالاتها بحسب مواطنها، وأخرجت بوّاحة بمدلولاتها المختلفة، مخرج الغريب من القول. وقد تحوّلت بعض معانيها وسياقاتها إلى المفهوم الإسلامي محمّلة بقرائنها وإشاراتها، فلزمها المعنى القديم أو فارقها.

"وكان الصّحابة – رضي الله عنهم – يسمّون فهم هذا الغريب: "إعراب القرآن" لأنّهم يستبينون معانيه ويخلصونها، وقد روى أبو هريرة في ذلك: " أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه"[2].

ومثلما ورد في القرآن غريب اللّغة، اندرج فيه من لغات الأقوام عدد كبير بلغت لدى العلماء أكثر من مائة لفظة (وليس ذلك بكثير في البحر العجاج).

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة: ص 71 مصطفى صادق الرّافعي.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة: ص 72 مصطفى صادق الرّافعي.

العلميّة أو فيما يتعلّق بالرّمز ومدى التّوافق بين الحقيقة والفكرة الموحى بها.

لذلك فإنّنا لو عرضنا عليك مثل هذه الآية التي نزلت قبل قرون عديدة مديدة، وهي قول صاحب الجلالة:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[1]

فماذا عساك قائل لنا وليس فيها ما يستوقفك من غريب اللّفظ؟ !

وبماذا عساه يخبرنا العقل البشري فيما مرّ من مراحل الإنسان الماضي؟ !

لعلّه لا شيء يقنع إلاّ أنّ بعض الوضوح يجيء في هذا العصر.

يقول مالك بن نبي مستنجدا بأضواء المعارف الحاصلة في زمانه[2]:

"...وهكذا يبدو الفضاء – في نظر القرآن – وكأنّه لا ينتهي، وكأنّه يزداد على الدّوام. هذه الفكرة التي أصبحت الآن علميّة هي التي هالت "انشتين – Einstein" نفسه عندما اكتشف عالم الطبيعة "هابل – Huble" أنّ الكواكب السّديميّة تبتعد عن سديمنا، واستنبط عالم الرّياضة البلجيكي القسيس "لومتر – Le maître" من ذلك نظريّة "امتداد الكون".

أو ليس عجبا مذهلا أن تضع الفكرة الموحاة – هكذا دائما – معالمها المضيئة أمام الفكر العلمي، حتى كأنها تصف له الطّريق!

---

(1) سورة الذاريات:47.

(2) انظر كتابه الجليل "الظاهرة القرآنية – نظرية جديدة في دراسات القرآن – ص 292. ترجمة عبد الصّبور شاهين. مكتبة دار العروبة: La phénomène Coranique – Essaie d'une théorie sur le Coran

وهل يستطيع أحد أن يقول بأنّ معالم كهذه قد انبثقت من عقل أمّيّ وبأن هناك.

بالتّالي معادلة بين: "الأفكار المحمّديّة والأفكار القرآنيّة"

وأيضا ففي ما تضمّنته عبقريّة اللّغة، وفيما نستصفيه من تحليل الأسلوب وما يزخر به من بلاغة ومجاز قرآني على وجه الخصوص كأهمّ عنصر بلاغي يحدّد معالم الأسلوب، وتصبح فيه الاستعارة دربا من دروبه... إلى غير ذلك من الأدوات المستخدمة..سنصاب بالذّهول لما يمثله ذلك من مفاجآت الصّورة الذهنيّة والحسّية، بالإضافة إلى الزّوايا النّفسيّة والمسالك الاجتماعيّة وكيفيّة الإيحاء، والمعالجة بتلك الدقّة التي لا تنفكّ تخلع على النصّ أسلوب تربية وتثقيف ومعرفة وعلم... لا تنفكّ تتجدّد صورها متواصلة عبر العصور على أساس من بناء الذّات الإنسانيّة روحيّا وعقليّا ونفسيّا واجتماعيّا... وتلقي في ضمير الصّفوة من بني البشر مدركات ودلالات واستنتاجات لا مجال لحصرها أو التّحكّم فيها في أجل مسمّى، ودون أن توقعهم في تضارب داخليّ يقطع بين المعقول والمنظور.

وهنا لا بدّ أن ننبّه إلى أنّ القصد ليس فقط التّركيز على الأشكال البلاغيّة الأسلوبيّة المزخرفة ولا إلى أنّ اللّغة منقطعة عن وسائطها وتوابعها، ولا إلى التّأثيرات التي تنأى عن العقلانيّة.. ولكن الأمر أعمق من ذلك وأشمل، ولكنّه الخطاب بكلّ ما يقتضيه من أفكار، وما يستلزمه من تنوّع ومن طرائق تشير إلى رؤية وإدراك وصياغة لعالم الإنسان وكونه، رحابا لنظام قد نجتليه، وقد يخرج عن السّيطرة.

كما ننبّه أيضا إلى أنّ تناولنا البسيط لإعجاز القرآن ليس الخوض في هذه المشكلة المعقّدة بما يفي بالغرض لأنّ ذلك يقتضي معاناة عقليّة كلّما أوغلت في استنطاقها زادت استعصاء. ومبلغ الجهد أن يفهم النّاس أنّ القرآن في لفظه ونظمه وبيانه قد مثّل أكبر التّحدّي للعرب في اخصّ خصائص لغتهم فاقتضاهم ذلك التّسليم به والإذعان لنبوّة محمد.

ومسألة الإعجاز القرآني إنّما تأتي من معرفة معنى القرآن والتّحقيق في الآيات الدّالّة وقراءته على مكث والتّروّي فيه والتّدبّر في حقائق الأخبار وأنباء الغيب ودقائق التّشريع وأسرار الكون وخفيّ الدّلالات ...الخ وذلك عن طريق البحث واستعمال العقل في غير لدد وعناد والاهتداء بالعلم ودراسة ظواهر عجائب الله بما يفضي إلى تبيّن الإعجاز الذي حيّر الإنس والجنّ.

وقبل ذلك لا بدّ من التّعمّق في فهم اللّغة التي نزل بها القرآن المعجز، علما بأنّ تلك اللّغة كانت بطبيعتها قادرة على الوعي بضراوة الاحتمال والقوّة لفظا وأسلوبا ومعنى... قادرة على تطويع كلّ الألسنة والعقول لروعتها من لدن البشر جميعا.

من أجل ذلك فإنّ القدرة البيانيّة في الشّعر الجاهلي المنفرد بخصائصه وطاقته الجبّارة قد ألهمتنا الدّليل على إعجاز القرآن في بعض الجوانب على الأقلّ.

وليس أمر هذا الشّعر متعلّقا بفصاحته وأغراضه بل بالنّاحية البيانيّة التي غرقت تحت أنوار القرآن تستجدي مدده، وقد حاولوا تفجير مكنوناته لكنّه انحسر، وبدت المفارقة بينه وبين كلام الله في تلمّس عيوبه

وخلله إلى الحدّ الذي لا تصحّ معه الموازنة، وانجلى التفوّق القرآني رغم أنّه بقي للعرب كنزا لا محيص عنه ولا غنوة.

في هذا الصّدد نجد المرحوم (مالك بن نبي) قد تفطّن إلى ذلك، وكان على بصيرة من أمره، وهو يتحدّث عن الصّورة الأدبيّة للقرآن، وإن كنّا لا نكاد نعتبر ما ساقه لنا كافيا للدّلالة على الإعجاز، وإن ظنّه كذلك. فقد حدّثنا قائلا[1]:

"وحقّا إنّ سيطرتنا القاصرة على عبقريّة اللّغة الجاهليّة، لا تسمح لنا بأن نحكم – عن معْرفة – على سموّ الأسلوب في القرآن. ومع ذلك فإنّ هناك آية تستحقّ انتباهنا وهي تمدّ في هذه النّقطة بمعلومات تاريخيّة بالغة الأهمّية.

والحقّ أنّ القرآن يؤكّد صراحة هذا السموّ الذي يقصد به تعجيز العبقريّة الأدبيّة في عصره، فهو يقذف في وجوه معاصريه بهذا التّحدّي المذهل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

ولم يذكر التاريخ أنّ أحدا قد أجاب على هذا التّحدّي. وبهذا يمكن أن نستخلص أنّه قد ظلّ دون تعقيب، وأنّ إعجازه الأدبي قد أفحم فعلا عبقريّة ذلك العصر"[3].

---

(1) الظّاهرة القرآنية – ص 175.

(2) سورة البقرة: الآية 23.

(3) لقد سلك مالك بن نبي في كتابه منهجا مضنيا لإثبات إعجاز القرآن قاده إليه التأمّل والدّأب لكنّه وإن وفّق في مجال طبيعة النّفس وظواهر الكون وأسراره ودليل صدق النبوّة..الخ فإنّ تقييده الإعجاز القرآني بعبقريّة ذلك العصر الأدبيّة، فيه خلل قد نخاصمه فيه.

ويستشعر مالك بن نبي في رائعته (الظاهرة القرآنية) أنّ مرماه في تثبيت الإعجاز الأدبي من الوجهة التي ساقها لنا، كان دون ما يراد. وقد صدق:

"ولكن لدينا فيما يخصّ بحثنا هذا – طرقا أخرى لإصدار حكم في هذا الجانب الخاصّ من المسألة..".

ثمّ يعود إلى اللّغة الجاهليّة ملفوحة بالنّفس البدويّة وانفعالاتها فيتّخذ طريقا للكشف عن جوهرها وما قد يعتريها من زوايا الانخذال، ليبلغ بعد ذلك إلى ما يعتبره مناط التّحدّي القرآني، فيقول قولا فيه كثير من البراعة والحقّ، من مثل: "هذه اللّغة الرّخيمة التي تردّد خلالها صهيل الخيل، ودوّت في جوانبها قعقعة السّيوف الهنديّة حيث كانت تقصف هنا وهناك صيحات الحرب يطلقها الفتيان في كلّ مكان، إنّما تعبّر عن الحماسة الأسطوريّة التي كان بطلها عنترة، أو عن النّشوة الشعريّة التي كان فتاها امرأ القيس"[1].

وينتقل بنا بعد ذلك إلى المجاز الجاهلي، الذي عابه بما يجعله ينحطّ عن المجاز القرآني إذا ما قورن به، وإلى قصور اللّفظ عن الكمال لانحساره داخل حدود ضيّقة: "والمجاز في اللّغة العربيّة – كما سنرى فيما بعد – يستعير عناصره من سماء بلا سحاب، ومن صحراء بلا حدود، تعبرها القطا أو تثب خلالها الآرام، فهي لا تعبّر عن أيّة حيرة روحيّة أو ميتافيزيقيّة، وهي تجهل دقائق المنطق، وتجريد الفكر الفلسفي، أو العلمي، أو الدّيني.

---

(1) الظاهرة القرآنيّة – ص 176.

وثروتها اللّفظيّة هي تلك التي تحقّق حاجات الحياة البسيطة الخارجيّة أو الدّاخليّة، لبدويّ لا لحضري.

تلك هي الخصائص العامّة لهذه اللّغة الجاهليّة الوثنيّة، المترحّلة، البرّية التي سيطويها القرآن بعبقريّته الخاصّة كيْما يعبّر عن فكرة عالميّة.

وسيختار القرآن للتّعبير عن هذه الفكر صورة جديدة هي: الجملة. فالآية القرآنيّة ستقصي ناحية الشّعر البدوي، ولكنّ نسقه سيبقى على كلّ حال، إذ هي قد تحرّرت فقط من الوزن فاتّسع مجالها[1].

ودون أن نذهب بعيدا مسترسلين في الحديث عن الإعجاز القرآني في غير الغريب، نريد أن نختصر المسافة مقدّمين نموذجا من غرائب القرآن المرتبطة بالبيان والصّورة الذّهنيّة والبصريّة، والفكرة الغيبيّة وحقيقة الوجود... بالإشارة الإلهية التي يخبو حيالها وميض العقل، وبالنّسق التّعبيري الرّفيع، وروعة الإلهام التّأمّلي، ممّا هو عجيب وغريب ومذهل..وممّا يحملنا قسرا على التّسليم بالمعرفة المطلقة والمصدر الغيبي..لأنّ الفكر الإنساني أعجز من أن يحيط بالفكرة القرآنية مهما اجتهد وأوّلَ.

وربّما يأتي زمان يكذّب فيه العلم ظنّه، ويبطل ما ارتآه صوابا في بعض الظّواهر، ليصبح تفسيره لها ضربا من الاعتساف، ويبقى القرآن يقينا.

ونعود الآن للنظر في هذه الآية كمثل على ما نطمح إليه مقرّين بالعجز منذ البداية.

---

(1) الظّاهرة القرآنيّة: ص 176.

يقـول الله تعـالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[1].

تأمّل فيما تحت عينيك.

إنّـه الفـيض والإشـراق، والنّـور الـذي يغمـر الكـون فيتجلّـى للأبصار ويترع البصائر حتّى لكأنّ كـلّ شـيء قـد خلـق أصـبح مغمـورا بالنّور في ملكوت الأنوار الباهرة، فلا شيء من حـسّ أو روح أو نظـر أو وجدان بمنأى عنه..بل هي الحدود تسقط، والحجب تُرفع ليصير الكـلّ في قبضة الفيض النّوراني الغـامر، مـن سمـاوات وأرض..مـن نبـت وجمـاد وحيوان وبشر.

فالنّور آية.. وجوهر..ونظام..ووجود..وناموس..وحقيقـة ذلـك الإشراق والضّياء. "ولقد استطاع البشر أخيرا أن يدركوا بعلمهم طرفا من هذه الحقيقة الكبرى، عندما استحال في أيديهم مـا كـان يـسمّى بالمـادّة – بعد تحطيم الذرّة – إلى إشـعاعات منطلقـة لا قـوام لهـا إلاّ النّـور !. ولا "مادّة" لها إلاّ النّور ! فذرّة المادّة مؤلفة من كهارب واليكترونـات، تنطلـق – عند تحطيمها – في هيئة إشعاع قوامه هو النّور"[2].

---

(1) سورة النّور: الآية 35.

(2) في ظلال القرآن: 4/ 2518.

ولتصبح المقاربة أدنى إلى الفهم والإدراك البشري المحدود أخضع الله بيانه إلى المحسوس، بغية الإيضاح في صورة مجازيّة رائعة تدفع بنا إلى تلمّس الحقيقة عن طريق المشاهدة والتّأمّل في طبيعة النّور وكنهه، وإطلاق الصّورة اللاّمحدودة لإدراك المحدود: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[1]

علما بأنّ هذه الجملة قد جاءت بعد آية: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾.

وإذن فهي بيان لها.

---

(1) المشكاة: la cavité – وهي التّجويف والجوف والفجوة، والوَقْب الذي هو جمع وقوب وَوِقاب. والنّقرة في الصّخر يجتمع فيها الماء، وكلّ نقرة في الجسد كنقرة العين. ومن ثمّ نقول:

- جوف البطن: cavité abdominale -

- والخُرمَة : cavité nasale -

والوقبة كالوقب، تعني الكوّة العظيمة فيها ظلّ:

- cavité : espace vide à l'intérieur d'un corps solide.
- creux, trou, vide.

والمشكاة: كلمة حبشيّة معرّبة. كلّ كوّة في الجدار غير نافذة يوضع فيها المصباح.

- Niche dans le mur destinée à recevoir une lampe.

فإذا كانت نافذة فهي الكوّة.وفي بعض التّفاسير: المشكاة: العمود الذي فيه القنديل يكون على رأسه. وفيما يُروى عن ابن عبّاس: المشكاة موقع الفتيلة.

والمصباح: Lampe, lanterne, flambeau من صيغ الآلات: اسم للإناء الذي يوقد فيه بالزّيت للإنارة (آلة الإصباح والإضاءة).

والزّجاجة: Morceau de verre, verre à boire, vitre اسم إناء يصنع من الزّجاج verre. والهاء في آخرها علامة الواحد من اسم الجمع مثل (نخلة، نخل).

والدّرّيّ: واحد الدّراري وهي الكواكب السّاطعة النّور: (étoile) qui brille d'un vif éclat نسبة إلى الدّرّ perles في الصّفاء والبياض والياء هي ياء النّسبة (نسبة المشابهة).

وذكر المشكاة لأنّها تحصر النّور فيتألّق ويصفو... وكان المصباح في زجاجة، والزّجاجة شفّافة سنيّة مثل كوكب درّي.

"والإخبار عن الله تعالى بأنّه نور إخبار بمعنى مجازي للنّور لا محالة بقرينة أصل عقيدة الإسلام أنّ الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لا يتردّد في ذلك أحد من أصحاب اللّسان العربي. ولا تخلو حقيقة معنى النّور عن كونه جوهرا أو عرضا. وأسعد إطلاقات النّور في اللّغة بهذا المقام أن يُراد به جلاء الأمور التي شأنها أن تخفى عن مدارك النّاس وتلتبس فيقلّ الاهتداء إليها، فإطلاقه على ذلك مجاز بعلامة التّسبّب في الحسّ والعقل"[1].

"وهنا يصل بين المثل والحقيقة، بين النّموذج والأصل، حين يرتقي من الزّجاجة الصّغيرة إلى الكوكب الكبير، كي ينحصر التأمّل في النّموذج الصّغير، الذي ما جعل إلاّ لتقريب الأصل الكبير"[2].

وهو توجيه النّظر إلى صنع الله و إلى ظلال الشّجرة المقدّسة لعلّ الإنسان يستشرف الحقيقة. أو كما قال مالك بن نبي: "ففي هذه الآية أجمل مجازات القرآن بحيث ألهمت الغزالي كتابا من أعمق مؤلّفاته هو المشكاة[3] la cavité، ولكنّ عقليّة المفسّرين المحدثين قد أدركت في هذا

---

(1) التحرير والتنوير: 18/ 231.

(2) في ظلال القرآن: ص 2519.

(3) الحقيقة أنّ مؤلّفه الذي أشار إليه مالك بن نبي هو رسالته المعروفة بمشكاة الأنوار فيما يستخلص من آية "الله نور السّماوات والأرض".

المجاز أكثر من إشارة صوفيّة[1] أدركت موافقة من أعجب موافقات الفكرة القرآنيّة للواقع الذي قرّره العلم"[2].

فبالنّور تنكشف الأشياء، والنّور يكشف عن نفسه ويخرج العالمين من دائرة العتمة والظّلام، كما به يُهتدى.

وما دام الله نورا فهو وجود فوق الشكّ وفوق الرّيب، وهو الصّفاء والنّقاء والمنزّه والمقدّس والظّاهر والباطن..إلى غير ذلك من الإطلاقات التي يوصف بها ربّ العزّة كالفيض الإلاهي والإرشاد والهداية ومصدر المعرفة والسّبب والعلّة..

والمصباح الممثّل هو نور الله، وكان التّشبيه به دون الشّمس مثلا لقصد إكمال مشابهة الهيئة المشبّه بها بأنّها حالة ظهور نور يبدو في خلال ظلمة، فتنقشع به تلك الظّلمة في مساحة يراد تنويرها، و دون أن يشبّه بهيئة بزوغ القمر في خلال ظلمة الأفق لقصد إكمال المشابهة لأنّ القمر يبدو ويغيب في بعض اللّيلة بخلاف المصباح الموصوف..."[3].

وخلاصة القول أنّ النّور هو معرفة الحقّ.

أمّا أنّ المصباح يوقد من زيت شجرة مباركة، فهو كما قال مالك بن نبي من الموافقات الغريبة بين الفكرة الموحاة والحقيقة التي أثبتها العلم.

فالشّجرة مجازا هي رمز القوّة. والقوّة = الطّاقة.

وبذلك يصبح من أوجه المعنى الموحى هو أنّ:

الزّيت السّاري في الشجرة = سريان الكهرباء.

---

(1) فعلا، لقد استلهم الصّوفيّة من إطلاقات النّور معاني كثيرة، وكان من بينهم شهاب الدّين بن يحيى المشهور بالسّهروردي.

(2) الظاهرة القرآنيّة: ص 290.

(3) التحرير والتنوير: 18/ 234.

"وفي ضوء طبيعة مجازها الفريدة التي تؤدّي إلينا فكرة مصباح يضيء دون أن تمسّه نار، وبعد هذا الاستدلال تتكوّن لدينا الجملة الآتية، حيث يصير الرّمز شفّافا تماما "ولو لم تمسسه نار "يضيء النور من عاكس فيه سلك في أنبوبة"[1] وجملة (نور على نور) إشارة إلى المركب التّمثيلي الذي تضافرت فيه وسائل الإنارة (مشكاة، ومصباح، وزجاج، وزيت صاف..).

مشكاة = مصباح = شيء ملتهب يضيء = نور

زجاجة، سلك، أنبوبة (كوكب) = نور

زيتونة (قوّة) = زيت = لهيب = نور

فالكون كلّه محكوم بقوّة، مغمور بنور.

والقرآن وحي نزل بالدّين العبادي والعملي كظاهرة تحكم الإنسان، تقرّر مصيره، تخطّ وجوده في نظام كونيّ أجلّ من مدركات البشر، يستولي عليه ويصرّفه الخالق نور السماوات والأرض الذي يسطع في القلوب والعقول لتخشع، وتعشو له العينان حياء و عجزا.

(1) الظّاهرة القرآنية: ص291.





اللّغة، ومعاني القرآن

من يتتبّع جهود العلماء والباحثين العرب منذ قديم الزّمان، سيجد أنّهم اهتمّوا كثيرا باللّفظ والمعنى كيلا يضلّوا، ونظروا فيهما حتّى لا غنى لهم عنهما معا..واعتبروا مدقّقين، مترسّمين الحقيقة اللّغويّة، أنّك بملاحظة المعنى بداءة والإتيان باللّفظ وفق المعنى تصبح المعاني قوالب للّفظ. أمّا من حيث فهمك المعنى من اللّفظ، فإنّ الألفاظ هنا، تصبح قوالب للمعنى.

وهذا تقريبا ما استفيد من الشّعر الجاهلي وما حدّد اعتباره القرآني في إطار معالم السّياق. وهو ما أشار إليه الخليفة الرّاشد عمر بن الخطّاب بقوله:

"عليكم بالشّعر فإنّ فيه تفسير كتابكم، فإنّ معارضة الألفاظ القرآنيّة بالشّعر تحدّ من هذا التّوسّع، وتنظم القول به وتدفع الغلوّ في تقديره عند فهم النصّ أو تأويله".

إنّ هذه الكلمة لتسمع الصّمّ وتهدي العمي، وتحضّ الذين يلتمسون للغتهم صونا أن يحافظوا على ذاتها من حَرور الخبط والطّمس والجمود..فإذا هم لا يخافون عليها بخسا ولا رهقا..وإذا هي تضع لذاتها منهجا إطاريّا، وسياقا، واعتبارا تضبطه معالمه.. وتراعي الخصائص والتّقاليد المأثورة في الشّعر الجاهلي كما تومئ إلى مراعاة ترتيب البناء في الجملة القرآنية المرتبطة ببيانه، في تقدير مقتضى الحال. وصولا إلى معرفة الأسرار التّركيبيّة. ذلك أنّ اختلاف الجمل و اختلاف تركيبتها في النّصوص القرآنيّة وترتيبها على نحو معيّن وهيئة مخصوصة، لم يأت عفوا

أو اعتباطا، ولا توشيحا وزينة... بل هو مقصود ومحسوب لعدّة دواع مثل: دقّة الأداء، وكمال البيان، وملامسة المضمون اللّغوي ملامسة عميقة دالّة. علما بأنّ تلك الدّقّة التّركيبيّة هي التي أعجزت البشر فبهتوا.

ومنذ القديم عكف الأعلام على معاني القرآن ومفاهيمها. وكانت نقطة البداية على يد ابن عباس (ت: 68 هـ) في كتاب (اللغات في القرآن) وما تتابع بعد ذلك ممّا تناوله المعنيّون عن "غريب القرآن" و "معاني القرآن" و "مجاز القرآن" و "تفسير القرآن" ...الخ..

من ذلك "معاني الفرّاء" (ت: 207 هـ) وتتناول غريب القرآن، وقضايا اللّغة والأساليب. وأيضا ما يروى ويقال عن (وصف معاني القرآن) للنحّاس (ت: 338 هـ) وهو كتاب لم يصلنا للأسف على جلاله وقيمته وسداد أبحاثه حتّى نال الإعجاب وتأثّر به الأفذاذ من الكتّاب والعارفين. فالكتاب قد ضاع أكثره، ولم يطلعونا على ما تبقّى منه. ولا غرابة فكثيرا ما أهمل العرب تراثهم ولا يزالون.

"لم يبق من هذا الكتاب المهمّ سوى نسخة ناقصة احتفظت بها دار الكتب المصريّة (برقم 385 تفسير) وتبدأ بفاتحة الكتاب وتنتهي بآخر سورة مريم، وعدد أوراقها (233 ورقة) مكتوبة بخط نسخ يرجّح أنه من القرن الخامس الهجري"[1].

ومن العلماء أبو الحسن الرّمّاني المولود (سنة: 296 هـ) بمدينة سامرّاء أو ببغداد، وقد اشتهر بالمنهج الاستدلالي البياني في إعجاز القرآن. كما تناول كتابه "النكت في مجاز القرآن" النّاحية البيانيّة البلاغيّة.

وللرّجل أعمال مشكورة مثل كتابه (الجامع في تفسير القرآن).

---

(1) المورد – ص 12 – ج7 – العدد الثامن 1978 – د/ أحمد نصيف الجنابي.

ومن طريف ما يذكر لهذا الرّجل إهتمامه بالاستعارة كأحد الأبواب التي تطرّق إليها وكانت أمتعها إذ يقول مثلا في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[1].

وكانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنّ الصّدع بالأمر له من التّأثير كتأثير صدع الزّجاجة والتّبليغ قد يصعب حتّى لا يكون له تأثير فيصبح بمنزلة ما لم يقع.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾[2] يقول:

فحقيقة طغى هي: علا – فكانت الاستعارة أبلغ. وهو مبالغة في عظم الحال.

أمّا في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾[3]

يقول: فحقيقة الشّهيق الصّوت الفظيع كشهيق الباكي. والاستعارة أبلغ. والجامع بينهما قُبْح الصّوت – (وتميّز من الغيظ) شدّة الغليان بالاتّقاد – والاستعارة أبلغ منه لأنّ مقدار شدّة الغيظ على النّفس محسوس. وقد اجتمع شدّة في النّفس تدعو إلى شدّة الانتقام في الفعل. وفي ذلك أعظم الزّجر.

ولنا أن نضيف لغيره التّعبير القرآني في مادّة: ق – م – ط – ر. فنقول: قمطر القربة: ملأها وشدّها بالوكاء. واقمطرّ اليوم: طال واشتدّ

---

(1) سورة الحجر: 94 – أي بلّغ ما تؤمر به.

(2) الحاقّة: 11 – وحملناكم: أركبناكم.

(3) سورة الملك: 7 – والشهيق ردّ النّفس إلى الدّاخل في طول – والزّفير إخراجه كذلك –

فهو مُقْمَطِرّ، ومثله قمطرير الـواردة في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[1] وتعني طويلا شديدا..وهو يوم القيامة.

وفي هذا الصّدد نجد أيضا:

تفسير الطّبري (ت: 310 هـ) "جامع البيان في تأويل القرآن" الذي اهتمّ فيه بالقضايا النّحويّة دون اللّغة التي كان (قصير الباع فيها) كما عرف عنه. وذلك على غير ما اشتهر به في العصر الحديث العلاّمة التّونسي الإمام محمد الطاهر بن عاشور، كظاهرة فريدة بين المفسّرين لما عرف به من إحاطة بجوانب الآيات وموادّ التّفسير، وما تميّز به من فهم صائب في مجالات المعاني والبلاغة واللّغة والتّأويل والاستشهاد بالشّعر، وغيره حتّى كأنّه الشّمول.

يقول عن نفسه: "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة، العربيّة وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتّصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عنى به فخر الدّين الرّازي...

"ولم أغادر سورة إلاّ بيّنت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون النّاظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرّقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله.

واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللّغة العربيّة بضبط وتحقيق ما خَلَت عن ضبط كثير منه قواميس اللّغة"[2].

---

(1) سورة الإنسان:10

(2) التّحرير والتّنوير: 1/ 8.

على أنّ النحّاس الذي مرّ ذكره كان يهتمّ في كتابه "وصف معاني القرآن" بالغريب اهتماما شديدا " وقد ترتّب على ذلك نتائج عديدة، هي:

أوّلا: أنّه يطيل في شرح مجموعة من الكلمات الغريبة إطالة واضحة.

الثانية: ينقل عمّن اشتهر بهذا الاتّجاه نحو الغريب مثل "ابن عباس" وتلاميذه.

الثالثة: أنّه يستوعب بعض كتب تفسير غريب القرآن استيعابا يكاد يكون تامّا كتفسير "مجاهد"[1] برواية ابن أبي نجيح.

ومن الأمثلة على ذلك ما بيّنه حين شرح معنى (المقيت) في الآية الكريمة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا﴾[2] قال: (في معناه قولان: روى معاوية بن صالح بن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: مقيتا: حفيظا - وحكي عن الكسائي أنّه قال: أقات يقيت: إذا قَدَر - قال الشّاعر:

وذي ضغن كففت النّفس عنه وكنت في مساءته مقيتا

والقول إنّ المقيت: الحفيظ، قال أبو إسحاق[3]: وهذا القول - عندي - أصحّ من ذلك لأنّه مأخوذ من القوت، والقوت: مقدار ما يحفظ

---

(1) هو مجاهد بن جبر، المتوفّي سنة 104 هـ وله تفسير في (معاني القرآن) برواية عبد الله بن أبي نجيح، يسار المكي الثقفي، مفسّر ومحدّث، توفّي سنة 131 هـ.

(2) سورة النّساء : الآية 85.

(3) أبو إسحاق هو الزجّاج.

الإنسان. وفي الحديث: كفى بالمرء إثما أن يضيّع من يُقيت. أي من يحفظ[1][2].

والنحّاس قد اهتمّ أيضا بالاشتقاق والقراءات والنّاسخ والمنسوخ والمعاني، و أحكام القرآن والاستشهاد بالشّعر، وهو ما يعنينا. فقد أكثر الاستشهاد به وهو دليل تمكّنه منه كما تفصح عن ذلك تآليفه "أخبار الشّعراء" و "شرح المفضليات" و "شرح القصائد السّبع"...

يقول الدكتور الجنابي: وإذا ما طبّقنا هذا على (معاني القرآن) وجدناه يستخدم الشّعر:

أ) إمّا لتفسير المعاني الغامضة أو (الغريبة)، ومثال ذلك استشهاده بقول الشّاعر[3]:

أهذا دينه أبدًا وديني

على أنّ الدّين قد يأتي بمعنى العادة.

ب) وإمّا لإيضاح أصل كلمة، فعند إثبات رأي "سيبويه" في أنّ أصل كلمة (الله) هو (لاه)[4].

استشهد بقول الشّاعر:

لاه ابن عمّك لا أفضلت في حسب عنّي، ولا أنت ديّاني فتخزوني[5]

---

(1) معاني القرآن – ورقة 76: ب –

(2) المورد: ص 13، 14 – ج7 عدد2 – سنة 1978 د/ أحمد نصيف الجنابي.

(3) الشاعر هو المثقب العبدي: وصدر البيت: "تقول وقد أدرتُ لها وضيني".
والوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر – وقلق وضينُها: بطانُها هُزالا –

(4) ولسيبويه رأي آخر هو أنّ الكلمة (إله) ثمّ جيء بالألف واللاّم عوضا عن الهمزة.

(5) المورد: ص17 – د/ الجنابي.

أوْ في تفسير المعنى الغامض في غير معاني القرآن، غيْر أنّ الجامع واحد، هو ما جاء على لسان أعرابيّ كان يسوق راحلته حاديا:

إنّــــني شــــيخ كــــبيرٌ كـــافر بــــالله، ســــيرى
أنــــت ربّــــي وإلاهــــي رازق الطّفــــل الــــصّغير

فلفظة الكافر هنا لا تدلّ على الإلحاد، كما يوضّح ذلك البيت الثاني بما ينفي أيّ شكّ، لكنّه يعني أنّه مستور بالله مغطّى برعايته، متلبّس به. إذ أنّ من معاني كَفَرَ: التغطية كالذي غطاه السّلاح، كما يقال للابس السّلاح كافر، والكافر: اللّيل والبحر والسّحاب المظلم والزّارع..والكافور والكافر: وعاء طلع النّخل.

والكفر أيضا بمعنى البراءة كقول الله حكاية عن الشّيطان في خطيئته إذا دخل النّار: (إنّي كفرتُ بما أشْركتموني من قبْلُ) أي تبرّأت.

من أجل ذلك نجد العديد من السّابقين الأوّلين، أو من دارسي اللّغة في العصر الحديث سواء ما تعلّق بالنحو أو اللّغة أو معاني القرآن.. يصرّون على الاستشهاد بالشعر سعْيا إلى الغرض نفسه الذي أشير إليه آنفا، والذي سعى إليه النحّاس في تفسير الغريب أو في تجلية الغموض والإبهام.

الا ترى أنّهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾[1]. كيف اختلفوا في معنى

---

(1) سورة المائدة: 2.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، فقالوا: لا يُدْخِلَنَّكُمْ في الجُرْمِ، وقال الأخفش: (لا يُحِقَّنَّ لكم) لأنّ قوله: لا جَرَمَ أنّ لهم النّار، إنّما هو حقّ أنّ لهم النّار، وأنشد مستشهدًا: "جَرَمتْ فزارةُ بعدها أن يغضبوا".

يقول حقّ لها –

وقال أبو العبّاس في معنى الآية: (لاَ يَحْمِلَنَّكُمْ وَلاَ يَكْسِبَنَّكُمْ) –

ويأتي جرم واجترم في معنى كسب، وأنشد أبو عبيدة الهَيْرُدانِ السّعدي أحد لصوص بني سعد:

طريدُ عشيرةٍ ورهين جُرْمٍ بما جَرَمَت يَدِي وجنى لساني

ويجرم لأهله ويجترم: يتكسّب ويطلب ويحتال.

وفي معنى (لا جَرَمَ) في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾[1].

قال ابن عباس: لا جَرَمَ أي : بَلَى.

وقال آخرون: لا جرم: حقّا..ولا بدّ.. ولا محالة، أو حقّا.

واستشهدوا بقول أبي أسماء بن الضّرّبية:

ولَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَهَا، أن يغضبوا

أي حقّت لها الغضبَ، أو أكْسَبَتْهَا الغضبَ.

---

(1) سورة هود: 22.

ونصبوا فزارة في هذا البيت ليصبح المعنى: جَرَمَتْهُم الطَّعْنَةُ الغَضَبَ. أي كَسَبَتْهُمْ – وذلك على غير ما فعل المستشهد السّابق حيث رفع "فزارة".

وكذلك أصبح أمر الناس.. لأنّ اللّغة العربيّة حمّالة أوجه ومعانٍ. ومن ثمّ وجب إتقانها واكتشاف أسرارها والدّراية بأحوال التّأويل...لمواجهة العظمة القرآنيّة، فَهْمًا وتفسيرا وشرحا وتأويلا... حتّى لا نضلّ وتزيغ العقول، كما جرى لبعض المستشرقين وغير المتخصّصين في هذه اللّغة، إذ وقعوا في السّقط والابتذال والخطأ... وما كان عليهم أن يعجلوا ويخوضوا في شعاب الخطر دون علم كافٍ أو يطرقوا المجاهل عُزّلا. علما بأنّ القرآن الذي نزل كتابا عربيّا فصيحا لم يكن أمره من قبيل الصّدفة أو العبث – تعالى الله عمّا يفعل – ولكن لأنّ اللّغة العربيّة لغة بالغة الحيويّة والحساسيّة الفنّيّة. وحيويتها تقاس بالحرف واللّفظ والجملة علاوة على الفصاحة والبلاغة والإبداع والفنّ والضّبط ومواطن الجمال..وأيضا الإثارة والقوّة وتنوّع الأساليب والتّراكيب... وفيضها الإلهامي العجيب.

وهل يعقل أن نفترض نزول القرآن بإحدى اللّغات القديمة الأخرى كالعبريّة مثلا أو سواها من تلك اللّغات التي لا تتمتّع بسرّ البقاء والخلود !.

إنّ لغتيْ التوراة والإنجيل قد اندثرتا كغيرهما من نظيراتيْهما، وجَهِلَهُمَا العالم منذ الأمس البعيد.

ليس هذا تحقيرا للّغات الأخرى، ولكنّه الرّدّ الطّبيعي على المكابرين. فما من أحد ينكر حيويّة العربيّة ونشاطها الدّائم على مرّ

العصور، إضافة إلى ما تتميّز به من يسر رغم دهائها، فهي سهلة عذبة، يفهمها قليل الحظّ من الثقّافة، وعلى قدر معارفه، ويستطيع اكتسابها عن طريق المحادثة الشّفهيّة، كما يفهمها الفهم العميق حكماء الدّارسين والعلماء الرّاسخون الذين استقبلوا أنوارها يكرعون.

وحتّى لا نتّهم بالتّعصّب، نورد قولا للعلاّمة المسلم: محمد إقبال، وهو ليس عربيّا، فلنسمع إليه متحدّثا في محبّة وصدق يقول:

" ولا يُفهم كتاب حيّ بغير لغة حيّة. ولهذا اختار الله العليم الخبير لكتابه هذه اللّغة التي تجمع كلّ مزايا الاستمرار، والحياة، وتتّسع لفظا وغاية لمطالب الرّسالة "

كما نستمع أيضا إلى "مولانا كوثر نيازي"[1] متحدّثا عن مزايا وخصائص العربيّة في مقال له تحت عنوان " أهمّية اللّغة العربيّة وأفضليتها"[2] جاء فيه: "وإذا أمعنّا النظر في كثير من الكلمات والألفاظ في صورها المختلفة تبعا لتغيّر ضبط حروفها ضمّا ونصبا وجرّا وجزما، لبدت لنا مفاهيم مختلفة متعدّدة وعجيبة من وراء هذا التغيّر، ولتبيّن لنا أنّ كلّ كلمة أو حرف في اللّغة العربيّة قد صيغ صياغة محكمة، وأنّه يحمل معنى مستقلاّ وأنّ لكلّ لفظة خاصّية وميزة: فكلمة عين لها واحد وخمسون معنى في القاموس مثل عين الباصرة وعين الماء والشمس والذّهب والفضّة والجاسوس وغير ذلك.. وهناك كثير من الألفاظ لها معان متعدّدة متغيّرة، فعلى سبيل المثال للعسل ثمانون لفظة في اللّغة

---

(1) كان يشتغل وزير الشؤون الدّينيّة في حكومة باكستان المركزيّة، سابقا.

(2) منبر الإسلام: ص 24 – عدد 11 – سنة 1975 –

العربيّة لكلّ لفظ منها استعمال ومعنى وخصوصيّة، وقد يختلف لفظ عن آخر بالضّرورة ولكن المفهوم واحد، وللثعبان مائتا لفظ.

وهذه هي اللّغة العربيّة في فصاحتها وبلاغتها، ومتى قسناها باللّغات الأخرى اتّضح لنا أفضليّتها على سائر اللّغات ولماذا اختارها الله لرسالته وانتخبها لكتابه القرآن الذي تكفّل بحفظه وضمن له البقاء وكتب له الخلود إلى يوم القيامة. ولا بدّ لكتاب حيّ من لغة حيّة. ولا يصدق هذا إلاّ على اللّغة العربيّة. لذلك قال الرّسول ﷺ: "أحبّوا العربيّة لثلاث. لأنّي عربيّ والقرآن عربيّ ولسان أهل الجنّة عربيّ" ويتّضح من كلّ هذا أهمّية اللّغة العربيّة ومكانتها الرّفيعة وما ينبغي على المسلم نحوها".

كلّ ذلك في سبيل فهم القرآن وتدبّر معانيه.

وهكذا، ومن خلال ما مرّ بنا تتعدّد الأقوال والآراء في معاني القرآن الكريم، فيلجأ للمصادر المخصّصة في معاني النصّ، وإلى كلام العرب، وشعرهم، وأقوالهم، وأقوال الصّحابة والتابعين لا سيّما الأفذاذ منهم وأصحاب التّفاسير المأثورة، كابن عباس (ت:68 هـ) – ومجاهد (ت: 103 هـ) – وعِكرمة (ت: 105 هـ) – وابن مسعود (ت: 32 هـ) وزيد بن ثابت (ت: 45 هـ). ولأنّ القرآن هو محور الثقافة الإسلاميّة والحركات الفكريّة والعقليّة، وأنّه الكتاب المستجيب دوما لمنطق الوجود المبتكر، المتحرّر، المتجدّد، القاضي بالبقاء للأصلح، فقد تأكد ما يلي:

1) الحفاظ على اللّغة العربيّة، وصون أصولها وفروعها منذ الجاهليّة إلى الآن، وتتبّع مسارها المتطوّر، ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

2) التّدبّر في القرآن ومعانيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها:
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1].

وبذلك نستفيد من الأسلاف، ونتجنّب العكوف على ما قالوه دون نظر وتجديد. فذلك جمود ترفضه الشّريعة الإسلاميّة المحتكمة إلى مصادر التّشريع جميعها، المترفّعة عن الخلافات المذهبيّة، وعن سوء ما يبشّر به المتشبّثون بالتّعقيدات اللّفظيّة والحشو، ويكبت البحث والتّأمّل وحصر الفكر في زاوية ينتهي عندها مثلما تنتهي الموءودة.

وعلى هذا الأساس يكون حتما علينا إيلاء اهتمامنا لتعدّد المعاني في الكلمة الواحدة. وأيضا للمعنى اللّغوي للكلمة في أبعاده المختلفة، وقد استعملت في القرآن بألوان مختلفة بسببٍ من الاستعارة أو الرّمز أو المجاز أو الكناية...الخ.

وعلينا احترام التفاسير التي اتخذت مشارب وطرائق. والتوفيق بين وجهات النظر الاجتهاديّة... والاستفادة من كلّ ما يحقّق جدوى للإنسان المسلم والبشر كافّة. بغضّ النّظر عمّن استمالته النّزعة الفكريّة أو العقائدية أو الجدليّة... فكان تفسيره موسوما بظاهرة مّا، واتّجاه مّا.

* أو ممّن غلبت عليه النّزعة اللّغويّة فتوسّع فيها أو النّزعة التّأويلية

---

(1) سورة محمد: 24.

مثل: العلاّمة الزّمخشري[1].

* ومن كان شموليا وجمع بين اللّغـة والمعـاني والـشّريعة في تفـسيره، عارضا للأسباب والأحداث، معلّلا، مبيّنا، مجتهدا، مواكبا... مثل: الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور.
* ومن غلبت عليه النزعة البلاغيّة والأسلوبيّة فغمرت تفسيره موجة أدبيّة راقية، مثـل: سيّد قطب.
* ومن غلبت عليه النّزعة الفقهيّة الشّرعيّة، وهم كُثر.
* ومن غلب عليه الاهتمام بقضايا النّحو، والتّـأخّر في اللّغـة. مثـل: الطّبري.
* ومن اهتمّ بما في القرآن من تربية سلوكيّة وأخلاقيّة ومواعظ أو من تنظيم للعلاقات الإنسانيّة أو من عبادات ومعاملات الخ.
* أو من اتّخذ مساره البحثي عن الكون وظواهره في القـرآن مازجـا تفسيره بآراء علماء الطّبيعة والفيزياء وبما أنتجه العلم الحديث مـن اكتشاف جاء مطابقا للنصّ الإلاهي.
* أو ممّن اهتمّ بالأخبار والقصص والنّظر فيها للاعتبار والعبرة.

---

(1) ولا ندري هل كان (ابن تيمية) محقّا حين رغب عنه. على أنّي لا أظنّ أنّه كان على صواب. فقد كان " يفضّل تفسير الطّبري ويرمي الزّمخشري بأنّ تفسيره محشوّ بالبدعة، لأنّه لجأ فيه إلى التّأويل العقلي والاستعانة بالعناصر الفكريّة. أمّا الطبري فقد قصر الأمر على النّصوص السّلفيّة، فهو أقرب إلى الرّوح الإسلاميّة الأولى".
الفكر الإسلاميّ في تطوّره: 73- د/ محمد البهيّ - دار الفكر
ولعلّ ابن تيمية قد أثّر فيه شغفه بالسّلفيّة، فمال عنه وناصر الطّبري، وهو ما لا يقبل منه.

فكلّ ذلك جميل وضروريّ لا ينبغي إقصاء شيء منه، إنّما معرفته واستنطاقه وتقصّيه والتّعايش معه عن طريق اللّغة العربيّة فقط وبيان معانيه باستخدامها الصّحيح.

وبذلك نعرف الدّين والدّنيا، وأحكام القرآن ومقاصد الشّريعة ومنهاج الحياة، وواجب العدل والحقّ...

وبذلك أيضا نعطي العقل حقّه والرّوح حقّها والمادّة مقدارها... ونبني الشخصيّة الواعية، الباحثة العاقلة، السّاعية إلى العلم التّجريبي وتطلعاته، لتنال ما وراء العرش خائضة المعادلات الصّعبة من فلكيّة وكيمياويّة وفسيولوجيّة...متحكّمة في حركة المادّة عموما... بلوغا إلى معرفة الحقيقة القائمة على معادلة العلاقة بين الوجود الالاهي السّرمدي الباقي وبين الوجود المادّي الحادث الفاني المحكوم حتما بأجل مسمّى.

من غريب القرآن أو ما تشابه بموضوعه

"ومنه ما استخرج من البخاري"

حرف الهمزة:

1) أ - ب - ب

الأبّ:

قال تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾ [سورة عبس: 31].

المعنى القرآني:

الأبُّ: الكَلأُ الذي ترعاهُ الأنْعامُ.

سُئِل عنه أبو بكر وعمر فَنَفَيَا العلْمَ بمدْلُوله.

"والذي يظهر لي في انتفاء علم الصّدّيق والفاروق بمدلول الأبّ، وهما من خُلّص العرب لأحد سببين:

إمّا لأنّ هذا اللّفظ قد تُنوسي من استعمالهم فأحياه القرآن لرعاية الفاصلة...وإمّا لأنّ كلمة (الأبّ) تطلق على أشياء كثيرة، منها النّبت الذي ترعاه الأنعام، ومنها التّبن، ومنها يابس الفاكهة، فكان إمساك أبي بكر وعمر عن بيان معناه لعدم الجزم بما أراد الله منه على التّعيين"[1].

---

(1) التّحرير والتّنوير: 1/ 133. محمد الطاهر بن عاشور.

الشّرح المعجمي:

الأبّ: المرعى النّابت بدون زارع، جمع أوُبّ. وهو للأنعام كالفاكهة للنّاس[1].

والأبّ: الكلأ. وعبّر ابن دُريد عنه بأنّه المرعى..وقال الزّجاج: الأبّ جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية[2].

وجاء في (مجمع البيان) "هو المرعى والكلأ الذي لم يزرعه الناس ممّا تأكله الأنعام، وقيل إنّ الأبّ للأنعام كالفاكهة للنّاس"[3].

الشّاهد الشّعري:

قال الشّاعر:

جِذْمُنا قيْسٌ ونَجْد دارنا ... ولنا الأبُّ به والمَكْرَعُ[4]

وقال آخر:

ترى به الأبَّ واليقطينَ مُختلِطا ... على الشّريعة يجري تحته الغَرْبُ[5]

---

(1) دائرة معارف القرن العشرين: 1/ 7 محمد فريد وجدي.

(2) لسان العرب: 1/ 204 – ابن منظور –

(3) مجمع البيان في تفسير القرآن – ص 36 للطبرسي – ط2 دار الفكر.

(4) الجِذْم: الأصل.

(5) الشّريعة: مورد الشاربة..والغرب هنا، ربّما عنى به السّقي.

2) أ – ب – ل

أبابيل:

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[1] [سورة الفيل: 3].

المعنى القرآني:

أبابيل: جماعات. وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه. وقال الزّمخشري واحده إبّالة. وهي الحزمة الكبيرة من الحطب، وجاءت أبابيل وصفا للطّير على وجه التّشبيه البليغ.

وقال مجاهد: أبابيل متتابعة مجتمعة. وقيل طير ذاهبة جائية تنقل الحجارة بمناقيرها وأرجلها. وقيل: أقاطيع يتبع بعضها بعضا كالإبل المؤبّلة.

أو هي جماعات من الطير تحصب المعتدين بحجارة من طين، وتحبس الفيل عن مكّة.

ويتعسّف آخرون فيقولون إنّه إصابة بوباء الجدري والحصبة. ورأى بعضهم أنها طير تحمل ما يعرف اليوم بالميكروبات.

الشرح المعجمي:

- أبابيل: فِرَقٌ، جمع بلا واحد.. والإبّالة (ويخفّف) القطعة من الطّير، والخيل، والإبل أو المتتابعة منها[2]، ويجيء في معنى الكثير.
- الإبّالة: القطعة من الطّير والخيل والإبل. وقيل: الأبابيل جماعة في تفرقة واحدها: إِبّيَلٌ.

---

(1) انظر قصّة الفيل والطير الأبابيل في "مجمع البيان" في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ج30 – ص 191 – ط2 –دار الفكر.

(2) القاموس المحيط: 1/ 105 – الفيروز ابادي.

وقيل: إبّالة، وأبابيل، وإبالة كأنّها جماعة[1].

- أبابيل: جماعات متفرّقة الواحدة إبّالة وهي الحزمة الكبيرة شبّهت الطّير في اجتماعها بالحُزم. واختلف في لونها، فقيل بيضاء، وقيل سوداء، وقيل خضراء. وقد يذهب بعض علماء العصر أنّ هذه الطيور عبارة عن الميكروبات حملت إليهم الطاعون، أو البعوض حمل إليهم الحميات الخبيثة أو ميكروبات الجدري، وليس في الآية ما يمنع هذا المعنى فيتّفق المنقول والمعقول[2].

الشاهد الشّعري:

يقول الأعشى:

طريق وجيار وراء أصولة   عليه أبابيل من الطّير تنعب

ويقول امرؤ القيس:

تراهم إلى الدّاعي سراعا كأنهم   أبابيل طير تحت داجن مدجن

ويقول الشاعر:

وبالفوارس من ورقاء قد علموا   أحْلاس خيل على جُرْد أبابيل

وقال آخر:

---

(1) لسان العرب: 11/ 6 – ابن منظور.

(2) دائرة معارف القرن العشرين: 1/ 33، 34 محمد فريد وجدي.

أبابيل هطْلى من مُـراح ومهمـل

وقال غيره:

ولعبَـتْ طيْـرٌ بهـم أبابيـــــلُ   فـصُيّروا مثـل كَعـصف مـأكولْ

3) أ – ث – ث

أثاثا:

قـال الله تعـالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾ [سورة مريم: 74].

المعنى القرآني:

وكم من أمّة وقرن من المكـذّبين قـد أهلكنـاهم بكفـرهم، كـانوا أحسن من هؤلاء أموالا و أمتعة ومناظر وأشكالا[1].

وقال ابن عباس: أثاثا – مالا.

وهو تعقيب السّياق على الكفـار الـذين قـالوا لِلّـذِينَ آمَنُـوا أَيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وأَحْسَنُ نَدِيًّا.

فمظاهرهم الزّائفة وأمـوالهم وأثـاثهم وغـرورهم...لا تعـصمهم من الله شيئا، وسيلقون ما لقيه من كانوا قبلهم.

والرِّءْيُ: المظهر والمنظر.

---

(1) تفسير ابن كثير: 4/ 480.

الشّرح المعجمي:

- أثّ النبات يَئِثُّ (مثلّثة) أثاثة: كثر والتفّ – وأثّهُ: وطّأهُ ووثّرَهُ.
  وهو أثٌّ وأثيث : كثير عظيم[1].
  والأثاث: متاع البيت – بلا واحد – والمال أجمع[2].
- أثّ النبات أثاثة وأثاثا: كثر والتفّ بعضه على بعض. وأثّث الفراش وطّأه ومهّده.
  وتأثّث الرّجل: أصاب مالا – والأثاث: متاع البيت وقيل يطلق على المال كلّه[3].
- الأثاث: الكثير من المال أو متاع البيت، لا واحد له. وقيل واحده أثاثةٌ، ويقال للمال كله أثاث[4].
  وتأثّث الرّجل: أصاب خيرا أو أصاب رياشا.

الشّاهد الشعري:

قال الشّاعر:

كأنّ على الحمول غداة ولّوا ... من الرِّئْيِ الكريم من الأثاث

(1) لذلك يقول امرؤ القيس:

وفَرْعٍ يزينُ المتْنَ أسْودَ فاحِمٍ ... أثيثٍ كقِنْوِ النّخلة المتعثكل

الأثيث: الكثير – القنو: العذق (مشبّه به) – المتعثكل: الذي دخل بعضه في بعض لكثرته.

(2) القاموس المحيط: 1/ 111.

(3) دائرة معارف القرن العشرين: 1/ 51.

(4) معجم ألفاظ القرآن الكريم: 1/ 13 مجمع اللّغة العربيّة.

وقال الطِّرماح:

إِذا أدبَرتْ أنَّتْ[1]، وإنْ هي اقْبَلَتْ فرُؤْد[2] الأعَالِي سَخْنة[3] المتَوَشَّحِ

4) أ – ف – ل:

أفَل:

قــال تعــالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78].

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76].

المعنى القرآني:

الأفول: الغياب، وأفل النّجم: غاب ومثله الـشّمس والكوكـب، فكان الأفول خاصّـا بالكواكـب الـسّماويّة النيّـرة. وفي هـذه الآيـة يتـبرّأ إبراهيم من شـرك قومـه الـصّابئين ويقـنعهم بـأن لا يحـاولوا حملـه علـى موافقتهم علـى ظلالهـم "لأنّـه لّمـا انتفـى استحقاق الإلاهيّـة عـن أعظـم الكواكب التي عبدوها، فقد انتفى عمّا دونها بالأحرى"[4].

(1) عظمت عجيزتها.

(2) الرُّؤْد: الشابّة الحسنة.

(3) ليّنة منعّمة – والسّحنة: لين البشرة والنّعمة.

(4) التحرير والتنوير: 7/ 322.

والآية الأخرى تعني: لا أرضى بالآفل إلاها. وجاء بالآفلين بصيغة المذكور العقلاء المختصّ بالعقلاء بناء على اعتقاد قومه أنّ الكواكب عاقلة متصرّفة في الألوان[1].

الشّرح المعجمي:

أَفَلَ النّجم يَأْفِلُ فهو آفِلٌ: غاب – وأفلَتِ المُرْضِعُ: ذَهَبَ لبنُها.

اِفِلَ أفْلاً وأفولا: أَفَلَ[2].

أَفِلَ الرّجلُ يَأْفَلُ: نَشِطَ[3].

أَفَلَ كَضَرَبَ ونَصَرَ وعَلِمَ ، أفولاً: غاب، وكأمير: ابن المخاض فما فوقه. والفصيل: جمع إفال..

وسَبُعةٌ آفلٌ وآفِلَة: حامل. وكَفَرِحَ: نشِط...وتأفَّلَ: تكبَّر، وأفَّلَهُ تأفيلاً: وقَّرَهُ[4]

وأفلتِ الشّمسُ: غَرَبتْ – وأَفَلَ الحَمْلُ في الرّحِمِ : استقرّ.

الشاهد الشّعري:

قال كعب بن مالك:

فَتَغَيَّـرَ القَمَـرُ المـنيرُ لفقْـدِهِ والشَّمْسُ قد كَسَفَتْ وكَادَتْ تأفِـلُ

وفي معنى النّشاط يقول أبو زيد:

---

(1) التحرير والتنوير: 7/ 320.

(2) المعجم الوسيط: 1/ 23 مجمع اللغة العربية.

(3) دائرة معارف القرن العشرين: 1/ 418.

(4) القاموس المحيط: 1/ 161.

أَبو شتيمين من حَصّاءَ قَدْ أَفِلَتْ كَأَنَّ أَطْبَاءَهَا في رُفْغِهَا رُقَعُ[1]

5) أ– ل – ل:

الإلّ:

قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا[2] عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا[3] فِيكُمْ إِلًّا[4] وَلَا ذِمَّةً[5]﴾[سورة التوبة: 8]. ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [سورة التوبة: 10].

المعنى القرآني:

- توجّه الإنكار على دوام العهد للمشركين في ذاته لأنّهم ليسوا أهلا لذلك وإنكار دَوَامه في هذه الحالة خصُوصا – أي حالة ما يبطنون من نيّة الغدر إنْ ظَهَروا على المسلمين. وليس للمشركين عهد عند الله.
- - تفيد معنى أعمّ من الآية السّابقة لأنّ فيها أطلق الحكم عن التقييد بشرط. أي إنّ عدم مراعاتهم حقّ الحلف والعهد خُلُق متأصّل فيهم.

---

[1] حصّاء: التي انحَصّ وبَرُها – الأطْباء: حلمات الضرع واحدها طِبْي– والرُّفغ: ما بين السّرّة إلى العانة أو هو أصلُ الفخذ والإبط.

[2] إن يظهروا: إن ينتصروا.

[3] لا يرقبوا: لا يوفوا.

[4] الإلّ: الحلف والعهد، ويطلق على النّسب والقرابة.

[5] الذمّة: ما يمتّ به من الأواصر ممّا يجب أن يحفظ.

الشّرح المعجمي:

الإِلُّ بالكسر: العهد، والحلف، والجار، والقرابة، والأصل الجيّد، والمعدن، والحقد، والعداوة، والرّبوبيّة واسم الله تعالى. وكلّ اسم آخره إلّ وإيل فمضاف إلى الله تعالى... والوحي، والأمان، والجزع عند المصيبة[1].

الإلّة: القرابة. وفي حديث عليّ: "يَخُون العهْدَ ويقطع الإلّ".
والإلّ. الحِلف والعهد[2].

الشاهد الشّعري:

قال حسّان بن ثابت شاعر الرّسول:

لعَمْرك إنّ إِلّكَ مِنْ قريْش ... كَإِلّ السَّقْبِ مِنْ رَأل النّعَام[3]

وقال الأعشى:

أبْيض لا يرهَبُ الهُزال ولا ... يقطع رُحْما، ولا يخون إلاّ[4]

وقال آخر:

جزى الله إِلاًّ كان بيْني وبيْنهم ... جزاء ظلوم لا يؤخّر عاجلا

---

(1) القاموس المحيط: 1/ 170.
(2) اللّسان: انظر المادّة.
(3) الإلّ: القرابة – السّقب: ولد النّاقة – الرّأل: ذكر النّعام.
(4) رُحْما: رحِمًا.

6) أ – ن – ي:

ءان:

قـــال تعـــالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ[1] بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ[2] ءَانٍ﴾ [الرّحمان: 43-44].

المعنى القرآني:

هذا ممّا يقال يوم القيامة.

وجملة (يطوفون) حال من "المجرمون".

فالمجرمون يمشون بين جهنّم وبـين الحمـيم..يطوفـون بـين جهـنّم وبين حميم متناهي الحرارة، كالطّعام الذي أنضج على النّار. (وهو تصوير للعذاب الأليم).

أي هذه النّار التي كنتم بها تكذّبون هي ماثلـة أمـامكم مـشاهدة وعيانا.

فهم تـارة يعـذّبون في الجحـيم وتـارة يـسقون مـن حمـيم يقطّـع الأمعاء.

قال ابن عبّاس: أي قد انتهى غليه واشتدّ حرّه. وقال غـيره: قـد آن طبخه منذ خلق الله السّماوات والأرض.

الشرح المعجمي:

أنَى يأني أنْيًا – وأنى الحميم: انتهى حرُّه فهو آنٍ.

---

(1) الطّواف: من طاف به وطاف عليه: تُزداد المشي والإكثار منه.

(2) الحميم: الماء المغلّى الشديد الحرارة.

وآنٍ: اسم فاعل من أنى، إذا اشتدّت حرارته.

وبلغ هذا أناهُ: غايته ونضجه وإدراكه.

وآنٍ: أي حارّ قد بلغ الغاية في الحرارة.

والحميم الآن: الحارّ، كقوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾[1] أي حاضرة شديدة الحرّ.

قال مجاهد: عين آنية: بلغ إناها وحان شربها.

الشاهد الشعري:

يقول النّابغة الذّبياني:

وتُخْضَبُ لِحْيَةٌ غَدَرَتْ وخَانَتْ   بِأَحْمَرَ مِنْ نَجِيعِ[2] الجَوْفِ آنِ

حرف الباء:

1) ب – س – ر:

باسرة:

قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: 24].

المعنى القرآني:

هذه وجوه الفجّار تكون يوم القيامة باسرة. أي كالحة ومقطّبة قد أيقنت أنّ العذاب نازل بها. وقيل عابسة. تغيّر لونها.

---

(1) سورة الغاشية: 5.

(2) النجيع: من الدّم: دَمُ الجوْف أو ما كان إلى السّواد.

فالوجوه الناضرة التي ذكرت قبل، هي وجوه السّعادة، أمّا هذه فوجوه الشّقاء. وقد تلاها استئناف بياني لبيان سبب البُسور، وهو جملة "تظنّ أن يُفعَلَ بها فاقِرةٌ"

وقيل في معنى فاقرة: داهية. وقيل: شرّ – وقيل: يستيقن أنّها هالكة.

الشّرح المعجمي[1]:

بسر: أعجل وعبس وقهر...

بسَرَ القرحة: نكأها قبل النّضج كأبْسَر- والباسور: علّة تحصل في المقعد.

"ووجوه يومئذ باسرة": متكرّهة، متقطّبة.

وبسرْتُ الدّمّل: عصرته قبل أن يتقيّح.

والبسْر: القهْر – ووجْهٌ بَسْرٌ أي باسر (موصوف بالمصدر).

"ثمّ عبس وبسر"

وبسرْت النبات: رعيته غضّا، وكنت أوّل من رعاه.

الشاهد الشعري:

يقول عبيد بن الأبرص:

صبحنا تميما غداة الجفار ... بشهباء ملمومة باسرة

وأنشد ابن الأعرابي للرّاعي:

---

[1] انظر القاموس المحيط ولسان العرب ودائرة معارف القرن العشرين.

إذا احتجبت بنات الأرض عنه تبسّر[1] يبتغي فيها اليسارا

وقال لبيد يصف غيثا رعاه أُنُفا[2]:

بسرتُ نَدَاهُ، لم تُسرّب وحوشه بعِزب كجذع الهاجريّ المشذّب[3]

2) ب- س – ل:

بسل:

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: 70].

المعنى القرآني:

وذكّر به (أي القرآن) لأنّ التّذكير هو التّذكير بالله وبالبعْث وبالنّعم وبالعذاب.

"وَأن تُبْسَلَ نَفْسٌ" مفعول ثانٍ لِذكِّرْ وهو الأظهر، ويجوز أن يكون "أن تُبْسَلَ" على تقدير لام الجرّ تعليلا للتّذكير، كالمفعول لأجله. والتّقدير: لئلاّ تُبْسَلَ نفس.

والإبْسال: الإسلام إلى العذاب. وقيل السّجْن والارتهان، وأصلُه من البسْل وهو المنع والحرام.

---

(1) تعني هنا: طلب حاجته في غير أوانها وفي غير موضعها.

(2) أنفا: لم يُرْعَ – من قبل –

(3) اللّسان: 4/ 59.

ومعنى "بما كسبَتْ" بما جَنتْ. فهو كسب الشرّ بقرينة "تبسل"[1]

الشرح المعجمي:

البسْل: الحلال، والحرام ضدّ. يستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث.

وهو: اللّحْي واللّوم والإعجال والشدّة..والرّجل الكريهُ المنظـر، والحبْس..وأبْسله.

لكذا: عرّضه ورهنه. وأبْسَلَهُ: أسلمه للتّهلكة[2].

وبَسَله: كرهه – وأبْسل الله الشيْء: حرَّمَهُ.

وبسْلاً له: ويْلاً له.

وحنظل مُبسِّل: أُكِلَ وحده فتُكُرِّهَ طعمه وهو يحرق الكبد.

وتبسّل وجهُه: كرُهتْ مُرْآته – وتُبْسل: تُفضح.

الشّاهد الشعري:

في كره الطعم، أنشد ابن الأعرابي:

يـئس الطّعـام الحنْظـل المُبـسّل تبْجَـعُ منــه كبـدي وأكْـسَل

وفي معنى الكره يقول أبو ذؤيب يصف قبرا:

فكنـتُ وقـرب البئـر لّمـا تبـسّلتْ وسُرْبِلْتُ أكفاني وَوُسِّدْتُ ساعدي

---

(1) التحرير والتنوير: 7/ 297 – محمد الطاهر بن عاشور –

(2) القاموس المحيط: وانظر أيضا اللّسان ودائر معارف القرن العشرين.

وفي معنى المنع والحرام، يقول ضمْرة النّهشلي:

بَكَرَتْ تلومُك بعْد وهْن في النّدى   بَسْلٌ عليك مَلاَمَتي وعِتابي

وفي معنى الإسلام إلى العذاب، يقول عوف بن الأحوص الكلابي:

وإبْسالي بَنِيَّ بغَيْرِ جُرْمٍ   بَعَوْنَاهُ ولا بدَم مُراقِ

ويقول طرفة بن العبد:

ترى جارَنا فينا بخير وعِرْسه   وجارتنا بُسْلاً على النّاس مَحْرَما

حرف التّاء:

1) ت – ر – ب :

قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[سورة الطارق: 7].

<u>المعنى القرآني:</u>

يعني صُلْب الرّجل وترائب المرأة (صدرها).

وروي عن ابن عباس في معنى الآية: صُلب الرّجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلاّ منها.

وللتّوضيح، قال: هذه التّرائب ووضع يده على صدره.

والتّرائب جمع تريبة، وهو ما بين ثديي المرأة، ويقال: هي أسفل من التّراقي (التّرقوة)، وهي موضع القلادة من المرأة.

يخلق الإنسان من ماء يخرج من صلب الرّجل (عظام الظهر الفقارية) وترائب المرأة (عظام صدرها العلويّة) وقد أثبت العلم الحديث هذه الحقيقة وعلم أنه من هذه العظام يتكوّن ماء الرجل والمرأة حيث يلتقيان في قرار مكين لينشأ الإنسان... إنها عظمة الله الخالق.

وقال عطاء: يريد صلب الرّجل وترائب المرأة، والولد لا يكون إلاّ من الماءين. وقال الضحّاك غيْر ذلك.

الشّرح المعجمي:

التّرائب: موضع القلادة من الصّدر – وقيل ما بين التّرْقُوة إلى التّنْدُوة... وقيل: هي عظام الصّدر، أو ما بين الثديْن والتّرْقوتيْن – وقيل: أرْبع أضلاع منْ يمْنة الصّدر، وأرْبع من يَسْرته.

قال أبو عبيد: الصّدر فيه النّحْر وهو موضع القلادة واللَّبَّة: موضع النّحر، والثُّغْرة: ثُغْرة النّحر وهي الهَزْمَة ما بيْن التّرْقُوَتيْن – والتّرْقوتان: العظمان المشرفان في أعلى الصّدر...[1] وعن مجاهد: ما بين المنكبين والصّدر. والمشهور في كلام العرب أنها عظام الصّدر والنّحر.

الشّاهد الشعري:

يقول الأغلب العِجْلي:

---

[1] اللسان.

أشـرفَ ثـدْياها علـى التّريـبِ　　لم يعْـدُوَا التّفْليـكَ في النُّتـوبِ[1]

وقال الشّاعر[2]:

والزّعفـرانُ، علـى ترائبهـا　　شَـرِقٌ بـه اللّبّـاتُ والنّحْـرُ[3]

وأنشد امرؤ القيس في لاميته "قفا نبك" البيت35:

مُهَفْهَفـةٌ بيْـضاءُ، غيْـرُ مُفَاضَـةٍ　　ترائبُهـا مـصقولةٌ كالـسّجَنْجَلِ[4]

كما أنشدوا أيضا مشيرين إلى الضّلعيْن اللّتيْن تلِيـان التُّرْقـوتيْن: (والبيت قاله المثقب):

ومنْ ذهبٍ، يلـوحُ علـى ترِيـبٍ　　كلوْنِ العاجِ، لـيس لـه غُـضونُ

ويقول شاعر:

عليْـكَ الخِطْـرُ عَلَّـك أنْ تُـدَنّي　　إلى بِـيضٍ تـرائبُهنّ حُـورِ

---

(1) التّفليك: من فلّكَ الثّدْيُ. والنُّتوب: النّهود، وهو ارتفاعه.

(2) قيل: هو أبو بكر بن المسْور الزّهري. وقيل: هو الحارث بن خالد المخزومي. وقيل هو أحد السّبعة المعدودين من شعراء الغزَ.

(3) اللّبّة: وسَط الصّدر والمنحر، والجمع لَبّات ولِباب – وروي (شرقا) عوض شرق – و (الصّدر) عوض النّحر.

(4) السّجنجل: المرآة.

2) ت – ل – ل:

وتَلَّهُ. قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [سورة الصّافات: 103].

المعنى القرآني:

هنا تتجلّى عظمة الإيمان وروعة الطّاعة. فإبراهيم يكبّ ابنه على جبينه استعدادا للذّبح وابنه إسماعيل يستسلم له فلا يبدي حراكا، ولا يبدي امتناعا.

لقد أسلما في ثقة ورضًى وتسليم... إنه الاستسلام المريد المطمئنّ... إنّه عمل فوق الشجاعة..

إنّه الطّاعة لله والاستجابة للتّكليف وغاية العزم، إرضاء لمشيئة الرّحمان.

لقد أسلما وأدّيا واجتازا الامتحان الرّهيب، وحقّقا معنى الإسلام والاستسلام.

فيا لحكمة الله..

المعنى المعجمي:

تَلَّه: يتُلُّه تَلاًّ فهو مَتْلول: صرعه.

وقيل: ألقاه على عنقه وخدّه... والأوّل أعلى. وصرعه مثل كبَّه على وجهه. وقيل: كَبَّه لِفِيه. والتّليل والمتْلول: الصّريع. وتلّهُ بالجبين: وضع وجهه بالأرض.

وفي حديث أبي الدّرداء في: "وتلّه للجبين" وتركُوكَ لِمَتَلِّك أي لِمَصْرعِك.

وفي حديث آخر: فجاء بناقة كوْماء فتلَّها أي أناخها وأبْرَكها.. وقوْم تُلّى: صرْعَى.

والمِتلّ: الشّديد – ورُمْح مِتَلّ : يُتَلّ به: يصرع به – والتّلّ من التّراب: كَوْمة منه[1].

الشاهد الشّعري:

يقول الكميت:

وتلُّهُ للجبين مُنْعَفِرًا   منه مَناطُ الوتين مُنْقضِبُ[2]

وقال أبو كبير:

وأخو الإنابة إذ رأى خُلاّنَه   تلّى شِفَاعا حوله كالإذْخِرِ[3]

أمّا لبيد، فيكنّى به عن القويّ المنتصب الغليظ، ويقول:

رابط الجَأشِ على فرْجهم   أعْطِفُ الجوْنَ بمَرْبوع مِتَل[4]

---

(1) عدد من المعاجم.

(2) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه جمع وُتُن واوتِنة.

(3) تلّى: شِفاعا: صُرِعوا شفْعا – الإذخِر: نبات لا ينبت إلاّ شفعا.

(4) متل: قويّ شديد.

حرف الثّاء:

1) ث – ق – ف :

ثَقِفْتُمُوهُم:

قال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [سورة البقرة: 191].

المعنى القرآني:

هذا أمر بقتل من يعثر عليه من هؤلاء المشركين، حيث لقيتموهم لقاء حرب.

وفسّره الزّمخشري في الكشّاف بأنّه وجود في حالة قهر وغلبة.

ولكن باعتبار الآية السّابقة "وقَاتِلُوا في سَبيلِ اللهِ الّذينَ يُقَاتِلُونَكُمْ..."[1]

فإنّه بعد ذلك جاء بتعميم المواقع. أي كلّ مكان يحلّ به العدوّ فهو موضع قتال.

أي واقتلوهم حيث ثقفتموهم إن قاتلوكم. واقتضى ذلك الأمر قتل المحارب وقت العثور عليه. ومن خرج للحرب فهو محارب.

المعنى المعجمي:

ثقِفَه: صادفَه أو أخذَه أو ظفِر به أو أدْركه.

وثقِفْتُه (كما في الآية) ظفرت به ووجدْتُه.

والثُّقاف: العمل بالسّيف – وثقِفْنَاهُ ثَقْفا (كما في الآية): أخذْنَاهُ.

---

(1) البقرة: 190.

وفي معنى آخر: ثَقُفَ وثَقِفَ: صار حاذِقا فَطِنا..ورجُل ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حَاذِقٌ فَهِمٌ.

وثَقَفَ الخَلُّ فهو ثِقِّيف: حَمُضَ جدًا[1].

الشاهد الشّعري:

في المعنى الأوّل يقول حسّان بن ثابت:

فإمّا تَثْقَفَنَّ بَنِي لُؤَيٍّ جَذِيمَةَ. إنَّ قَتْلَهُمُ شِفَاءُ

وفي معنى صادف، يقول الشّاعر:

فإمّا تثقفوني فاقتُلوني فإنْ أثقَف فسوف ترونَ بالي

ويقول آخر:

وكَأنَّ لَسْعَ بُروقِها في الجوّ، أسْيافُ المَثاقِفِ[2]

حرف الجيم:

1) ج – د – د :

جدّ:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [سورة الجنّ: 3]

---

(1) اللّسان والمحيط.

(2) تأتي المثاقف هنا في معنى عمل السّيف.

المعنى القرآني:

هذا محكيّ عن كلام الجنّ. وقرئ "وإنّه" و "أنّه".

والتّعالي: شدّة العلوّ – والجدّ: العظمة والجلال.

وكأنّه قيل: صدّقناه وصدّقْنا أنّه تعالى جَدُّ ربِّنا، وهذا تمهيد وتوطئة لقوله "ما اتّخذَ صاحِبَةً ولا وَلَدًا" لأنّ اتّخاذ الصّاحبة للافتقار إليها لأنسها وعونها والالتذاذ بصحبتها..والله تعالى الغنِيّ المطلق، وتعالى جَدّه بغناه المطلق – والولد يرغب فيه للاستعانة والأنس به..وكلّ ذلك من الافتقار والانتقاص[1].

المعنى المعجمي:

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قيل جدّه: عظمته وقيل غناه. وقال مجاهد: جدّ ربّنا: جلال ربّنا.

وقال ابن عبّاس: لو علمت الجنّ أنّ في الإنس جَدًّا ما قالت: ﴿تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي أنّ الجنّ لو علمت أن أبا الأب في الإنس يُدْعَى جَدًّا، ما قالت الذي أخبر الله عنه في هذه السّورة عنها[2].

وفي حديث الدّعاء: تبارك اسمك وتعالى جَدّك. أي علا جلالك وعظمتك.

وفي حديث أنس أنه كان الرّجل منّا إذا حفظ البقرة وآل عمران، جَدَّ فينا أيْ عَظُم في أعْيُنِنَا، وجلّ قدْرُهُ فينا وصار ذا جَدّ – والجُدّة: ساحل البحر بمكّة.

---

[1] التحرير والتنوير: 29/ 222. محمد الطاهر بن عاشور.

[2] لسان العرب.

والجـدّ: الغنـى والحـظّ. ورجـل جُـدّ: محظـوظ. والجَـدّ: الحـظّ والبخت، والحُظْوة، والرّزق، والعظمـة. وشـاطئ النّهـر. والجُـدَّةُ ووجـه الأرض كالجِدّة. والجديد والجَدَد والرّجل العظيم الحظّ، كالجُـدّ والجُـدّي، والجديد والمجدود وجَدّي: حظّـي... وأجـدَّ: حـان أن يُجـدّ. واسـتجدّه: صيّره جديدا.

وجُدّة النّهر وجدّه: ضفّته.

الشّاهد الشعري:

قال أميّة بن أبي الصّلت:

لكَ الحمْد والنّعمـاءُ والمُلْـك ربَّنـا   فلا شيْء أعلَى مِنْك جَدًّا وأمْجَـدُ

2) ج – د – د:

جُدَدٌ:

قـال تعـالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ [سورة فاطر: 27].

المعنى القرآني:

(مِنْ) تبعيضيّة. أي وبعض تراب الجبـال..وجُـدَدٌ مبْتـدأ مـؤخّر، خبره " ومن الجبال " الذي قدّم للاهتمام والتّأمّل.. والجُدَد جمع جَدّة. وهي الطّريقة والخطّة في الشّيء. وتوجد الجُدَد مختلفة في الجبـل الواحـد، أو في بعض الجبال..والبيض صخور بيضاء أو تقرب من البياض..والحُمْر هـي

الحجارة الحمراء في الجبال. والغرابيب: جمع غربيب. الغرْبيب اسم للشّيء الأسود الحالك.

المعنى المعجمي[1]:

وجُدَدٌ: طرائق.

والجَدَّة الطريقة في السّماء والجبل. وقيل: الجُدّة: الطّريقة والجمع جُدَد.

وقوله تعالى: جُدَد بيض وحُمْر أي طرائق تخالف لون الجبل. ومنه قولهم: ركِب فلان جُدَّةً من الأمر إذا رأى فيه رأيا. والجُدّة: الخُطّة السّوداء في متن الحمار.

وقال الفرّاء: الجُدَد: الخِطط والطّرق، تكون في الجبال خِطط بيض وسُود وحُمْر كالطّرق واحدُها جُدّة.

وسُمّيت الطّريقة المسلوكة جادّة، لأنّها ذات جُدّة وجُدود، وهي طرائقها و شُرُكها المخطّطة في الأرض.

والجَدَد: ما استرقّ من الرّمل، والأرض الغليظة المستوية.

الشاهد الشعري:

قال الشّاعر:

قد غادر النّسْع في صفحاتها جُدَدًا كأنّها طرُق لاحتْ على أكَم[2]

---

(1) اللسان والقاموس المحيط.

(2) النّسْع: سير ينسج عريضا على هيئة أعنّة النّعال تشدّ به الرّحال.

وقال امرؤ القيس:

كـأنّ سـرائه وجُـدّة متنـه كنـائن يجـري فـوقهنّ دلـيص[1]

3) ج – ي – أ:

فَأَجَاءَهَا:

قال تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [سورة: مريم: 23].

المعنى القرآني:

مريم العذراء الطّاهرة بعد أن انتبذت مكانا قصيّا عن أهلها، تواجه الآن فضيحة مجتمع سفيه..ثمّ تواجه آلام المخاض والنّفس. المخاض أجاءها إلى جذع النّخلة " ألجأها ".

اضطرّها في وحدتها وعزلتها إلى الاستناد عليها ولا معين لها غير عناية الله. وهي وحيدة تحار حيرة عذراء لا علم لها بما يجري في هذا المخاض.

وفأجاءها المخاضُ – أفعلْت من جئت – ويقال: ألجأها واضطرّها.

---

[1] الجدّة: الخطّة السوداء في متن الحمار – والدّليص: اللّيّن البرّاق والبريق، ودِلاص: ملساء ليّنة.

المعنى المعجمي:

فأجاءَها: جاء يجيء جَيْئا وجِيئة ومَجيئا: أتى – وإنه لَجَيّاء جئّاء وجائِيّ – وأجَأته: جئت به – وإليه: ألْجاته.

وجَايَأني فجئته أجيئه: غالبني بكثرة المجيء فغلبْته.

وجاء به وأجاءَهُ، وإنّه لَجَيّاء بخير.

جيأ: المجيء: الإتيان – وجَايَأني فجئته أجيئه.

وأجاءَه إلى الشّيء: جاء وألجأه واضطرّه إليه. (أفْعَلْتُ من جئت)

وقال الفرّاء في قول الله: فأجاءها المخاض ..وهو من جئت كما تَقول فجاء بها المخاض، فلما ألغيت الياء جُعِلَ في الفعل ألف.

الشاهد الشّعري:

قال زهير بن أبي سلمى:

وجَارٍ سار معتمدًا إلَيكم أجاءَتْه المَخافة والرّجاء

وقال الشّاعر:

وشَدَدْنا شدّة صادقة فأجاءتكم إلى سفح الجبلْ

أي ألْجاتكم إلى سفح الجبل.

حرف الحاء:

1) ح – ب – ك:

الحُبُك:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [سورة الذاريات: 7].

المعنى القرآني:

قال ابن عباس: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء... ووافقه في ذلك آخرون مثل: مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقَتَادَة..وغيرهم.

وقال الضحّاك ومن تبعه: مثل تجعّد الماء والرّمل والزّرع، إذا ضربته الرّيح فينسج بعضه بعضا طرائق، طرائق، فذلك الحُبُك.

وفسّر آخرون الحُبُك بالجعودة. يقال شعر جعْد. وقالوا : الحبك تعني الشّدّة. وقالوا: ذات الصّفاقة – وقيل: حُبِكَتْ بالنجوم. وعند بعضهم السّماء السّابعة أراد بها السّماء التي فيها الكواكب الثّابتة " وكلّ هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما. فإنّهما من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متّسعة الأرجاء وأنيقة البهاء مكلّلة بالنّجوم الثوابت والسّيّارات موشّحة بالشّمس والقمر.."[1].

---

(1) تفسير ابن كثير: 6/ 418 –ط دار الأندلس.

الشّرح المعجمي:

الحِباك: الطّريقة تحدثها الرّيح في الرّمل والماء السّاكن. والحبيكة: الطّريقة في الرّمل أو الماء وأيضا مسير النّجم. جمع حُبُك[1] - الحُبُك: ذات الطرائق والخَلْق الحسن.

والحبَكة: الحبل يُشدّ على الوسط، والطّريقة من طرق النجوم، ودرع الحديد.

والمحبوك: المحكم الخلق والصّنعة.

وقال ابن عباس: الحُبُك: استواؤها وحسنها.

الشاهد الشّعري:

يقول زهير ابن أبي سُلْمى:

همْ يضربون حَبيك البيْض إذْ لحِقوا ... لا ينْكِلون إذا ما استُلْحِموا وَحَمُوا[2]

ويقول في تكسّر الماء:

مُكلّل بعميم النّبْت تنسُجُه ... ريحٌ خريقٌ، لضاحي مائِه حُبُك[3]

ويروى: مكلّل بأصفول النبت تنسجه ... ريحُ شمالٍ لضاحي مائِهِ حُبُكُ

(1) المعجم الوسيط: 1/ 153.

(2) وروي لا ينكصون عوض ينكلون: وحبيك البيض للرّأس، طرائق حديده (الأزهري)

(3) الخريق: الشّديدة من كلّ ريح.

وفي حديث عمْرو بن مرّة، يمدح الرّسول:

لأَصبَحْتَ خيْر النّاس نفْسا ووالِدا رسولٌ مليك الناسِ فوق الحبائِكِ[1]

ويقول أبو كبير الهُذَلي:

مِمَّـنْ حملْـن بـه وهُـنَّ عَوَاقِـدٌ حُبُكَ النِّطاقِ فشَبَّ غيْر مُهَبَّـلِ[2]

2) ح – ر – ض:

حَرَضًا:

قـال تعـالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [سورة يوسف: 85].

المعنى القرآني:

رَقّ بنو يعقوب لما آلتْ إليه حال أبيهم من الحزن علـى يوسـف، فقـالوا لـه علـى سـبيل الـشّفقة: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ أي لا

(1) الحبائك: واحدتها حبيكة: الطرائق الحسنة.

(2) المهبّل: الكثير اللحم – ومهبّل: غير مدعوّ عليه بالهَبَل.

تفارق تذكر يوسف ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي ضعيف القوّة. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ إن استمرّ بك هذا الحال[1].

وحرضا: الدّنف (المدنف) الهالك من شدّة الوجَع – وحَرَضا يعني مُحْرَضا أي يذيبك الهمّ.

الشرح المعجمي:

حَرَضَ – حُرُوضا: كَلَّ وأعْيَا – وأشرف على الهلاك – وفسد خُلُقه أو عقله أو مذهبُه – وحرض الشّيءَ: أفسده – وأحْرَضَ: وُلِد له ولَدُ سوء – وأحرض الحبّ ونحوه، فلانا: أشقاه[2]– حرضا (الدّنِف – المدنف) : الهالك من شدّة الوجع –

وحرض حروضا: كان مريضا جدّا. ومثله حرَض حرضا – الحرض: فساد البدن والحَرِض: المريض جِدا جمعه أحراض – وحَرَضا: مُحْرضا، يذيبك الهمّ.

الشاهد الشّعري:

قال الشّاعر:

امِنْ ذِكْرِ ليلى[3] غربةً ان ناتْ بها   كأنك حَمٌّ للأطبّاء مُحْرَضُ[4]

وفي معنى: أفسده الحبّ قال العَرْجي:

---

(1) تفسير ابن كثير: 4/ 44.

(2) المعجم الوسيط: 1/ 167.

(3) وروي: سلمى.

(4) وروي ان نات غربة بها – ومُحْرَض: اذابه الحزن او العشق.

إنّي امْرُؤ لجّ بيَ الحبُّ فَأَحْرَضَنِي   حتّى بليتُ، وحتّى شفّني السّقَمُ

وفي معنى الهالك مرضا، يقول امرؤ القيس:

أرى المرْء ذا الأذواد يُصبح مُحْرَضا[1]   كإحْراض بَكْر في الدّيار مريض

3) ح – ص – ر:

حصورا:

قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة آل عمران: 39].

المعنى القرآني:

أي يُولَد لك من صُلْبك ولد اسمه يحْيَى، مصدّقا بعيسى بن مريم، وكان يحيى وعيسى ابني خالة. ويقول ابن عباس: كانت أمّ يحيى تقول لمريم إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك. فذلك تصديقه له في بطن أمّه.

وسيّدا: الحليم. أو سيّدا في العلم والعبادة. وقيل الحليم التّقيّ أو الفقيه العالم..

وحصورا: قيل الذي لا يأتي النّساء. وقيل الذي لا يولد له ولا ماء له. وقيل الذي لا ينزل الماء. وأنكر ذلك القاضي عياض في الشّفاء. وقال العلماء: هذه نقيصة وعيب. لا يليق بالأنبياء. وإنّما معناه: أنّه معصوم من الذّنوب أي لا يأتيها كأنه حصور عنها.. وقيل مانعا نفسه من الشّهوات. وقال ابن جبير: وحصورا: لا يأتي النّساء.

---

(1) ويروى محرِضا – والأذواد: الإناث من الإبل.

الشّرح المعجمي:

حَصِر فلان – حَصَرا: ضاق صدره، وبخل – ويقال: حصر على فلان: قطع معروفه عنه. و – مُنع من شيء عجزا أو حياء. ويقال حصر القارئ: عَيَّ في منطقه ولم يقدر على الكلام – و – بالسّرّ: كتمه – و – عن الشيء: امتنع عنه عجزا، فهو حصور – والحصور: الممتنع عن الانغماس في الشّهوات[1] والذي لا يأتي النّساء – والمبالغ في حبس نفسه عن الشّهوات[2].

الشاهد الشعري:

يقول الشّاعر:

وحصورا عن الخنا بأمر النّـ ـاس بفعل الخيّرات والتّشمير

وفي معنى كتمان السّرّ يقول جرير:

---

(1) المعجم الوسيط: 1/ 178.

(2) و ما أبعد (حصور) عن (حصير) الواردة في قوله تعالى: " وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا " رغم التّقارب اللّفظي. وهو ما يبدي لنا بجلاء قيمة الإعجاز القرآني لفظا ومعنى. إذ أنّ "حصيرا" هنا (معناه سِجْنًا وحبْسا، ويقال: حَصَرْتُ الرجل أحْصُرُهُ حصْرا إذا حبستَه وضيّقتَ عليه. قال الله عزّ وجلّ : (أو جاءُوكُم حصِرتْ صدورُهم، وقرأ الحسن: حَصِرةً صدورُهم. معناه: ضيّقةً صدورهم. ويقال: أحْصَرَهُ المرض إذا حبسه. والحصير: الملك لأنه حُصِر أي مُنِع وحُجِب من أن يراه النّاس. قال الشاعر:

ومَقامةٍ غُلْبِ الرِّقابِ كأنّهُمْ جِنٌّ لدى بابِ الحصيرِ قيامُ

الأمالي: 2/ 306 – أبو علي القالي

الشاعر هو لبيد. المقامة: الجماعة يجتمعون في المجلس.

ولقد تسقّطني الوُشاة فصادفوا حَصِرا بسِرّكِ، يا أُميْمُ، ضَنِينا

وفي معنى الحبْس، قال ابن ميّادة:

وما هجْر ليلى أن تكون تباعَدَتْ عليكَ، ولا أن أحصَرَتْك شُغولُ

4) ح- و – ب:

حُوب:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء: 2].

المعنى القرآني:

هذا أمر بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحُلُم، كاملةً. ونهْي عن أكلها وضمّها إلى أموالهم. وقيل: لا تخلطوها فتأكلوها جميعا.

و"إنّه كان حوباً" قال ابن عباس: أي إثما عظيما. – وسئل رسول الله عن (حُوبًا كبيرا) قال: إثما كبيرًا.

وفي الحديث المرويّ في سنن أبي داود: "اغْفر لنا حُوبَنا وخطايانا"

والمعنى: إنّ أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه.

الشرح المعجمي:

حَابَ يحوب حوبا: أَثِم – وأحْوب إحْوابا: انزلق إلى الإثم.

الحُوبُ: الإثم والهلاك. الحوْبة من يأثم الإنسان في عقوقه، كالأبوين. و – الإثم – والحاجة– و– الهمّ. و – الحالة. وتحوّب: ترك الحُوب و – تعبّد ليكفّر عن آثامه. و– من القبيح: تحرّج. و – من الشيء: توجّع وتحسّر –[1].

حوبا: إثما بلغة الحبشة – والحوْبة: الحاجة – ورقّة فؤاد الأمّ – والحَوْبة: الحِيْبة الهمّ والحاجة.

الشاهد الشعري:

قال الأعشى:

وإنّي وما كلّفتموني، وربّكم لأعلمُ مَن أمسى أعقّ وأحْوبا

وفي معنى رقة فؤاد الأمّ يقول الفرزدق:

فهَبْ لي خنيْسا، واحْتسِبْ فيه منّة لحِوْبةِ أمٍّ، ما يسوغ شرابها

وفي معنى الهمّ والحاجة، قال أبو كبير الهذلي:

ثمّ انصرفت، ولا أبثّك حِيبَتِي رَعِشَ البنان، أطيشُ، مَشْيَ الأصْورِ[2]

---

(1) المعجم الوسيط: 1/ 203.

(2) الأصور: الليْث.

والحُوب: الهلاك. وفيه يقول الهذلي:

وكلُّ حِصْنٍ، وإنْ طالتْ سلامَتُه   يومًا، سَتُدْرِكُه النَكْراءُ والحُوبُ

حرف الخاء:

1) خ – ت – ر:

ختّار:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [سورة لقمان: 32].

المعنى القرآني:

بعد أن تكلّم الله في الآية السّابقة عن الفلك تجري في البحر، وهو يُرِي عباده آياته ونواميسه في البحر حيث تسير فلا تغرق نتيجة نسبة ضغط الماء وكثافة الهواء والمادّة المصنوع منها الفلك...

يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾. ولكنّ الإنسان لا يصبر ولا يشكر، فإذا مسّه الضرّ شكَا وجأرَ، وإذا نَجا منه لم يشكر إلاّ قليل منهم. ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ لا يُبْطره الرّخاء ويظلّ شاكرًا وإنْ لَمْ يُوَفَّ حَقُّ اللهِ في الشّكر) ومن النّاس من يجحد بمجرّد زوال الخطر. "وما يَجْحَدُ بِآيَاتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ" كلّ غدّار ظَلوم، غَشوم،

شديد الغدر، شديد الكفر..وقد ورد الخَتْر والكفر بصيغة المبالغة، وهي مبالغة وصفيّة تليق بالجاحد الكفور".

الشرح المعجمي:

الخَتْر: شبيه بالغدر والخديعة وقيل هو الخديعة..وهو أسوأ الغدر وأقبحه.

وختَر فهو ختّار. جاء في الحديث: (ما ختَر قوم بالعهد إلاّ سُلِّطَ عليهم العدوّ).

وختَر – ختْرا، فهو ختّار للمبالغة.

الخَتْر: الفساد. يكون ذلك في الغدر وغيره.. ختَرَه الشّراب إذا فسد بنفسه وتركه مستْرخِيا. والخَتَر: كالخَدَر، وهو ما يأخذه عند شرب دواء أو سمّ حتّى يضعف ويسكر – والتّخَتُّر: التّفتُّر – وتَخَتَّرَ: فَتَرَ بَدَنُه من مرض أو غيره[1].

الشاهد الشعري:

يقول الشّاعر:

لقد عَلِمَتْ واسْتَيْقَنَتْ ذات نفسها   بأن لا تخاف الدّهرَ، صرْمي ولا ختْرِي[2]

---

(1) اللّسان.

(2) صرْمي: صَرَمه صرْما: قطع كلامه – وهنا: الهجْر.

يقول امرؤ القيس:

افاطِمُ مَهْلاً بعض هذا التدلُّلِ   وإنْ كنتِ قد ازمعْتِ صَرْمي فَاجْمِلِي

2) خ – ض – د:

مخضود:

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [سورة الواقعة: 28].

المعنى القرآني:

أصحاب اليمين هم أصحاب الميمنة، أحد الأصناف الثلاثة الذين ذكرهم الله في أوّل السّورة: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾. وبعد أن وقعت الإشارة إليهم إجمالا، جاء الحديث عن نعيمهم مفصّلا هنا، بصيغة تفخيميّة تهويليّة. كما ذكرت أوصاف هذا النّعيم الذي كان التّعبير عنه مادّيا حسّيًا، وفق ما في باديتهم، وحسب ما يطمح له خيالهم وتبلغه مداركهم..

"في سدر مخضود" والسّدر هو شجر النّبق المعروف غير أنه في الآية ليس شائكا كما هو لديهم ولكنّه مخضود. أي منزوع الشّوك. مثلما ذكر الطّلح (شجر من العضاة فيه شوك) منضودا، فيتناول دون جهد وكدّ...

الشّرح المعجمي:

الخَضَد: شجر رخو بلا شوك.

والخضْد: القطع وكلّ رطب قضبْته فقد خضدْته، وكذلك التّخْضيد.

وخضدت الشجر: قطعت شوكه. فهو خضيد ومخضود.

والخضْد: نزع الشوك عن الشّجر، كما في الآية. خُضِدَ شوكه فلا شوك فيه.

والخَضَد: ما خُضِد من الشّجر ونُحّي عنه.

والخَضَد: كلّ ما قُطِع من عود رطْب.

الخَضَاد: شجر رخْو بلا شوْك. وأصل الخضْد كسر الشّيء اللّيّن من غيره إبانة له.

والمخضود: المُوقَر حملا. ويقال أيضا لا شوْك فيه.

الشاهد الشعري:

يقول أميّة بن أبي الصّلت:

إنّ الحدائق في الجِنان ظميئة فيها الكواعب سِدْرُها مخْضود

وفي معنى الخَضَد يقول الشاعر:

أوْجَرْت حُفرته حِرْصًا فَمَالَ به كما انْثنى خَضَدٌ منْ ناعِم الضّال[1]

وفي معنى القطع يقول طرفة:

كأنّ البُرِينَ والدّماليجَ عُلّقَتْ على عُشَر[2]، أو خِرْوَعٍ لم يُخَضَّدِ

---

(1) الضّال: السّدْر البرّي واحدته ضالة.

(2) العُشَر: شجر له صمغ وفيه حُرّاق. والعُشَر من العِضاه وهو من كبار الشّجر وله صمغ حُلْو.

3) خ – م – ط:

خَمْطٍ:

قال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [سورة سبأ: 16].

المعنى القرآني:

لقد ذكّر الله في الآية السّابقة بنعمه الوافرة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ وسَبَأ اسم قوم كانوا يسكنون جنوب اليمن، وعرفوا بسدّ مأرب، وكانوا لذلك ذوي خصب ورخاء، وجنان عن اليمين وعن الشمال..لكنّهم لم يذكروا نعمة الله عليهم.

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم﴾.

وجزاء إعراضهم عن شكر الله: تحطّم السّدّ، واحترقت الأرض عطشا واستُبدلوا بجنّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ. والخَمْط: الأراك أو كلّ شجر ذي شوْك. وأيضا بِأَثْلٍ (شجرٍ يشبه الطرْفاء) وشيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قليلٍ. "ذلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا".

الشرح المعجمي:

الخمْط: ضرب من الأراك له حمل يُؤكل – وقال الزجّاج: يقال لكلّ نبت قد أخذ طعْما مِنْ مرارة حتّى لا يمكن أكلُه، خَمْطٌ.

وقال الفرّاء: الخَمْطُ في التّفسير ثمر الأراك وهو البرير، وقيل شجر له شوك.

وقيل: الخَمْطُ في الآية شجر قاتل أو سمّ قاتل.

والخمْط: شجر مثل السِّدْر وحمْله كالتّوت: وقُرِئ: "ذَوَاتَـيْ أُكْـلِ خَمْطٍ" بالإضافة.

قال ابن برّي: مَنْ جَعَل الخمْـط الأراك فحـقُّ القـراءة بالإضـافة لأنّ الأكل للجَنْي فأضافه إلى الخمْط. ومن جعل الخَمْط ثَمَر الأراك فحقّ القراءة أن تكون بالتّنوين ويكون الخمْط بـدلا مـن الأكـل. وبكـلٍّ قرأتـه القرّاء.

<u>الشاهد الشعري</u>:

قال الشاعر: (في معنى الأراك):

مــا مغــزل فــرد تراعــي بعينهــا أغَن غضيض الطّرف من خلل الخمْط

وفي معنى الحامضة مع ريح، يقول أبو ذؤيب:

عُقار كمـاء النّـيِّ ليسَتْ بخمْطـةٍ ولا خلَّةٍ يكـوِي الوُجـوهَ شِـهابُها

وفي معنى الخامط الذي يشبه ريحه ريح التّفّاح يقول ابن أحمر:

وما كنتُ أخشى أن تكـون مَنِـيّتِي ضَرِيبَ جِلاد الشّوْلِ، خمْطا وصافيا

حرف الدّال:

1) د – هـ – ق:

دِهاقا:

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [سورة النّبأ: 34].

المعنى القرآني:

بعد آية أهل النّار ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ يقول الله تعالى مخبرا عن أهل السّعادة المنعّمين وما أعدّ لهم من نعيم مقيم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾.

أي متنزّها حسب قول ابن عباس، وحدائق من نخيل وأعناب. وحُورٍ كَوَاعب (نواهد). وكأس دِهاق أي المُترعة الملأى. وقال ابن عباس: مُمْتَلئة متتابعة. وبذلك قال سعيد بن جبير، وقيل: صافية – وعن عكرمة: وكأسًا دِهَاقا – قال: ملأى.

وعن مجاهد وسعيد بن جبير: متتابعة على شاربيها، أخذ من متابعة الشدّة في الدّهق – وعن مقاتل: على قدر ريّهم.

الشّرح المعجمي:

دَهَقَ: الكأسَ : ملأها. وعن عكرمة أنّه قال: ملأى.

ودَهَقَ الماء: أفرغه إفراغا شديدًا (ضدّ) – وكأس دِهاق: ممتلئة أو متتابعة – وماء دِهاق كثير – وأدهق الكأسَ: شدّ ملأها.

وقيل: دِهاقاً: صافية - ودهقْتُ الكأسَ: ملأتها.

قال ابن سيّده: وأمّا صِفتُهم الكأس وهي مؤنثة بالـدِّهاق ولفظـه لفظ التّذكير فمـن بـاب عَـدْل ورضـا أي أنّـه مـصدر وُصِـف بـه. وهـو موضوع موضع إِدْهاق.

وفي حديث عليّ: نُطْفَةً دِهاقا وعَلَقةً مُحاقا (أي نطفة قد أُفْرِغتْ إفراغا شديدا)

والـدِّهَاق: الكـأس المليئـة لا مزيـد فيهـا. وأصـل الـدّهق شـدّة الضّغط.

الشاهد الشعري:

قال خِداش بن زهير:

أتانـا عـامِرٌ يرجـو[1] قِرانـا   فأترعْنـا لـه كأسًـا دِهَاقَـا

وفي معنى صافية أنشد بعضهم: يَلَذُّهُ بِكَأسِهِ الدِّهَاق.

أي الممتلئة المترعة. وأدهَقْت الكأس: ملأتها.

حرف الرّاء:

1) ر - ك - ز:

رِكْزًا:

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [سورة مريم: 98].

[1] وفي بعض الروايات: (يبغي) عوض يرجو، مثل ما جاء في (القرطبي).

المعنى القرآني:

تعريض بالتّهديد بتذكيرهم بالأمم التي أهْلِكَتْ لجبروتها وتعنُّتها.

و"كم" خبريّة عن كثرة العدد.

والقرن: الأمّة والجيل، ويطلق على الزّمان الذي تعيش فيه الأمّة.

و"من، بيانيّة" وما بعدها تمييز (كم).

والاستفهام إنكاري، والخطاب للرّسول. أي ما تحسّ. أي ما تشعر بأحد منهم. أي لا ترى منهم أحدا (إدراك حسّي).

والرِّكز: الصّوت الخفيّ، وهو كناية عن اضمحلالهم[1].

الشرح المعجمي:

الرِّكْز: الصّوت ، الحسّ.

الرِّكْز: الصّوْت الخفيّ. وقيل: الصَّوت ليس بالشّديد.

والرِّكْز: صوت الإنسان تسمعه من بعيد نحو ركز الصائد إذا ناجى كِلاَبه[2]

وفي معنى آخر: رَكَزَ الحَرّ السَّفَا: يركُزُه رَكْزًا أثبته في الأرض[3].

والرَّكز بفتح الرّاء: غرْزُك شيئا منتصبا كالرّمح.

---

(1) التحرير والتنوير: 16 : 178 – ابن عاشور.

(2) اللّسان.

(3) قال الأخطل:

فلمّا تلوّى في جحافله السّفَا وأوْجعَه مركوزُه وذوابلُه

الشاهد الشعري:

يقول لبيد:

وتوجَّسَتْ رِكْزَ الأنيس فراعَها   عن ظَهر عيْب والأنيس سقامُها

وقال ذو الرّمّة:

وقد توجَّسَ رِكْزًا مُقْفِرٌ نَدِسٌ[1]   بنبْأةِ الصَّوْتِ ما في سَمْعه كَذِبُ

كان هذا في معنى الصّوت تسمعه من بعيد.

2) ر – ك – س:

أرْكَسَهُمْ:

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [سورة النّساء: 88].

المعنى القرآني:

تفريع عن أخبار المنافقين التي تقدّمت.

والاستفهام للتّعجّب واللّوم. وفئتيْن حال من الضّمير المجرور باللاّم فهي قيْد لعامله، الذي هو التّوبيخ. ومحلّ التوبيخ هو الانقسام.

والفئة: الطائفة.

---

(1) ندُسٌ: رجل سريع الاستماع للصّوت الخفيّ – والفَهِم –

أي فما لكم بين مكفّر لهم ومبرّر – قيل نزلت هذه الآية في المتخذلين يوم أُحُد:

عبد الله بن أُبَيّ وأتباعه، اختلف المسلمون في وصفهم بالإيمان أو الكفر بسبب فعلتهم تلك. (أي ما كان ينبغي التّردّد في أمرهم).

وجملة "والله أركسهم.." حالية. أي إن كنتم قد اختلفتم فيهم فالله قدْ ردّهم إلى حالهم السّوأى. فمعنى أرْكسَ: ردّ إلى الرّكْس. والرّكْس قريب من الرّجس. وقيل: معنى أركس نكس، أي ردّ ردًا شنيعا. ردّهم إلى الكفر جزاءً لسوءِ اعتقادهم. وقلّة إخلاصهم للرّسول[1].

الشرح المعجمي:

أركسهم. قال ابن عباس: بدّدهم، حبسهم.

ركَس: الرِّكْس: الجماعة من الناس، والرِّكْس: شبيه بالرّجيع (الرّوْث).

الرّكْس: شبيه بالرّجس – وأرْكستُه: رددْتُهُ وَرَجعْتُه. والرِّكس قلب الشيء على رأسه.

وركسَه ركْسا فهو مركوس، وأرْكَسَه فارْتكس – وأركسهم: ردّهم إلى الكفر.

والإرتكاس: الارتداد. والرّكيس: الضّعيف المرتكس.

الشاهد الشعري:

يقول أميّة بن أبي الصّلت:

---

(1) التحرير والتنوير: 5/ 150 ابن عاشور.

فأُرْكِسُوا في جحيم النّار إنّهُم   كانُوا عُصاة وقالوا الإفْكَ والزّورا

وراكِس اسم واد:

قال النّابغة:

وعيدُ أبي قابوسَ في غير كُنهِهِ   أتاني، ودوني راكسٌ فالضّواجِعُ

حرف الزّاي:

1) ز – ن – م:

زنيم:

قال تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [سورة القلم: 12-13].

المعنى القرآني:

(منّاع...) شديد المنع، والخير (المال) وهي مذمّة.

(معتد أثيم) مذمّتان: معتد من الاعتداء، المبالغة في العدوان.

الأثيم: كثير الإثم وهو صيغة مبالغة (فعيل).

عُتُلّ: مذمّة أيضا: اسم يتضمّن معنى صفة لأنّه مشتمل على العتْل وهو الدّفع بقوّة.

وقيل العتلّ: الشديد الخلقة الرّحيب الجوف – وبالأكول الشّروب، الغشوم الظّلوم.

ومعنى: بعد ذلك: علاوة على ما عُدِّدَ له من الأوصاف.

والزّنيم: قيل هو ولد زنا. (وقيل إنّه الوليد بن المغيرة الذي ادّعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده) وهو اللّصيق الدّعيّ في قومه وليس من صريح نسبهم. فهو مغموز النّسب.

الشرح المعجمي:

الزّنيم: المستلحق في قوم ليس منهم. والدّعيّ: واللّئيم المعروف بلؤمه وشرّه – والزّنيم: ولد زنا – والدّعيّ : الملزق.

والزّنم: الزّلم الذي خلف الظّلف – والزّنمةُ: بقلة، وشيء يقطع من أذن البعير فيترك معلّقا – وزنّموا إلى هذا الخصم: أي بعثوه ليخاصمني.

والأزنم: الجدّع كالأزلم – والزنيم: ولد العيْهرة، وأيضا الوكيل.

وورد في الحديث: الزّنيم هو الدّعيّ في النسب، وفي حديث عليّ وفاطمة عليهما السّلام: "بنت نبيّ ليس بالزّنيم".

الشاهد الشعري:

قال الخطيم التّميمي:

زنيمٌ تداعاهُ الرّجال زيادة   كما زِيدَ في عَرْض الأديمِ الأكَاوِعُ[1]

ويطلق الزّنيم على من في نسبه غضاضة من قبل الأمّهات. بقول حسّان في هجاء أبي سفيان ابن حرب قبل إسلامه لأنّ أمّه كانت مولاة:

وأنت زنيمٌ نِيط في آل هاشم   كما نِيط خلْف الرّاكب القَدَح الفرْدُ
وإنّ سنامَ المجْد من آل هاشم   بنو بنْت مخزوم ووالِدُكَ العَبْدُ

(1) الكوَعُ: أن تعْوجّ اليد من قِبَل الكوع. وهو رأس اليد ممّا يلي الإبهام. وكَوِعَ كوَعا وكوَّعه: ضربه فصيّره معوجّ الأكْواع.

يريد: جدّه لأمّه وهو (مَوهب) غلام عبد مناف. وأمّ أبي سفيان هي (سُميّة) بنت (مَوْهب)

ويقول بعضهم:

ولـو أنّهـا عـصفورة لحـسبتها مـسوّمة تـدعو عبيـدا وأزنمـا

حرف السّين:

1) س – م – د:

سامدون:

قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ﴾ [سورة النجم: 59-61].

المعنى القرآني:

تقريع فرّع عليه استفهام إنكاري وتوبيخ.

والحديث: الكلام والخبر. والإشارة إلى ما ذكر من الإنذار بأخبار الذين كذّبوا الرسل.

ومعنى العجب كناية عن الإنكار.

والضحك: المقصود به ضحك الاستهزاء.

والبكاء: مستعمل في لازمه من خشية الله – والمعنى: ولا تخشون سوء عذاب الإشراك فتقلعوا عنه.

وسامدون: من السّمود وهو ما في المرء من الإعجاب بالنّفس. وقيل هو اللّهو والباطل وقيل هو الغناء بلغة حِمْير – أي هذا الحديث

ليس أهلا لأن تقابلوه بالضّحك والاستهزاء والتّكذيب ولا لأن لا يتوب سامعه – وقال مجاهد: سامدون، البرطمة (البرطنة)[1].

"قال ابن الأعرابي في قول الله عزّ وجلّ (وأنتم سامدون) قال: السّامد: المنتصب همّا وحزنا"[2].

الشرح المعجمي:

سمَد يسمُد سمودا: علا – وسمَدَتِ الإبل: لم تعرف الإعياء.

والسّمود: اللّهو والباطل – وسمّده: ألهاه.

وأنتم سامدون (الآية) فُسِّر باللّهو، وفُسِّر بالغناء – وقال ابن عباس: سامدون مستكبرون.

وسامدون: ساهون – والسّمود: السّهو والغفلة عن الشيء.

ويقال للقينة: أسْمِدِينا أي ألهينا بالغناء.

والسّمود يكون للسّرور، وللحزن أيضا.

والسّامد: المتكبّر – والغبيّ – والقائم في تحيّر.

الشّاهد الشعري:

قالت هزيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عادٍ:

ليت عادًا قبلُوا الحَـ ... قّ ولم يُبْدُوا جُحودا
قيل قُمْ فانظُرْ إليهم ... ثمّ دَعْ عَنْكَ السُّمُودا

وفي معنى الحزن يقول الكميت بن معروف الأسدي:

---

(1) البرطمة كالبرطنة: ضرب من اللّهو.

(2) ذيل الأمالي والنوادر: 115 – أبو علي القالي.

رمى الحِدْثانُ نسْوةَ آل حربٍ ... بأمرٍ، قد سَمَدْنَ له سُمودا[1]

فردّ شعورَهنّ السّودَ بيضًا ... وردّ وجُوهَهنّ البيضَ سودا

وفي معنى التّحيّر يقول الشاعر:

قيل: قُم فانظُر إليهم ... ثمّ دع عنك السّمودا

2) س – ن – ن:

مَسْنون:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر: 26].

المعنى القرآني:

هذه تكلمة لإقامة الدّليل على انفراد الله بخلق أجناس العوالم.

والمراد بالإنسان آدم عليه السلام أبو البشر.

والصّلصال: الطّين يُترك حتى ييْبسَ وهو شبه الفخّار الذي ييْبس بالطّبخ بالنّار (خُلِقَ الإنسانُ من صلصال كالفخّار).

والحَمَأ: الطّين إذا اسودّ وكُرهت رائحته.

---

(1) وفي ذيل الأمالي والنوادر:

رمي المقْدار نسوة آل حَرْب ... بمقْدارٍ سَمَدْن له سُمودا

فردُّ شعورهنّ السّود بيضا ... وردّ خدودَهنّ البيضَ سُودا

فإنّك لو شهدتَ بُكاء هندٍ ... ورَمْلة إذ تصكّان الخدودا

بكيْتَ بكاء مُعْوِلةٍ حزينٍ ... أصاب الدّهرُ واحدَها الفقيدا

و(من حَمَإٍ) صفة لـ (صلصال) و (مسنون) صفة لـ (حمأ) أو لِـ (صلصال) –

والمسنون: الذي طالت مدّة مُكثه. وهو اسم مفعول من فعل: سنَّهُ إذا تركه مدّة طويلة تشبه السّنة – وكل ذلك تنبيه على عجيب صنع الله الذي أخرج من هذه الحالة المهينة نوعا هو سيّد أنواع عالم المادّة ذات الحياة...[1].

وقال أبو العالية: المسنون: المتغيّر، وقال ابن عبّاس: المصبوب.

الشرح المعجمي:

المسنون: المصوَّر – والمسنون: المُنتن. وقوله تعالى: (من حَمَأ مسنون):

متغيّر منتن: والحمأ: السّواد – وسُنّ الماء فهو مسنون أي تغيّر. وقال الأخفش: وإنّما يتغيّر إذا أقام بغير ماء جارٍ – ويقال رجل مسنون الوجه أي حسن الوجه طويله – وقال ابن عبّاس: هو الرّطْب – والمسنون: المصبوب على صورة.

وسمّي الوجه المسنون مسنونا لأنّه كالمخروط.

ويقال: أراد يِسُنّ أسِنَ: وهي أن يدور رأسه برائحة كريهة شمّها ويغشى عليه.

الشّاهد الشعري:

قال حمزة بن عبد المطّلب:

(1) التحرير والتنوير: 14/ 42 – ابن عاشور.

أغـرّ كـأنّ البـدر سَـنَّة وجهـه جَلَى الغيْمَ عنه ضَوْؤه فتبدَّدا[1]

وفي معنى المصبوب على استواء يقول عبد الرحمان بن حسّان في بنت معاوية بن أبي سفيان:

ثمّ خَاصَرتُها إلى القُبَّةِ الخَضْـ راءِ تمْـشي في مرْمَـرٍ مـسنُونِ[2]

3) س – ن – هـ :

يَتَسَنَّهْ:

قـال تعـالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ [سورة البقرة: 259].

المعنى القرآني:

(فانْظُرْ إلى طعامِك) تفريع على قوله (لبِثْـتَ مِائـةَ عَـامٍ) والأمـر بالنّظَر أمْر للاعتبار (فانْظُره في حال أنّه لم يَتَسَنَّهْ).

و (لم يتسنّه) لم يتغيّر، والأصل مشتقّ من السّنة لأنّ مرّ السّنين يوجب التّغيّر، فالهاء فيه أصليّة وليست هاء السّكت.

وعلى هذا فالظّاهر أنّه حين أُميت كان معه طعام وشراب، أو كانا موضوعين في قبره على عادة قومه، ربّما. وذلك مثل ما كان يفعل قدامى المصريّين.

---

(1) وعجز البيت في الأغاني: "له كَفَل وافٍ وفرْع ومَبْسم" الأغاني: 11/ 325.

(2) وذكر البيتَ يزيد لأبيه مُعاوية مستنكرًا على المتشبّب قوله. فأجابه أبوه معاوية عند ما سمع البيت: (كذب)

وقال ابن جبير: يتسنّه: يتغيّر.

الشرح المعجمي:

سَنَهَ، لم يتسنّه: لم تغيّره السّنون.

والسّنهُ: العام (سنهات) والقحط والجدبة من الأراضي.

وسانَهَهُ مسانهة وسِنَاهًا، وساناهُ مساناة: عامله بالسّنة.

والتَّسنُّه: التّكرُّج يقع على الخبز والشّراب وغيره.

وطعام سَنِه: أتتْ عليه السّنون.

وخبز مُتسنّه: متكرِّج[1].

وناقة سنهاء: حملت عاما بعد عام.

الشاهد الشعري:

قال الشاعر:

طاب منه الطّعْم والرّيحُ معا　　　لن تراه يتغيّر مِنْ أسَن

وردّ معنى التّسنّه إلى السّنة. كما يقال: أسْنَتَ فلان إذا أصابته سنة أي مجاعة..يقول مطرود الخزاعي، أو ابن الزّبعْرى:

عَمْرُو الذي هَشَمَ الثّريدَ لقوْمِه　　　قومٍ بمكّةَ مُسنِتين عِجافِ

---

(1) فسد وعلته خضرة.

حرف الشّين:

1) ش – و – ب :

لَشَوْبًا:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: 67].

المعنى القرآني:

أفادت (ثمّ) هنا التّراخي الرّتبي. أي أنّ ما بعدها أعجب ممّا قبله، فهو أعلى رتبة لأنّه يعني الزّيادة في العذاب على الذي سبق.

والشّوب في الأصل مصدر شاب الشّيء بالشّيء يشوبه إذا خلطه به. ويطلق على الشيء المشوب إطلاق المصدر على المفعول. والضّمير في عليها يعود على (شجرة الزقّوم التي ذكرت قبلُ (أذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ...). و (على): بمعنى مع، أو هي للاستعلاء.

والحميم: القَيْحُ السّائل من الدّمّل. وفي هذا تنبيه على أنّ الأكل من الزّقّوم والشراب من الحميم زيادة على عذاب جهنّم. ولشوْبا: يخلط طعامهم ويُساط بالحميم.

الشرح المعجمي:

الشّوْب: الخلْط، شابَهُ شوْبًا: خلطه وأشوبه فهو مَشوب – واشْتاب وانشاب: اختلط – وفي المثل: يَشوب ويَرُوب لمن يخلط في القول والعمل.

والـمُشَاوَبُ: غلاف القارورة لأنّه ذو ألوان مختلفة.

والشَّوْب والشِّياب: الخلْط.

والشّوْب: ما شُبْتَه من ماءٍ ولبن.

وسقاه الذّوب بالشّوْب: الذّوب: العسل – والشّوْب: ما شبْته به من ماء أو لبن – ولَشوبا من حميم": الخلط بين الحميم والغساق.

<u>الشاهد الشّعري:</u>

يقول أميّة بن أبي الصّلت:

تِلْكَ الأَكَارِمُ لا قَعْبانِ مِن لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فعَادَا، بَعْدُ، أبْوَالا

الشَّوْب والشِّياب: الخلط. يقول أبو ذؤيب:

واطْيبْ براحِ الشّام، جاءت سَبِيئة مُعَتَّقةً، صِرْفًا، وتِلْك شِيَابُها

2) ش – و – ظ:

شُواظٌ:

قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [سورة الرحمان: 35].

المعنى القرآني:

﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا﴾ استئناف بياني عن جملة ﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾ لأنّ ذلك الإشعار بالتّهديد يثير في نفوسهم تساؤلا عمّا وراءه[1].

و(عليكما) الضّمير راجع إلى الإنس والجنّ. وهذا تصريح بأنّهم معاقَبون بعد التّعريض السّابق. و(يُرْسل عليكما...) أي قبل اللّجوء إلى جهنّم تُقْذَفون بشُواظ من نار.

والشّواظ: بكسر الشّين وضمّها[2]: اللّهب الذي لا يخالطه دخان لاكتمال اشتعاله، وهو أشدّ إحراقا..والنّحاس[3]: الدّخان الذي لا لهب معه. أي أنّ الدّخان الذي لم تختنقوا به يضاف إلى الشّواظ فلا تفلتون من الأمرين.

الشرح المعجمي:

الشِّياظ والشُّواظ: اللّهب الذي لا دخان فيه – لهب من نار.

وقيل: الشُّواظ: قطعة من نار ليس فيها نحاس.

والشُّوَاظ: لهب النار، ولا يكون إلاّ من نار وشيء آخر يخلطه – وعن الفرّاء أنّ أكثر القُرّاء قرأوا بضمّ الشّين، والحسن كسرَها على غِرار: صُوَار، وصِوار لجماعة البقر –

---

(1) التحرير والتنوير: 27/ 260.

(2) قرأه الجمهور بضمّ الشّين وقرأه ابن كثير بكسرها.

(3) قرأ الجمهور (ونحاسٌ) عطفا على (شواظ) – وقرأه ابن كثير وغيره مجرورا عطفا على (نار).

وقيل: يقال لدُخان النّار شُواظ وشِواظ. ولِحرّها أيضا ولحرّ الشّمس. وأصابني شُواظ الشّمس.

الشّاهد الشعري:

يقول أميّة بن أبي الصّلت:

يظَلُّ يشُبُّ كِيرًا بعْد كِيرٍ ويَنفُخُ دائبًا لَهَبَ الشُّوَاظِ

وفي رواية قال أميّة بن خلف يهجو حسّان بن ثابت:

ألَيس أبوك فينا كان قيْنا لدَى القيْنات، فِسْلا في الحِفاظِ؟[1]

يمانيّا يظلّ يشدّ كيرًا وينفُخ دائبا لَهَبَ الشُّواظِ

وقال رؤبة:

إنّ لهم من وقْعنا أقْياظا ونارَ حرْبٍ تُسعِرُ الشّوَاظَا

(1) القين: العبد جمع قيان، والحدّاد جمع أقيان وقيون. والقينة: الأمة – (القاموس المحيط).
الفسْل: الرَّذل الذي لا مروءة له، كالمسفول: ج أفسُل وفُسول وفِسال. (القاموس المحيط).

حرف الصّاد:

1) ص – د – ف :

يصدفون:

قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾

[سورة الأنعام: 46].

<u>المعنى القرآني:</u>

"انْظُرْ" أمْر. وهو تنزيل الأمر المعقول منزلة المشاهد وهو تصريف الآيات. وقد استعمل الأمر في التّعجّب من حال إعراضهم – وهو تعجيب من قوّة الأدلّة مع استمرار الإعراض والمكابرة بعد أن قدّم لهم الأدلّة على وحدانيّة الله وصدق الرّسول – وكانت الحجج على ذلك متنوّعة من المشاهد الكونيّة ودلائل في النّفس ومن الأمم الخالية.

وكان التّعجّب من قوّة الأدلّة، واستمرار المكابرة أكثر مدعاة للتعجّب. ثمّ هم (بعد ذلك) يصدفون ويعرضون إعراضا شديدا. ويصدفون خبر فعلي في المضارع يفيد تجدّد الإعراض منهم، وقدّم المسند إليه لتقوّي الحكم.

والصَّدْفُ أو الصُّدُوفُ: الميل إلى جانب والإعراض عن الشيء. وفعل صدف يأتي في الغالب قاصرا، ويتعدّى إلى مفعوله بحرف (عن).

<u>المعجم اللّغوي:</u>

يصدفون: يعرضون عن الحقّ – الصُّدوف: الميل عن الشيء: وأصدفني عن كذا: أمالني –

صَدَفَ عنه يصْدِف صدُوفا: عَدَلَ – وصدف عنّي: أعْرض.

وامرأة صَدوف: تعرِض وجْهها عليك – والصَّدوف من النّساء: التي تصدف عن زوجها.

والصَّدَف: عَوَج في اليديْن، وقيل: مَيَل في الحافر – وقيل ميْل في القدَم –

والصَّدَفَ: كلّ شيء مرتفع عظيم كالحائط والجبَل، وكلّ بناء مرتفع ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [سورة الكهف: 96].

أي الجبلين في قول ابن عباس، والمصادفة: الموافقة. وصادفْتُه: لاقيْتُه أو وجَدْتُه.

والصَّدَفة: المحارة.

الشاهد الشّعري:

قال أبو سفيان:

عجبت لحلم الله عنّا وقد بدا   له صدفنا عن كلّ حقٍّ منزّل

وفي معنى صَدَف إذا عدل يقول الأعشى:

ولقد ساءها البياض فلطّتْ   بِحجاب، من بيْنِنا، مصدوف[1]

ويقول الرّاجز:

لَمّا رأتْني أمُّ عمْرو صَدَفَتْ   ومَنَعَتْنِي خيْرها وشَنِفَتْ[2]

---

(1) اي سترت. ولطّت عليه: سترَتْ

(2) وقال آخر: ولم تُداوِ غُلّةَ القلب الشّنِفْ – وشنِفَتْ مثل شنِفت: يقال ذلك لبغْض.

2) ص – ر – ر :

صرّ :

قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[سورة آل عمران: 117].

المعنى القرآني:

الصِرّ: البرد الشّديد الذي يأتي على النّبات والزّرع فيتركه كالمحترق –

وأطلق الصّرّ في كلام العرب على البرد فقط. والصّرصر: الرّيح الشديدة وقد تكون باردة. وجوّز الزّمخشري في الكشّاف أن يكون (الصرّ) مرادفا لـ(الصّرصر).

وقد ضرب الله مثلا للّذين كفروا، أصحاب النّار، لأعمالهم المتعلّقة بالأموال فشبّه أموالهم، المعجب ظاهرها، المخيّب آخرها، بزرع أصابته ريح باردة فأهكلته (تشبيه المعقول بالمحسوس).

المعجم اللّغوي:

الصِرّ: البرد – أو شدّة البرد – وأشدّ الصّياح.

والصّرّ: بفتح الصّادّ: الشدّة من الكرب والحرب والحرّ – والعطْفة والجماعة وتقطيب الوجه. والشّاة المصرّاة، وخَرَزَة للتّأخيذ –

وريح صرّ، وصرصر: شديدة الصّوت أو البرد – وصُرّ النّبات: أصابه الصُرّ–

وصرّ صريرا: صوّت وصاح شديدا – وصرّ يصرّ النّاقة صرّا: شدّ ضرعها[1]

الشاهد الشّعري:

يقول النّابغة الذّبياني:

لا يُبْرمون إذا ما الأفق جلّلَه صِرّ الشّتاء مِن الأمحال كالأدَم[2]

وفي معنى الصّرّة: الشدّة من الكرب والحرب وغيرهما يقول امرؤ القيس:

فألْحَقْنَا بالهادِياتِ، ودونَه جواحِرُها في صَرّةٍ لم تُزَيَّلِ[3]

وفي معنى تُصَرُّ ضروع الحلوبات فهي مصرورة ومصرّرة، يقول مالك بن نويرة:

وقلت: خذوها هذه صدقاتكم مُصَرَّرة أخلافها لم تُحَرَّدِ[4]

وتقول ليلى الأخيليّة في مقتل توبة:

ولم يقْدَعِ الخصْمَ الألدَّ ويملأ الْـجِفَاتَ سَدِيفًا يَوْمَ نَكْبَاءَ صَرْصَرِ[5]

---

(1) القاموس المحيط.

(2) في الديوان برد عوض صِرّ.

(3) الجواحر: الدّواخل في الجِحَرة (جمع جُحْر)

(4) لم تحرّد: لم ينقطع لبنها.

(5) الألدّ: الشديد الخصام – والسّديف: شقق السّنام – والنكباء: الريح الشديدة الهبوب – والصّرصر: الشديدة الصّوت.

3) ص – ر – م :

كالصّريم:

قــال تعــالى: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [سورة القلم: 19-20].

المعنى القرآني:

كـان لأبنـاء أحـدهم جنّـة ورثوهـا عـن أبـيهم، وكـان للفقـراء والضّعفاء حـظّ مـن ثمرهـا، وأصـبح الأبنـاء ذوي ثـروة وكـانوا أشـحّة فأقسموا على جذاذها قبل أن يأتي المساكين، فلمّا جاءوا جنّتهم وجدوها مسودّة قد أصابها ما يشبه الاحتراق.

لقد أبطرتهم النّعمه واغـترّوا بقـوّتهم فخسروا وطـاف علـيهم (تسلّط عليهم) طائف من ربّك. وقد عُدِّي الفعـل طـاف بحـرف (علـى) لتضمينه معنى نزل وتسلّط.

وقيل الطّائف لا يكون إلاّ باللّيـل. وقيـل: الطـائف مـشتقّ مـن الطّائفة وهي الجزء الأول من اللّيل.

وكان الأمر عظيما " وهم نـائمون " وهـو تقييـد لوقـت الطـآئف. وتنوين (طائف) للتّعظيم. وأرسِل عليهم من قبـل الله عـذاب عقابـا لهـم فاحترقت وصارت سوداء مثل الليل.

والصّريم قيل هو اللّيل. والصّريم من أسماء النّهار أيـضا وقيـل الصّريم الرّماد الأسود بلغة جذيمة وقيـل الـصّريم اسـم رملـة بـاليمن لا تنبت شيئا. وفي كثرة معاني الكلمة صلاحيّة جميع تلك المعاني.

المعجم اللّغوي:

الصّريم: كالصّبح انصرم من اللّيل واللّيل انصرم من النّهار..وهو أيضا كلّ رملة انصرمت من معظم الرّمل. والصّريم أيضا المصروم مثل قتيل ومقتول.

والصّريم والصريمة: القطعة المنقطعة من معظم الرّمل.

والصّريمة: الأرض المحصور زرعها – والصّريم: الكدس المصروم من الزّرع –

والصّريم: أرض سوداء لا تنبت شيئا – والمجدود المقطوع – والصّبح لانقطاعه عن اللّيل، واللّيل لانقطاعه عن النّهار.

والأصرمان: اللّيل والنّهار.

الشاهد الشّعري:

يقول الشاعر:

غـدَوْت عليـه غَـدْوة فوجَدْتُـه   قعودا لدَيْه بالـصّريمِ عواذلُـه[1]

والصّريم في معنى اللّيل المظلم، يقول النابغة الذّبياني:

أو تزجُروا مكْفهرًا لا كِفـاءَ لـه   كاللّيْل يخْلِطُ أصْراما بأصْرام[2]

(1) في رواية الدّيوان: بكرْتُ عليه غُدْوة، فرأيته.

(2) تزجروا: فعل منصوب معطوف على ما قبله، وهو:

إنّي لأخشى أن يكون لكم   من أجل بغضائكم، يوم كأيّام

والمكفهرّ: الجيش العظيم – لا كِفاء له: لا نظير له.

ويقول الشّاعر:

وبالصّريمة منهم منزل خَلَق عاف تغيّر إلاّ النؤى والوَتد

وأنشد الأصمعي:

فبات يقول أصبحْ لَيْلُ حتّى تجلّى عن صريمتِه الظلامُ[1]

4) ص – ف – ص – ف :

صفصفًا:

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [سورة طه: 105-106].

المعنى القرآني:

ويَسْألُونكَ عن الجبال هل تبقى يوم القيامة أو تزول. فقل: (وهو جواب على السؤال) ينسفها ربّي نسفا أي يذهبها عن أماكنها ويزيلها ويمحقها محقا، و يسيّرها تسييرا. فَيَذَرُهَا (يَتْرُكُهَا) قاعا صفْصَفا. والقاع: هو المستوى من الأرض والأملس أي بساطا واحدا. والصّفصف: جاء تأكيدا لذلك وهو المستوي من الأرض. قال مجاهد: صافّات: بُسُطٌ أجْنِحَتُهُنَّ. ولذلك أتبعها بقوله: (لا تَرَى فيها عِوَجًا و لا أمْتًا) أي لا ترى في الأرض يومئذ واديا ولا رابية ولا منخفضا أو مرتفعا..وقيل

---

(1) صريمته: رملته التي هو فيها. وقال المفسّرون في قول الله عزّ وجلّ: فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ قولين. قال قوم كاللّيل المظلم. وقال قوم كالنهار المضيء أي بيضاء لا شيء فيها، فهو من الأضداد، ويقال لك سواد الأرض وبياضها أي عامرها وغامرها...(الكامل 1/ 138)

الصّفصف الذي لا نبات فيه، والمعنى الأول أولى وإن كان هذا مُرادًا لازما.

الشّرح المعجمي:

الصّفصف: ملساء مستوية (وهي ما توافق ما جاء في التّنزيل).

الصّفصف: الذي لا نبات فيه. وقيل: القرعاء – وقاعًا صفصفًا: مستويا – والصّفصف: المستوي من الأرض جمعه صفاصف.

والصفْصف والصفْصفة: الفلاة.

والصّفصفة: نبات.

وصافّات: بُسُطٌ أجْنِحتُهُنّ. وفي بعض اللّغات: الصُّفْصُف: العصفور.

الشاهد الشّعري:

يقول الشّاعر:

بِمَلْمُومَةٍ شهْباءَ لوْ قذَفُوا بها	شماريخَ مِنْ رَضْوَى[1] إذًا عاد صَفْصَفَا

ويقول الشاعر في معنى المستوي من الأرض:

إذا رَكِبَتْ دَاوِيَّةً مُدْ لَهِمَّةً	وغرَّد حاديها لها بالصّفاصف[2]

---

(1) الشمروخ: رأس الجبل – ورضوى: جبل بالمدينة.

(2) الدّاويّة: الفلاة.

ويقول رؤبة:

قد تـركَ الـدّهر صَـفاتي صفْـصفا   فـصارَ راسـي جَبْهـةً إلى القَفـا

حرف الضّاد:

1) ض – ح – و:

تضحى:

قـال تعـالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [سـورة طـه: 119].

المعنى القرآني:

كانت هذه في سياق ما يحدّثنا به القرآن عن تشريف آدم وتكريمـه وتفضيله على كثير ممّن خلـق تفـضيلا، ويبـيّن عـداوة إبلـيس لـبني آدم. ويحذّر الله آدم وزوجه من أن يخرجهما إبليس مـن الجنّـة فيكـون التّعـب والشقاء. وهو هنا في عيش سعيد رغيد لا يجوع ولا يعرى ولا يظمـأ ولا يضحى.. وفي ذلك تقابـل وثنائيّـة الظـاهر والبـاطن..وقـرَن بـين الجـوع العـري. والجـوع ذلّ البـاطن والعـري ذلّ الظّـاهر – وقـارن بـين الظمـأ والضّحْو فالظمأ حرّ الباطن والضّحى حرّ الظّاهر – علما بأن الظّمـأ هـو العطش – ولا تضحى: أي لا تعرق فيها من شدّة الحرّ.

الشرح المعجمي:

لا تضحى: لا تعرق فيها من شدّة الحرّ.

والضّحْو والضّحْوَة: ارتفاع النّهار، والضُّحى: فُوَيْقَهُ: ضحيًا بلا هاء –

والضحّاء بالمدّ: إذا قرب انتصاف النهار – والضّحى بالقصر والضمّ: الشمس.

وأضحى: صار فيها (الشمس) وضاحاه: أتاه فيها. وأرض مَضْحاة: لا تكاد تغيب عنها الشمس – وليلة ضحْيَاءُ: مضيئة – وضحا ظِلُّه: مات – والضّاحية: البارزة للشّمس.

وضحْوة النّهار بعد طلوع الشمس ثمّ بعده الضُّحَى – والضَّحَاء: الغداء.

وضَحَا الرّجل يَضْحَى: أصابته الشمس أو أصابه حرُّها – ولا تضْحَى: لا تصيبك شمس مؤذية.

الشاهد الشعري:

يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

رأتْ رَجُلاً أمّا إذا الشّمسُ عارَضَتْ فَيَضْحَى، وأمّا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[1]

---

(1) وروي فيخصب – ويضحى: يظهر للشمس، ويخصَر: يقول في البَردَين – والضِحّ: الشمس وليس من ضَحِيت. يقال: جاء فلان بالضِّحِّ، والرّيح يراد به الكثرة، قال علقمة:

أغَرُّ أبْرَزَهُ للضِحّ راقِبُهُ مُقلَّدٌ قُضُبَ الرّيحانِ مفغُومُ

له فغمة، أي رائحة طيّبة. يعني إبريقا فيه شراب.

الكامل في اللغة والأدب: 2/ 169، 170

وفي معنى ارتفاع النّهار أنشد ابن الأعرابي:

رَقُود ضحِيّاتٍ كأنّ لسانه إذا واجهَ السُّفّار، مِكْمَالُ أرْمَدَا

ويقال ضحْو لغة في الضّحى يقول الشّاعر:

طِربْتَ وهَاجَتْكَ الحَمَام السّواجعُ تمِيل بها ضَحْوا غصونٌ يَوَانِعُ

2) ض – ي – ز:

ضيزي:

قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [سورة النّجم: 21- 22].

المعنى القرآني:

زعم المشركون شركاء لله أصناما مثل اللاّت والعزّى ومناة[1].

أزَعَمْتُمْ اللاَّتَ والعُزَّى وَمَنَاةَ بنات الله؟ أتَجْعَلون له الأنثى وأنتم تَبْتَغُونَ الأَبْنَاءَ الذُّكُورَ.. وتكون جملة أَلَكُمُ الذَّكَرُ..الخ.. بيانا للإنكار وارتقاء في إبطال مزاعمهم. أي أتجعلون لله البنات خاصّة وتغتبطون لأنفسكم بالبنين الذّكور[2] وبيّن لهم الله إبطال إلاهيّة أصنامهم بأنّها أقلّ من رُتبة الإلاهيّة. فتلك أوهام مخيّلات أهل الشّرك.

وجملة (تلك إذًا قسمة ضيزى) تعليل للإنكار والتهكّم. أي قد جُرْتم في القسمة وما عدلتم.

---

(1) اللاّت: صنم كان لثقيف بالطائف. والعُزّى: اسم صنم، حجر أبيض عليه بناء – ومناة: علم مرتجل.. وكانت مناة أعظم هذه الأوثان قدرا.

(2) التحرير والتنوير: 27/ 103 – ابن عاشور.

وضيزى من ضاز يضيز، ويضوز: اسم تفضيل (فُعْلى) أو هو اسمٌ على فِعْلَى مثل دِفْلَى. وهذا وسْمٌ لهم بالجَوْر والاعوجاج.

الشرح المعجمي:

ضيزى: جائرة، عوجاء.

وضاز في الحكم: جار – وضازه حقّه يضيزُهُ ضَيْزًا: نقصه وبخسه ومنعه – وضِزْتُهُ: جُرْت عليه. ويقال ضَأَزَهُ يَضْأَزُهُ ضَأْزًا – وقسمة ضِيزَى وضُوزى أي جائرة. وبعض العرب يقولون: ضِئْزَى وضُؤْزى – وضيز على وزن فُعلى وإن كُسر أوّلها فهي مثل بِيض (بُوض) وعِين (عُون) والواحدة بيضاء وعيْناء.

والضّيْز: الاعوجاج.

الشاهد الشعري:

يقول امرؤ القيس:

ضازَتْ بنو أسَدٍ بِحُكْمِهُم ... إذْ يعْدلون الرّأس بالذّنب[1]

ويقول آخر:

إذا ضَازَ عَنّا حَقّنا في غنيمةٍ ... تقنّع جارانا، فلَمْ يترَمْرَما[2]

---

(1) لا توجد في الدّيوان.

(2) رمرم: تحرّك للكلام ولم يتكلّم – وأرَمّ: سكت.

حرف العين:

1) ع – ر – ر:

المُعترّ:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [سورة الحج: 36].

المعنى القرآني:

يقول الله عن البُدْن التي جعلها من شعائره وتهدى إلى بيته الحرام (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) أي نُحِرت أو سقَطَتْ على الأرض كما في رواية ابن عباس ويعني بها: ماتَتْ فكُلوا منها وأطعموا القانِعَ والمعترّ. وقد اختُلِفَ في معنى القانع والمعترّ، فقيل: القانع: الذي يقنع بما أعطي، أو المستغني بما أعطيته وهو في بيته. وقيل: هو المتعفّف. أو الذي يقنع إليك ويسألك. أو هو المسكين الذي يطوف، وهو السائل، أو الطّامع...والمعترّ: الذي يتعرّض لك ويلمّ بك أن تعطيه من اللّحم ولا يسأل.

وقيل: الذي يعترض الأبواب... ومعنى فكلوا منها فهو أمر إباحة وقال مالك يستحبّ ذلك. وقال بالوجوب بعض الشّافعيّة...

الشرح المعجمي:

قال الزّمخشريّ: عرّ وعراه واعتراه واعترّه بمعنى –

المعترّ: الذي يعترّ بالبُدْن من غنيّ أو فقير – الذي يلمّ بك أن تعطيه – السّائل – الذي يعتريك يتضرّع ولا يسأل – الصّديق والضّعيف

الذي يزور – الـذي يعتـزل مـن النّـاس – أو مـن الاعتـداء وهـو الـذي يتعرّض لأكل اللّحم.

والمعترّ: الفقير. والمعترض للمعروف مـن غـير أن يـسأل – عـرَّهُ عَرًّا واعترَّهُ، وبـه – والعريـر: الغريـب في القـوم – والمعـرور: المقـرور – والعَرّة: الخلّة القبيحة.

وفي الحديث: "فأكل وأطعم القانع والـمُعْتَرَّ"

الشاهد الشعري:

يقول زهير بن أبي سُلمى:

على مُكْثِرِيهِم حَقٌّ مَنْ يَعْترِيهِـمُ وعند المُقلّين الـسّماحَة والبـذْلُ

ويقول ابن أحمر في معنى أتاه فطلب معروفه:

تَرْعَى القَطـاةُ الخِمْـسَ قَفُّورَهَـا ثـمّ تعُـرُّ المـاءَ فِـيمَنْ يَـعُرّ[1]

والقانع في معنى السّائل يقول الشّمّاخ:

لَـمَالُ الـمَرْءِ يـصْلحه فيغنـى[2] مفـاقره أعـفّ مـن القنـوع

---

[1] اي تأتي الماء وترده – والقفّور: ما يوجد في القَفْرِ (ولم يُسمع القفّور إلاّ في شعر ابن أحمر).

[2] يغنى عن السّؤال.

2) ع – ز – و :

عِزِينَ:

قال تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [سورة المعارج: 36-37].

المعنى القرآني:

استفهام إنكاري وتعجيبي من تجمع المشركين إلى النبيّ عليه السلام مستهزئين من وعد المؤمنين بالجنّة ووعيدهم، هم بالعذاب.

وهو وإن كان خطابا للنبيّ فالمقصود إبلاغه إليهم. "فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا " أيُّ شيء ثبت لهم في حال كونهم عندك في حال إهطاعهم إليك. والإهطاع: مدّ العُنُق عند السّير.

وقد كان المشركون يجتمعون حول الرّسول يستمعون كلامه ويكذّبونه ويستهزئون بالمؤمنين. وعن اليمين وعن الشمال: المقصود به الإحاطة بالجهات. وعِزِين: حال من الذين كفروا، وهي جمع عِزَة بتخفيف الزّاي. أصله عِزْوَة (فِعْلة) وهي الفرقة من النّاس وهاتان الآيتان والآية بعدهما يجوز أن تكون استعارة تمثيليّة.

الشّرح المعجمي:

العِزون: حِلَق الرّفاق، الجماعات واحدتُها عِزَة – والحِلق والجماعات – والعِزَة كَعِدة: العُصْبة من النّاس فوق الحلقة ج: عزون – والجماعة والفرقة من النّاس.

وعزاه إلى أبيه: نسبه إليه. وإنّه لحسَنُ العِزْوة والعِزْية.

وفي الدّار عِزون: أصناف من النّاس (الأصمعي) – والحلقة المجتمعة من النّاس – وجمع العِزَة: عِزّى على فِعَل. والهاء عوض عن الياء – وجمعها عِزون أيضا.

وعِزوة جمع عِزَةٍ فكانوا عن يمينه وعن شماله جماعات في تفرقة كالمحيطين به.

وفي الحديث : " مالي أراكم عِزِينَ ؟ "

الشاهد الشّعري:

قال عبيد بن الأبرص:

فجاءوا يُهْرعون إليه حتّى يكونوا حوْل مِنْبَرِهِ عِزِينَ

وردت في: الإتقان للسيوطي 2/ 55 على لسان ابن عباس.

وقال الكُميت:

ونحن، وجَنْدَلٌ بَاغٍ، تَرَكْنَا كتائبَ جَنْدَلٍ شتَّى عِزِينا

وفي معنى متفرّقين قال الشاعر:

فلمّا أن أتيْنَ على أضَاخٍ ضرَحْنَ حَصَاهُ أشْتَاتاً عِزِينَا[1]

وقال ابن أحمر البجلي يصف حيّة ذكرا:

(1) ضرحن: دفعن ونحّين.

خُلِقَــتْ لَهَازِمُــه عِــزِين ورأسُــه كالقُرْصِ فُرْطِح من طحـينِ شـعيرِ[1]

حرف الغين:

1) غ – ر – م:

غراما:

قال تعـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الفرقان: 65].

المعنى القرآني:

الذين يسعون إلى مرضاة الله، يدعون ربّهم أن ينجيهم من عذابه الـشّديد ﴿ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ وذلـك بتيـسير العمـل الـصّالح واجتناب السيّئات.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ هم يقولون ذلك، أو هي من كلام الله. وذلك تعليل لصرف عذاب جهنّم.

والغرام: هو الهلاك الملحّ الدّائم. وقيل: (كان غراما) أي ملازمـا شديدا كلزوم الغريمِ.

الغريمَ: وبذلك استشهد الزّمخشريّ.

وغلب إطلاق الغرام على الشرّ المستمرّ.

---

(1) اللّهازم: جمع لهزمه : ما نتأ تحت الأذنين.

فرطح: ورُوِي فرْطَح وفلْطَح. وفرْطَحَه: عرَّضه، ورأس مُفَرْطَح او مفلْطَح:عريض.

الشّرح المعجمي:

الغرام: اللاّزم من العذاب، والشّرّ الدائم، والبلاء، والحُبّ، والعشق وما لا يُستطاع أن يُتقصّى منه. وقال الزجاج: هو أشدّ العذاب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي ملحّا دائما ملازما. وقال آخر: هلاكا ولزاما لهم.

ورجُل مُغْرَم: من الغُرْمِ أو الدّيْن – والغرام: الولوع بالشّيء.

والغُرْم: أداء شيء يلزم مثل كفالة يغرمُها. والغريم: الملزم ذلك.

وفلان مُغرَم بكذا: مُبْتلى به.

والغَرْمَى: المرأة المُغْضبَة.

وغُرّمَ السّحاب: أمطر – والغريمُ: الذي له الدّين والذّي عليه الدّين – والجمع غرماء[1].

الشّاهد الشعري:

يقول بشر بن أبي حازم:

ويوم النّسار ويوم الجِفا ... رِ كانا عذابا وكانا غراما[2]

وفي معنى الولوع بالشيء يقول الأعشى:

إنْ يُعاقِبْ يَكُنْ غرامًا، وإن يُعْـ ... ـطِ جزيلا فإنّه لا يُبالي

(1) انظر اللّسان.

(2) الجِفار: موضع. وقيل هو ماء لبني تميم ومنه يوم الجفار.
والنّسار: موضع، وقيل هو ماء لبني عامر، ومنه يوم النّسار لبني أسد وذبيان على جُشم بن معاوية.

ويقول ابن غَلفَاءَ الهُجَيْمي يرُدّ على يزيد بن عمْرو:

فإنّــك مــن هجــاء بــني تمــيم كمُــزداد الغَــرامِ إلى الغَــرام

2) غ – و – ل:
غَوْلٌ:

قــال تعــالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [ســورة الصّافّات: 47].

المعنى القرآني:

تذكر الآيات قبلها ما استحقه عباد الله المخلصون من نعم لما لهم من صفة الإخلاص.

وذكرت أنّه يُطاف عليهم (يدار عليهم وهم في مجالسهم) بكأسٍ من مَّعينٍ بيْضَاءَ لَذَّةٍ للشّاربينَ – وهي كأس خمر أهل الجنّة وصفت ببيْضاء...لا فيها غَوْلٌ وهي صفة أخرى للكأس باعتبار إطلاقه على الخمر أي لا فيها غَوْلٌ ممّا يعتري شارب الخمر من ألم وصداع.

وجاءت (غول) نكرة بعد لا النافية لتفيد انتفاء هذا الجنس من أصله.

(ولا هم عنها يُنْزَفُون) معطوفة على ما قبلها. أي لا يذهبُ عقله. وشبّه عقله بالدّم فيقال: نُزِفَ دَمُ الجريح أي أفرِغَ – وقيل عن هذه الخمر: ليس فيها نتْن ولا كراهية كخمر الدّنيا.

الشرح المعجمي:

الغَوْل: الصُّداع. وقيل السُّكْر كما فسِّرت به الآية أعلاه. أي ليس فيها غائلة الصّداع. والغوْل: أن تغتال الخمر عقولهم، وتوصّل الشرّ وتعدم العقول. ويقال: ليس فيها غيلة وغائلة وغوْل سواء – وقيل لا تغول عقولهم ولا يسكرون في معنى (لا فيها غوْل) – وغالت الخمر فلانا إذا شربها فذهبت بعقله أو بصحّة بدنه– وسمّيت الغُولُ في الفلاة غولا: بما توصّله من الشرّ إلى النّاس أو لتلوّنها –

وغال المال: أنفقه وأهلكه. والغوْل: المشقّة والخيانة – والغوْل: وجع البطن.

والغوْل: البُعْد. يقال: هوَّن الله عليك غَوْلَ الطّريق – ويغاولهم: يبادئهم. وفي حديث قيس بن عاصم: (كنتُ أُغَاوِلُهُمْ في الجاهليّة) أي أبادرهم بالغارة والشرّ.

الشّاهد الشعري:

يقول امرؤ القيس:

رُبَّ كأسٍ شربتُ لا غَوْلَ فيها وسقيت النّديم منها مزاجا

وأنشد أبو عبيدة في معنى الاغتيال:

ومازالتِ الخمر تغْتالنا وتذهب بالأوّل، الأوّل

وفي معنى أرض مفازة لا يستبين فيها المشي لبعدها فكأنّها تغتاله، يقول العجاج:

وبلـــدة بعيـــدة النّيـــاط مجهولـةٍ تغتـال خطْـو الخـاطي

وجاء في مطلع معلقة لبيد:

عفـتِ الـدّيار محلُّهـا فمُقامُهـا بمِنًـى تأبّـد غَوْلُهـا فرِجامُهـا[1]

حرف الفاء:

1) ف – ت – ن:

يَفْتِنَكُم:

قـال تعـالى: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ﴾ [سورة النّساء: 101].

المعنى القرآني:

هذه الآية تشير إلى قصر الصّلاة الرباعيّة في السّفر (وَإِذا ضَـرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ...) وهو على سبيل التّخفيف، إذ أذِنَ من الله أن تُصلّى الصلاةُ الرّباعيّة ركعتين ولا حرج في ذلك.

وقوله (إنْ خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) شرط دلّ على تخصيص الإذن بالقصر بحال الخوف من تمكّن المشركين منهم وإبطالهم عليهم صلاتهم[2]. فالآية هذه خاصّة بقصر الصلاة عند الخوف. وتصبح (وإذا ضربتم في الأرض) إعادة لتشريع رخصة القصر في السّفر.

وقصر الصّلاة في السّفر دلّت عليه السّنة.

---

(1) الرِّجام: من رجَم القبر، علّمه ووضع عليه الرِّجام، وهي حجارة تُنصب على القبر.

(2) التحرير والتنوري: 5/ 183.

ويكون المعنى أن يفتنكم الذين كفروا: يضلّكم بالعذاب والجهد (بلغة هوازن)

الشرح المعجمي:

الفتنة: جماع معناها : الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضّة أو الذّهب إذا أذبتهما بالنّار لتمييز الرّديء من الجيّد.

والفتن: الإحراق. قال تعالى: (يوم هم على النار يُفْتَنون) – والفتّان: الشيطان.

والفِتْنة: المحنة، والمال، والكفر، والأولاد، واختلاف النّاس والآراء – وفتَنتْهُ المرأة: إذا ولّهته.

والفتنة: الضّلال والإثم. والفاتن: المُضِلّ عن الحقّ.

وفَتَنَه: أزاله عمّا كان عليه (وإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عن الذي أوْحَيْنا إليك).

والفتنة: العذاب.

الشاهد الشعري:

يقول الشاعر:

كلُّ امرئ من عباد الله مضطهَد   ببَطْنِ مكّةَ مقهور ومفتُونُ

وفي معنى ولَّهَتْهُ، روى الأصمعي:

لئن فتنتْني فهي بالأمس أفْتَنَتْ   سعيدًا فأمْسَى قد قَلاَ كلَّ مسلم

والقى مصابيحَ القراءة واشترى وِصَالَ الغواني بالكتاب المُتَمّمِ

2) ف – ر – ض:

فارِضٌ:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [سورة البقرة: 68].

المعنى القرآني:

بنو إسرائيل كعادتهم في الإعنات ومراجعة نبيّهم، يسألونه عن البقرة، التي يأمرهم بذبحها فيجيب " قال إنّه يقول إنها بقرة..." و (لا فارض ولا بكر) هكذا مع حرف (لا) لإثبات وصف واسطة بين الوصفين المنْفيّيْن. فتكون الصفة بنفي وصف آخر–

والفارض: المسنّة لأنّها فرضَتْ سِنّها أيْ قطعتْها–

البِكْرُ: الفتيّة مشتقّة من البُكرة وهي أوّل النّهار، والبكر في أوّل سنوات العمر –

والعوان: هي المتوسّطة السّنّ – واختيرت لأنّها أقوى وأشدّ.

وقوله: (بين ذلك) : أي بين هذين السّنّيْن.

الشرح المعجمي:

الفرض: القطع. ويقال للقديم فارض – والفارض: الهَرِمة.

والفارض: الضّخم من كلّ شيء الذّكر والأنثى فيه سواء – ولا يقال فارضة (لحية فارض، وسقاء فارض..).

والفارض: المسنّة كما في التّنزيل، والهرمة، والبكر الشابّة - وفرضت البقرة: طعنت في السّنّ - والفارض: الكبيرة أو الكبيرة العظيمة (فرضت فروضا) والجمع فوارض - وفي الحديث: (لكم الفارض والفريض) أي المسنّة من الإبل وقد فرضت.

ويقال: أضمر عليّ ضِغْنًا فارِضًا وضِغْنةً فارضا (بغير هاء) أي عظيما.

الشاهد الشّعري:

قال خُفاف بن نُدبة[1]:

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا تُساق إليه ما تقوم على رِجْلِ[2]

وقال أميّة في الفارض أيضا:

كُمَيْتٌ بهيم اللّون ليس بفارض ولا بخصيف ذات لون مُرقّم[3]

وفي العوان والبكر يقول النّابغة:

ومن يتربّصِ الحَدَثانَ تنزل بمولاه عَوانٌ غيرُ بِكْرِ[4]

---

(1) وقيل علقمة بن عوف.

(2) وروي: تُجرّ إليه ما تقوم..

(3) الخصيف: الرماد (لون) ومرقّم: مخطّط.

(4) والقصد هنا: مصيبة عوان أي عظيمة شديدة. كما قالوا: حرب عَوَانٌ لوصفها بالشدّة.

3) ف – ط – ر:

مُنفَطِرٌ:

قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾ [سورة المزمّل: 18].

المعنى القرآني:

جملة (السّماء منفطر به) صفة ثانية ليوم الهَوْل الأكبر المذكور في الآية قبلها.

والوصف الأوّل هو (يجعل الولدان شيبا). وكان الوصف الثاني وهو انفطار السّماء وعلى عظمتها، أشدّ هولا ورعْبا ممّا كنّى به في الجملة الأولى المتضمّنة للوصف الأوّل. فانفطار السماء الذي هو التّشقّق الذي يحدث فيها لذلك اليوم فما بالك بالأنفس والخلائق، كان لزيادة التّهويل ممّا يزيد المهدّدين رُعبا. والسّماء هنا مأوّلة بالسّقف على التشبيه به. لذلك جاء وصفها بصيغة التّذكير مع أنّها مؤنّث. أو لتخفيف الوصف لأنّه لو لحقته هاء التّأنيث لحصل فيه ثقل.

وقال الحسن: منفطر به – مثقلة به –

الشرح المعجمي:

الفَطْر: أصله الشّقّ. قال تعالى (إذا السّماء انفطرت) أي انشقّت. وفي الحديث قام رسول الله ﷺ حتّى تفطّرت قدماه. أي انشقّتا – وتفطّرت وانفطرت: نفس المعنى.

وفطر الشيءَ: يفطُرُهُ فطْرا فانفطر: شقّه – وتفطّر الشيءُ: تشقّق.

والفطر: جمع فطور: الشقّ. وفي التنزيل العزيز (هل ترى من فطور).

وتفطّر – الشّيء وفطر وانفطر (والسّماء منفطر به) – وسيف فُطار: فيه صدوع وشقوق.

وفَطَر ناب البعير: شقّ وعلا – وانفطر الثوب إذا انشقّ.

وفطر الله القوم: خلقهم وبدأهم – والفِطْرة: الابتداء والاختراع (الحمد لله فاطر السّماوات والأرض).

الشاهد الشّعري:

أنشد ثعلب:

شَقَقْتِ القلبَ ثمّ ذَرَرْتِ فيهِ هَوَاكِ فلِيمَ، فالْتَأم الفُطُورُ

وفي السّيف المتصدّع المتشقّق يقول عنترة العبسي:

وسيْفِي كالعقيقة، وهو كِمْعِي سلاحي لا أفَلّ ولا فُطارا[1]

وقال الشاعر:

ظباهنّ حتّى أعوض اللّيل دونها أفاطيرَ وسْميّ رواه جذورها

---

(1) الكِمع: الضّجيع، والقَباء.

حرف القاف:

1) ق – د – د :

قِدَدًا:

قــال تعــالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾[1] [سورة الجنّ:11].

المعنى القرآني:

يخبرنا الله عن الجنّ أنّهم قالوا مخبرين عن أنفسهم: (وأنّا مِنَّا الصَّالحون..).

أي منّا الصّالح ومنّا غير ذلك.

و(كنّا طرائق قِدَدًا) أي طرائق مختلفة متعدّدة وآراء متفرّقة.

وطرائق قددا: المنقطعة من كلّ وجه. أيْ منّا المؤمن ومنّا الكافر.

وقيل في (ومنّا ما دون ذلك) أي في مكان منحطّ عن الصّالحين.

أي منّا فريق في مرتبة دونهم.

و(كنّا طرائق قِدَدًا) تشبيه بليغ. شبّه تُخالف الأحوال والعقائد.

وطرائق جمع طريقة أي الطّريق، وُصِفت بـ(قِدَدًا) واسم الجمع قِدَّة وهي القطعة من جلد ونحوه. والخبر مستعمل في التعريض بذمّ الاختلاف. وهم يدعون إخوتهم إلى وحدة العقيدة...

الشرح المعجمي:

القدّ: القطع المستأصل والشقّ طولا – والانقداد: الانشقاق.

---

[1] قرأ الجمهور: (وإِنّا منّا) بكسر الهمزة، وقرأ حفص وآخرون بفتحها (وأَنّا منّا)

والقدّ: قطع الجلد وشقّ الثّوب، وضربه بالسّيف فقدّه نصفين.

والقِدَّة: القطعة من الشيء – والقِدّة: الفرقة والطريقة من الناس إذا كان هوى كلّ واحد على حدة (كنّا طرائق قِدَدًا) – وتقدّد القوم: تفرّقوا قِدَدًا وتقطّعوا –

"كنّا فرقا مختلفة أهواؤنا" و "قِدَدًا" متفرّقين أي كنّا جماعات متفرّقين، مسلمين وغير مسلمين (وإنّا مِنّا المسلمون ومِنّا القاسِطون) – وصار القوم قِدَدًا: تفرّقت حالاتهم وأهواؤهم – وغُلامٌ حَسَنُ القَدِّ أيْ حسن الاعتدال والجسم.

الشاهد الشّعري:

يقول الشاعر:

ولقد قلتُ وزيْدٌ حاسر   يومَ ولَّتْ خيْل زيْدٍ قِدَدًا

ويقول النّابغة في قدّ حسن التّقطيع:

ولِرَهْطِ حَرّاب، وقَدٌّ سوْرَةٌ   فِي المَجْدِ، ليْس غُرابُهَا بِمُطار

وقال أبو العَسوس:

وإنّي لأخْشَى ضَرْبة ثقفيّةً   يَقُدُّ بها ممّن عصاه المقلَّدَا

2) ق – ط – ر:

القِطْر:

قال تعالى: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ [سورة سبأ: 12].

المعنى القرآني:

القطر بكسر القاف وسكون الطّاء: النّحاس المذاب. وهو مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [سورة الكهف: 96]

– وأسلنا له عين القطر: أذبنا له الحديد.

وأسلنا من الإسالة وهو جعل الشيء مائعا، سائلا منبطحا في الأرض (مسيل الوادي). وعين القطر لا تعني ما نطلقه على العين حقيقة إنما هي مستعارة لمصبّ ما يصهر في المصنع من نحاس. فيكون النّحاس منصهرا مذابا، خارجا من سواقيه أو أنابيبه لشدّة انصهاره، كما يخرج الماء من العين الحقيقية ويسيل على الأرض – ويجوز أن يكون السّيلان مستعارا لكثرة القِطْر كثرة ماء العين – وقيل: أذبنا له الحديد.

الشرح المعجمي:

القِطْر: الصُّفْر. والقِطْر: الرّصاص، ويقال: الحديد، ويقال: الصُّفْر – وقال ابن عباس: النّحاس.

قَطَر: قطرُ الماء والدّمع وغيرهما من السّيّال: يقطر قطْرًا، وتقاطر – وقَطَران الماء وتقطير الشيء: إسالته قطرة قطرة. والقَطْر: المطر – وقُطارة الشيء ما قطر منه.

والقِطْر: النّحاس الذّائب وقيل ضرْب منه. وقيل النّحاس والآني الّذي قد انتهى حرّه، ومنه قوله تعالى: (مِنْ قِطْرٍ آنٍ). والقطر بالكسر والقطريّة: ضرب من البرود: وفي الحديث أنّ عليه السّلام كان مُتَوَشّحًا بثوبٍ قِطْرِيٍّ.

والقُطر بالضمّ: النّاحية والجانب جمعه أقطار – (من أقطار السّماوات والأرض): نواحيها –

وقطرت البعير: طليته بالقِطران.

<u>الشّاهد الشعري:</u>

قال الشاعر:

فألفى في مراجل من حديد　　　قدور القطر ليس من مبرأة

وفي معنى السّيلان، أنشد ابن جنّي:

كأنّه ثهْتان يومٍ ماطر　　　من الرّبيع، دائِمُ التّقاطر[1]

3) ق – ط – ط:

قِطًّنا:

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة ص: 16].

---

(1) وأنشد بعضهم (دائب) بالباء، وهو في معنى دائم.

المعنى القرآني:

حكاية حالة الذين يكذّبون بالبعث والجزاء. فلمّا هدّدهم القرآن بعذاب الله وتوعّدهم قالوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا... أي نصيبَنا من العذاب في الدّنيا قبل الآخرة، وهو استخفاف وعدم اكتراث. وكان قولهم على وجه الاستهزاء إمعانا في الكفر وتصلّبا مقيتا.

والقِطُّ هو القِسْط من الشيء. وفُسِّرَ القطّ بالصّكّ أيضا لأنّه يُطلق على قطعة من الورق أو الرَّقّ التي يكتب فيها العطاء لأحد، أو العقاب. والأكثر أنه ورقة العطاء —

وقيل: القطّ: الصّحيفة، وهو هنا صحيفة الحسنات (الحساب) — قطّنا: عذابنا.

الشرح المعجمي:

القِطُّ: الجزاء — والقَطّ: القطع أو قطع الشيء الصُّلب — وقَطْ خفيفة بمعنى حسْب. تقول قَطْنِي أي حَسْبِي — وقَطُّ: هو الأبد الماضي (ما رأيتُ مثله قَطُّ).

معناها الزمان.

والقِطُّ: النّصيب — والقِطُّ: الصّكّ بالجائزة — والقِطّ: كتاب المحاسبة —

و(عَجِّلْ لنا قِطَّنَا) أي نصيبنا من العذاب —

وقال الفرّاء: القِطُّ: الصّحيفة المكتوبة. أي عجّل لنا هذا الكتاب قبل يوم الحساب.

والقِطّ عند العرب: الصّكّ وهو الحظّ — وأيضا أريد بالقِطّ الجوائز والأرزاق سُمِّيت قطوطا لأنها كانت تخرج مكتوبة في رقاع.

الشّاهد الشّعري:

يقول الأعشى:

ولا المَلِكُ النُّعمان حين لقِيتُهُ … بأُمَّتِه يُعْطي القُطوط ويأفَق[1]

وفي معنى ورقة العطاء يقول المتلمّس في صحيفة عمرو بن هند التي أعطاه إيّاها إلى عامله بالبحرين يوهمه أنّه أمَر بالعطاء، وهي في الحقيقة أمر بقتله.. فلما فطن بما يدبّره له ألقاها في النّهر:

وألقيتها بالثِّني من جنب كافر … كذلك يلقَى كلّ قطّ مُضَلّل

وفي معنى الكتاب يقول أميّة بن أبي الصّلت:

قومٌ لهم ساحة العرا … ق جميعا، والقطّ والقلمُ

4) ق- م - ح:

مُقمحون:

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [سورة يس: 8].

---

(1) روي: بغبطته عوض بأمّته – ويأفق أي:
ويبلغ النهاية في الكرم، وفي جميع الفضائل فهو آفِقٌ وأفيق. وفي العطاء: أعطى بعضا أكثر من بعض.
وقيل: يأفق بمعنى يفضّل.

المعنى القرآني:

أي جعلنا حالهم كحال من في أعناقهم أغلال، فهي إلى الأذقان فهم مقمحون. وذكر فهي إلى الأذقان لتحقيق كون الأغلال ملزوزة إلى عظام الأذقان بحيث إذا أراد المغلول منهم الإلتفات أو أن يطأطئ رأسه وجعه ذقنه فلازم السّكون.

وهذه حالة تخييل هذه الأغلال وليس كلّ الأغلال مثل هذه الحالة.

والمُقمح بصيغة اسم المفعول المجعول قامحا أي رافعا رأسه، ناظرًا إلى فوق – والأذقان جمع ذَقَن بالتّحريك وهو مجتمع اللّحيْين[1].

الشرح المعجمي:

قمحه الغلّ: إذا جعل رأسه مرفوعا وغضّ بصره.

والمقمح: الشّامخ بأنفه المنكس رأسه.

والإقماح: رفع الرّأس وغضّ البصر. يُقال أقمحه الغُلُّ: إذا ترك رأسه مرفوعا من ضيقه.

والقامِح والمقامِح من الإبل: الذي اشتدّ عطشه حتّى فَتَرَه. (فَهُم مُّقْمَحُون) خاشعون لا يرفعون أبصارهم. وبعير مقامِح وناقة مقامِح: إذا رفع رأسه عن الحوْض ولم يشرب.

وجمعه قِماح – وقيل: التّقمّح : كراهة الشُّرْب – والمُقمح: الغاضّ بصرهُ بعد رَفع رأسه، ففي حديث عليّ كرّم الله وجهه، قال له النّبيّ (سَتَقْدَمُ على الله تعالى أنت وشِيعَتُك راضين مرْضِيّين. ويُقْدَمُ عليك

---

(1) التحرير والتنوير: 22/ 349، 350.

عدُوُّك غِضابا مُقْمَحينَ) وقوله تعالى: (فهي إلى الأذقان) أراد أنّ أيديَهم لّما غُلّت عند أعناقهم رفَعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صُعُدًا كالإبل الرّافعَة رؤوسها.

الشاهد الشعري:

يقول بشر بن أبي خازم يذكر سفينة وركبانها:

ونحن على جوانبها قُعُود نغُضُّ الطّرْف كالإبل القِماحِ

وعن الشهر القِماحِ الذي يُكْرَهُ فيه شرب الماء مثل شهر ديسمبر يقول مالك بن خالد الهُذَلي:

فتًى، ما ابنُ الأغرِّ إذا شَتَوْنا وحُبَّ الزّادُ في شَهْرَيْ قِمَاحِ [1]

5) ق – م – ط – ر:

قمْطَرِيرًا:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [سورة الإنسان: 10].

---

(1) ويُرْوى قُماح: وهما لغتان – وسُمّي الشهران بذلك لأنّ الإبل فيهما تُقامحُ عن الماء فلا تشربه، لأنّهما أشدّ الشّتاء: (ديسمبر وجانفي).

المعنى القرآني:

جاء في الآية السّابقة (إنّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله) أي رجاء ما ينالنا من ثواب عند الله ومن أجل رضاه. لا نطلب منكم مكافأة ولا لتشكرونا بين النّاس. ثمّ قالوا في توضيح القصد من ذلك: (إنّا نخاف...) أي إنما نفعل ما نفعل خوفا من الله لعلّه يرحمنا ويكلؤنا بعطفه في يوم عبوس قمطرير – وفي معنى اللّفظتين قال ابن عبّاس: عبوس: ضيّق، وقمطرير: طويل. وقال آخرون: يعبس الكافر يومئذ حتّى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران. وقال سعيد بن جُبَيْر: يوم تعبس فيه الوجوه من الهول – وقمطريرا تقليص الجبين وما بين العينين من الهول. وقيل العبوس: الشرّ – وقمطرير: شديد.

الشّرح المعجمي:

القمطرير: الشّديد. يقال: يوم قمْطرير، ويوم قماطِر ويوم عصيب – والعُبوس –

واقْمَطَرَّ اليوم اقْمِطْرَارًا: أي أشدّ الأيّام و أطْولها في البلاء والشدّة.

القمطرير: من يتقبّض وجهه من شدّة الوجع. والقماطر والعصيب: أشدّ ما يكون من أيّام البلاء.

والقِمَطْر: الجمل القويّ السّريع.

وذئب قِمَطْر الرِّجْل: شديدها – وكلْب قِمَطْر الرِّجْل إذا كان به عُقّالٌ من اعوجاج ساقيه.

واقْمَطَرَّ لِلشرِّ: تَهيّأ – واقْمَطَرَّتِ العقرب إذا عطفتْ ذنبَها وجمعت نفسها –

وقمْطرير: مُقبّض ما بين العينين لشدّته – وقيل إذا كان شديدا غليظا – وفيه معنى العبوس.

وشرٌّ قُماطِر وقِمْطَر.

والقِمَطْر: ما تُصانُ فيه الكتب.

الشّاهد الشعري:

يقول الشاعر:

بني عمّنا، هل تذكرون بلاءنا؟ عليكم إذا ما كان يومٌ قُماطِرُ

ويقول أميّة بن أبي الصّلت:

ولا يومُ الحساب وكان يوْماً عَبوسًا في الشّدائد قمطريرا

وفي معنى شرّ قمطر يقول الشّاعر:

وكنتُ إذا قوْمي رَمَوْني رميْتُهم بِمُسْقِطَةِ الأحْمال، فَقْمَاءَ قِمْطَرِ[1]

---

(1) فقماء: ربما عنى بها عظيمة ذات شرّ، مائلة عن الحقّ.

حرف الكاف:

1) ك – د – ى:

أكْدى:

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ [سورة النجم: 33-34].

المعنى القرآني:

تشير الآية إلى الّذي تولّى وأعطى قليلا. ويقال إن المراد به شخص بعينه وهو الوليد بن المغيرة..وقيل نزلت الآية في العاصي بن وائل السّهمي، وقيل في أبي جهل أو النضر بن الحارث..

وقوله (تولّى) أي عن النّظر في الإسلام بعد أن قاربه. وقوله (أعطى قليلا وأكدى) إشارةِ إلى ما أعطاه للّذي يحمل عنه العذاب. وأشار بقوله (وأكدى) إلى بخله وقطعه العطاء. وهي مذمّة. وقيل معنى أكدى: قطع عطاءه.. وقيل كدّره بمنّه. والمعنى أنه أعطى من قبله وميله للإسلام قليلا وانقطع بعد أن اقترب.

الشرح المعجمي:

أكدى: ألحّ في المسألة – وأكدى إذا بلغ الصّلب وصادف كُدْية.

وقيل المُكْدي من الرّجال الذي لا يثوب له مال ولا ينْمي وقدْ أكْدَى.

وأكْدَى الرّجل: قلّ خيره – وأكْدَى المطر: قلّ ونَكِد – وكدَى الرّجل وأكْدى: قلّل عطاءه: وقيل : بخل.

وفي التّنزيل (وأعطى قليلا وأكدى) قيل: أي وقطع القليل - وأكْدى: أمْسَك عن العطيّة وقطع. وأصله من الحفر في البئر إذا بلغ الحافر إلى حجر لا يمكنه من الحفر: قد بلغ الكُدْية- وأكدى النّبت إذا قصُر من البرد - وأكدَى العام إذا أجْدب - وكدِيتْ أصابعُه إذا كلّت من الحفر - وأكْدى: افتقر بعد غنى - ومِسْكٌ كَدِيّ: لا رائحة فيه.

الشّاهد الشّعري:

يقول الشّاعر:

أعطى قليلا ثمّ أكْدى بمنّه ومن ينشر المعروف في النّاس يُحْمَدِ

وفي رواية:

أعطى قليلا ثمّ أكدى عطاءه ومن يبذل المعروف في الناس يُحْمَدِ

وفي معنى لا يلحّ عليك سؤالا تقول الخنساء:

فتى الفتيان ما بلغوا مداهُ ولا يَكْدِي إذا بَلَغَتْ كُداها

وأنشد ثعلب:

وأصبَحَتِ الزوّار بعدَك أمْحلوا وأُكْدِيَ باغي الخير وانقطع السّفْر

2) ك – ن – د:

كَنود:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [سورة العاديات: 6].

المعنى القرآني:

هذه الآية هي جواب القسم السّابق (والعاديات...) وكنود على وزن فعول من أمثلة المبالغة.

قال مجاهد: الكفور، بالنّعمة. وبلغة كنانة، البخيل. وهو الذي يأكل وحده ويمنع رفده، ويُجيع عبده. وفي لغة كندة وحضرموت: العاصي – و(إنّ الإنسان لربّه...) أي إنّ في طبع الإنسان (يفيد الجنس، وأل للاستغراق) الكُنُود لربّه – والمعنى: شديد الكفران لربّه، وهو ما لا يسلم منه الإنسان إلاّ الأنبياء. لأنّها أحوال تعرض للبشر مآلها إلى كفر النّعمة.

وقال مجاهد: الكنود، الكفور.

وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن: الكفور الجحود لنعم الله.

وعن عطاء : الذي لا يعطي في النائبة مع قومه – وعن أبي عبيدة: هو القليل الخير–

الشّرح المعجمي:

كَنَدَ يكنُد كُنودًا : كفر بالنّعمة ورجل كنّاد وكَنود – وقيل هو الجَحُود كما في الآية.

وقيل: لكنود لكفّار بالنّعمة. وقيل: لوّام لربّه، يعُدّ المصيبات وينسى النِّعَم.

وامرأة كُنُد وكَنُود: كفور للمواصلة.

وكَنود: كفور للمودّة: وكَنَدَهُ أي قطعَه. وأرْض كَنود: لا تنبت شيئا.

وقيل: هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده. قال ابن سيّده: ولا أعرف له في اللّغة أصلا ولا يسوغ أيضا مع قوله لربّه.

وقيل: لكنود معناه لكفور يعني بذلك الكافر، ومنه الأرض الكنود (وهي التي لا تنبت شيئا والأصل فيه منع الحق والخير[1] قال الأعشى:

أحدث لها تحدث لوصلك أنها كنـد لوصل الزّائر المعتاد

الشاهد الشعري:

يقول الشاعر:

شكرْتُ له يومَ العُكاظ نَواله ولم أكُ للمعروف ثمَّ كَنُودا

وكَنَد في معنى قطع، يقول الأعشى:

---

(1) مجمع البيان في تفسير القرآن – ج عمّ – ص 173 – الشيخ الطبرسي –
والكنود بلسان كندة وحضرموت: العاصي – وبلسان مضر وبيعة وقضاعة: الكفور (عن الكلبي).
وروى أبو أمامة عن النبي (صلعم) أنه قال: أتدرون من الكنود؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده.

أمِيطـي ثُميطـي بِـصُلْب الفـؤاد   وُصــــولَ حبــال وكنّادهــــا

وفي معنى كفور للمواصلة يقول النمر بن تولب يصف امرأته:

كَنُـــودٌ لا تُمـــنُّ ولا تُفــادي   إذا عَلِقــتْ حَبائِلُهــا بِــرَهْنِ

حرف اللاّم:

1) ل – د – د:

ألدّ:

قـال تعـالى: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [سورة البقرة: 204].

المعنى القرآني:

ومن النّاس (أي بعض النّاس) من يُظهر لك ما يعجبك من القول. والمقصود به هنا الإيمان والإعراض عن الكفّار، يريد بذلك المنافقين ومعظمهم من اليهود، ومنهم مشركون، ويقرن حسن قوله الظاهر بإشهاد الله تعالى على أنّ قوله مطابق لما في قلبه، والحال أنّه شديد الخصومة أي العداوة (وهو ألدّ الخصام من لدّه يلَدّه (بفتح اللاّم) تقول لَدِدْتَ يا... إذا خاصم. والألدّ: شديد الخصومة. وقيل: ألدّ الخصام: الجَدِل. أو المخاصم في الحقّ..

و(ألدّ) هنا صفة مشبّهة وليس اسم تفضيل لأنّ مؤنثه جاء على فعْلاء (الدّاء) وجمعه جاء على فُعْل (لُدّ).

الشرح المعجمي:

لدّد به، وندّد به: إذا سمّع به – ولدّهُ عن الأمر لدًّا: حبَسَه (هُذليّة).

ورجل لديد شديد – والألدُّ: الخَصِم الجَدِلُ الشّحيح الذي لا يزيغ إلى الحقّ. والجمع: لُدٌّ ولِداد. ومنه قول عمر رضي الله عنه لأمّ سَلَمة: (فأنا منهم بين ألسنةٍ لِداد، وقلوب شداد، وسُيُوف حِداد).

والألدّ الشديد الخصومة. ولدَدْت لدَدًا: صرت ألدّ – ولدَدْتُه: خصمته – ويقال امرأة لدّاءُ وقوم لُدٌّ، وهو لادٌّ ولدود: خصِم جَدِل.

قال تعالى: " وتُنْذِرُ بِهِ قوْمًا لُدًّا : أي خُصماءُ عُوجٌ عن الحقّ. وقيل: صُمٌّ عنه.

الشّاهد الشعري:

يقول ابن أبي ربيعة:

فَوَحَقِّ البيانِ يَعْضُدُهُ البُرْ   هَانُ في مأقِطٍ أَلَدَّ الخِصامِ[1]

ويقول مهلهل:

إنّ تحت الأحجار حَزْمًا وُجُودًا   وخصيما ألدّ ذا مِغْلاق[2]

(1) المأقط: موضع الحرب فضربه مثلا لموضع المناظرة والمحاجّة.

(2) وروي: معلاق بالعين المهملة. قال المبرّد: إذا علق بخصم لم يتخلّص منه. ومن رواه بالغين فتأويله أنّه يغلق الحجّة على الخصم. (الكامل: 1/ 25).

ويقول السّعدي:

إذا هاب أقوامٌ تجشّمت هوْل ما　　　يَهابُ حُميّاهُ الألَـدُّ المُـدَاعِس،[1]

ويقول ربيعة بن مقروم:

وألَـدُّ ذي حَنَـقٍ عَلَـيَّ كَأنَّمَـا　　　تَغْلِي حَرَارةُ صَدْرِهِ فِـي مِرْجَـلِ

وفي معنى شديد الخصومة يقول الطِرِمَّاح يصف الحرباء:

يُضحى على سوق الجُذْول كأنّه　　　خصم، أبرُّ على الخصوم، يَلَنْـدَدُ[2]

وفي معنى خصمَه يقول الرّاجز:

ألَـدُّ أقـران الخُـصوم اللُّـدُّ

2) ل – ي – ت:

يَلِتْكُم :

قـال تعـالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ [سورة الحجرات: 14].

---

(1) قوله: الألدّ فأصله شديد الخصومة (لا ينثني عن خصمه) مثل قوله تعالى (وَتُنذِرَ به قوْمًا لُدًّا) خصِمُون – والسّعدي أراد: لا ينثني عن الحرب تشبيها بذلك – والمداعس: المطاعِن – (الكامل: 1/ 25)

(2) الألندد كالألدّ.

المعنى القرآني:

هو إرْشاد قرآني لما في قلوبهم من مرض ضعف الإيمان "بأنّهم إنْ يطيعوا الله ورسوله حصل إيمانهم، فإنّ ممّا أمر الله به على لسان رسوله ﷺ بيان عقائد الإيمان بأن يقبلوا على التعلّم من رسول الله ﷺ مدّة إقامتهم بالمدينة عوضا عن الاشتغال بالمنّ والتّعريض بطلب الصّدقات"[1].

ومعنى (لا يَلِتْكم) لا يُنْقصكم، بلغة بني عبس.

وألَتَه ألَتا: مثل أمره في لغة غطفان.

والمعنى: إن أخلصتم الإيمان كما أمِرْتُم، تقبّل الله أعمالكم التي ذكرتم من أنّكم جئتم طائعين للإسلام من غيْرِ قتال.

الشّرح المعجمي:

لاتَهُ حقّه يليته ليْتا، وألاته: نقصه – وهو ما ينطبق على الآية المذكورة – وقيل: لا ينقصكم، ولا يظلمكم من أعمالكم شيئا – وقال الزّجاج: لاَتَهُ يَليته، وألاته يُليته وألَتَهُ يألِته إذا نَقَصَه. وقُرئ (ماَ لِتْناهم مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شيْء). ويكون لاته يليته إذا صرفه عن الشيء. ولاته عن أمْرِه: صرفَه – وقيل: الحمدُ لله الذي لا يُفات ولا يُلات..معناه:

لا يُنقص ولا يُحبس عنه الدّعاءَ.

ولاته ليْتا: أخبره بالشيء على غير وجهه. وقيل يُعمَّى عليه الخبر...[2]

---

[1] التحرير والتنوير: 26/ 266 – ابن عاشور.

[2] اللّسان.

الشاهد الشعري:

يقول الحُطيئة:

أبْلِـغْ سَـراةَ بـني سـعد مُغَلْغَلَـةً جهْد الرّسـالة لا ألْتـا ولا كـذِبا

وفي معنى صرفه عن الشّيء يقول عروة بن الورد:

فــأعجبَني إدامُهــا وســنامُها فبتُّ أليتُ الحقّ، والحقُّ مُبْتلي[1]

وأنشِد لعَدِيّ بن زيد:

ويأكلن ما أغنى الوليُّ فلم يُلِتْ كأنَّ بحافـات النُّهَـاءِ، المزارعـا[2]

حرف الميم:

1) م – ر – ج:

مريج:

قال تعـالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ [سورة ق: 5].

---

(1) اليت الحقّ: أحيله وأصرفه.

(2) أغنى: أنبت – الوليّ: المطر تقدّمه مطر – والضّمير في (يأكلن) يعود على حُمُر ذكرها قبل هذا البيْت.

المعنى القرآني:

(بل) إضراب تابع للإضراب الذي قبله (بَلْ عَجِبُوا...) على طريقة تكرير الجملة في مقام التنديد والإبطال. أي أنّهم أتوا بأفظع من إحالتهم البعث وذلك هو التّكذيب بالحقّ.

والمراد بالحقّ هنا القرآن لأنّ فعل التّكذيب إذا عدّي بالباء عدّي إلى الخبر وإذا عدّي بنفسه كان لتكذيب المخبر[1].

وأنهم بادروا بالتكذيب دون تأمّل ولا نظر فيما حواه من الحقّ بل كذّبوا به من أوّل وهلة فكذّبوا بتوحيد الله، وهو أوّل حقّ جاء به القرآن.

و(أمْرٍ) هي الحال المتلبّسون بها، و (مريج) قيل هو الباطل. أو هو المضطرب المختلط أي لا قرار في أنفسهم في هذا التكذيب. اضطربت فيه أحوالهم كلّها من أقوالهم وبُهتهم وعقولهم..

وأورد (القالي): "حدّثنا أبو بكر الأنباري في قوله عزّ وجلّ (فهُمْ في أمر مريج) قال: معناه في أمر مختلط.

يقال: مَرِجَ أمر النـاّس أي اختلط...وكذا فسّر ابن عباس – الأمالي: 2/ 310.

الشرح المعجمي:

المريج: الباطل – خالص النّار – يقال: مرج الأمير رعيّته إذا خلاّهم يعدو بعضهم على بعض (مَرِج أمر النّاس) – ومريج ملتبس – ومرج: اختلط البحران – ومن مرجْت دابّتك: تركتها – قال مجاهد: المارج: اللّهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النّار إذا أوقدت.

---

(1) التحرير والتنوير: 6/ 284.

وسهم مريج: قلق – والمريج: الملتوي الأعوج – ومرج الأمر مرجا فهو مارج ومريج: التبس واختلط..مختلف ملتبس عليهم – وغصن مريج: ملتوٍ مشتبك.

ورجل ممراج: يمرج أموره ولا يحكمها – ومَرِجَ العهد والدّين: فسد – وأمرج عهده: لم يف به.

والمرَج: الفتنة والفساد. وفي الحديث: كيف أنتم إذا مرج الدّين؟ أي فسد – ومرج الله البحرين العذب والملح: خلطهما حتّى التقيا، أو خلاّهما ثمّ جعلهما لا يلتبس ذا بذا – والمرْج: الإجراء : مرج البحرين أي أجراهما.

الشاهد الشعري:

يقول عمرو بن الدّاخل[1] أو الهذلي (وقيل لأبي ذؤيب):

فراغتْ فالتمستُ بها حشاها فخَرَّ كأنّه خُوطٌ مَريجُ[2]

وفي معنى الفساد يقول أبو داود:

مَرِجَ الدّين، فأعددْت لهُ مُشْرِفَ الحارِكِ مَحْبُوكَ الكَتَدْ[3]

---

(1) قال الأصمعي لرجل من هذيل يقال له الدّاخل، واسمه زهير بن حرام أحد بني سهم بن معاوية.

(2) الخوط: الغصن النّاعم لسَنتِه. أو كلّ قضيب جمع خيطان- وأيضا: الرجل الجسيم الخفيف الحسن الخلق –
وروي: فجالت عوض فراغَت – وخوطٌ مريج: غصن له شعب قصار قد التبست (التّهذيب) وهنا: مختلط. يقال: مرج أمر النّاس أي اختلط...و(مرج البحرين يلتقيان) يعني أرسلهما وخلاّهما.

(3) مرج: اختلط – وبذلك فسّر ابن عباس مستشهدا بقول ابن ذؤيب "كأنه خوط مريج" يعني سهما اختلط به الدم.
الحارك: أعلى الكاهل – الحبك: الشدّ والإحكام. الأمالي: 2/ 310.

2) م – هـ – ل:

كالمُهْل:

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [سورة الكهف: 29].

المعنى القرآني:

وإنْ يَسْتَغِيثُوا عندما يحيط بهم العذاب، يُغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه.

والاستغاثة: طلب الغوث والإنقاذ من شدّة. وهنا الاستغاثة من حرّ النار يطلبون شيئا يبرد عليهم. و(يغاثوا) كانت على سبيل التّهكّم.

والمُهل له معانٍ كثيرة. قال ابن عباس: هو الماء الغليظ مثل دُرْدي الزّيت. وقال مجاهد: هو كالدّم والقيح. وقال آخر: هو كلّ شيء أذيب... والتّشبيه في سواد اللّون وشدّة الحرارة. لذلك عقّب بقوله (يشوي الوجوه) والوجه أشدّ الأعضاء تألّما – فإذا أدنوا المهل من أفواههم اشتوى من حرّه لحوم وجوههم التي سقطت عنها الجلود.

وجاء في آية أخرى ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخّان: 45].

الشرح المعجمي:

المُهل: اسم يجمع معدنيّات الجواهر – والمُهل: ما ذاب من صُـفْر أو حديد –

والـمُهْل والمُهلة: ضرب من القطران ما هيٌّ رقيـق يـشبه الزيـت ضارب إلى الصفرة تدهن به الإبل شتاء – والـمُهل: دُرْديّ الزّيت – وهو القيْح والصّديد.

و(يوم تكون السّماءُ كالـمُهل) كالزّيت الذي أُغْلِيَ – وسئل ابن مسعود عن قوله تعـالى: (كالمُهْـل يـشْوِي الوُجُـوهَ) فـدعَا بفـضّة فأذابهـا فجعَلَتْ تَميَّعَ وتلوَّنُ. فقـال: هـذا أشـبه مـا أنـتم راؤون بالمُهْـل – وقـال بعضهم: المُهل: السمُّ والمُهل النّحاس الذائب.

والمُهل: جمر في الرّماد، وفِلِزّ أذيب (والفلـزّ جـواهر الأرض مـن ذهب وفضّة ونحاس).

الشّاهد الشعري:

يقول الشاعر:

تبارى بها العيش السّموم كأنّهـا تبطّنت الأقراب من عـرقٍ مُهْـلا[1]

وفي معنى النّحاس الذائب يقول بعضهم:

ونُطعم من سديف اللّحـم شـيزى إذا مـا المـاء كالمُهْـل الفريـــغ[2]

---

(1) الأقراب: الخاصرة. أو من الشاكلة إلى مرَاقِ البطن.

(2) السّديف: شحم السّنام – شيزى: قصاع من خشب الشّيز الأسود.

حرف النّون:

1) ن – غ – ض:

فسيُنغضون:

قال تعالى: ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ [سورة الإسراء: 51].

المعنى القرآني:

يخبر الله عن الكفّار المستبعدين وقوع المعاد. ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إذا كنّا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر.. ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا مّذكورا ثمّ صرتم بشرا. وذلك عليه هيّن. ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾ قال ابن عباس: يهزّون رؤوسهم ويحرّكونها استهزاء.. والإنغاض هو التّحرّك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل. ويقال: نَغَضَتْ سنُّك: تحرّكتْ.. وإنغاض الرّأس: تحريك الاستهزاء. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ إخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك.

الشّرح المعجمي:

نغَض الشّيء: ينغِض نغْضا ونُغوضا: تحرَّك واضطرب. وأنغضَه: حرّكه كالمتعجّب من الشّيء. ويقال نغَض فلان رأسه.

والنَّغَضان: تنغُّض الرّأس والأسنان في ارتجاف – تقول نغضَت إذا ارتجفتْ. وأنغض رأسه إذا حرّكه. ومنه الحديث: وأخذ يُنْغض رأسه كأنّه يسْتفهم ما يقال.

وقيل: أنغض رأسه إذا حرّكه إلى فوق وإلى أسفل.

ويقال للرّجل إذا حدّث بشيء فحرّك رأسه إنكارا له: قد أنغض رأسه -

والنّغْض: الذي يحرّك رأسه ويرْجُفُ في مشيته.

<u>الشاهد الشّعري</u>:

يقول الشّاعر:

أتُنْغِضُ يَوْمَ الفِجـار وقـد تـرى   خيولا عليها كالأسـود ضـواريا

ويقول الرّاجز:

ونغَـضَت[1] مـن هـرم أسـنانُها

وقال ذو الرّمّة:

ولم يـنغُضْ بهـنّ القنـاطر[2]

2) ن – هـ – ر:

نهر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [سورة القمر: 54].

---

(1) أي تحرّكت.

(2) القناطر: موضع قرب الكوفة، واسم لأمكنة أخرى.

المعنى القرآني:

الآية استئناف بياني، فقد ذكر الله أنّ كلّ صغير وكبير مُستَطَر، أي مكتوب ومسطور، ومجازًى عليه. وقد عُلِمَ جزاء المجرمين (إنّ المجرمين في ضَلاَلٍ وسُعُر) يوْمَ يُسْحَبون في النّار.. فتشوّفت النّفس وتطلّعت إلى ما يقابل جزاء المجرمين، وهو جزاء المتّقين، فجاءت البشارة (إنّ المتّقين...) في جنّات النّعيم، ونهر (في مقعد صدق...).

والنّهر بفتح الهاء لغة في نهر بسكون الهاء.

وقال بعضهم: النَّهَر هو السّعة.

الشرح المعجمي:

النّهْر والنَّهَر: واحد الأنهار – وفي المحكم النّهْر والنَّهَر من مجاري المياه.

والجمع أنهار ونُهُر ونُهُور – ونهر الماء إذا جرى في الأرض وجعل لنفسه نهرًا. ونهرْتُ النهر – حفرته – ونهر النّهر نهرا: أجراه – واستنهر النّهر إذا أخذ لمجراه موضعا مكينا – والمنهر: موضع في النّهر يحتفره الماءُ. أو موْضع النّهر – والمَنْهر: خرْق في الحصن نافذ يجري من الماء – وحفرت البئر حتّى نَهِرتُ. فأنا أنْهَر أي بلغت الماء – وكلّ كثير جرى فقد نهر واستنهر–

ونهر واسع: نَهِر – وأنْهرَ – الطّعنة وسّعها. وانتهرت الدّم: أسلته.

الشاهد الشعري:

يقول قيس بن الحطيم: في معنى أنهر الطّعنة: وسّعها.

ملكْتُ بها كفّي، فأنهرْت فتْقها   يرى قائم من دونِها ما وراءَها

وفي معنى نهر واسع (نَهِر) يقول أبو ذؤيب:

أقامتْ به فابْتنَتْ خيْمة   على قَصَبٍ وفُراتٍ نَهِرْ [1]

حرف الهاء:

1) هـ - ر - ع:

يُهْرَعُون:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة هود: 78].

المعنى القرآني:

وجاء لوطًا قومُه والمراد بعض قومه، وإنما أسند المجيء إلى القوم لأنّ ذلك كان دأبهم.و ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يسرعون ويهرولون فرحا، وكان المشي شبيها بمشي المدفوع. ويُهرعون هو من الأفعال التي التزموا فيها صيغة المفعول وجملة يهرعون حال.

وقال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ دون ذكر الغرض من مجيئهم، وأشار إليه فقط لأنّه صار دأبهم. أي لم يزل هذا من سجيّتهم حتّى أخذوا وهم على تلك الحال.

---

(1) القصب: مجاري الماء من العيون. رواه الأصمعي: وفرات نَهِر، على البدل.

و(يُهرعــــون) هـــــي في مثــــل ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصّافات: 70]. وقال ابن مجاهـد: يهرعـون كهيئـة الهرولـة. وقـال ابـن عباس: مسرعين – يُهرعون: يسرعون – وقيل: يقبلون إليه بالغضب.

الشرح المعجمي:

هرع: الهَرَع والهُراع والإهْراع:شدّة السّوق وسرعة العدْو.

يقال: هُرِعوا وأهْرِعُوا. واستُهْرِعَتِ الإبل: أسرعت إلى الحـوض – وأُهْرِعَ الرَّجُلُ: خفّ وأُرْعِدَ من سُرْعةٍ او خوف أو حِـرْصٍ أو غـضب أو حُمّىً.

وأُهْرِعَ الرّجل إهْراعًا: إذا أتاك وهو يرْعَد من البرد.

وقـــال أبـــو عبيـــد في معنـــى ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يُستحثّون إليه كأنه يحثّ بعضهم بعضا.

وقد جاء المفعول في معنى الفاعل. وفي قولـه تعـالى: ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾:

أيْ يسْعَوْن عِجـالا– وفي قولـه تعـالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ قال مجاهد (في هيئة الهرولة) وقال ابن عباس (يسرعون).

والعرب تقول: أُهْرِعوا وهُرِعوا فهم مُهْرَعون ومهْروعون.

الشاهد الشعري:

قال مهلهل:

فجاءوا يُهْرَعُون وهم أسارى   يَقُودُهُمُ على رغم الأنوف[1]

وقال آخر: (أورده ابن برّي)

كأنّ حُمولَهم، متتابعاتٍ   رعيلٌ يُهرعون إلى رعيل

وقيل أيضا:

زفوفٍ نِيافٍ هَيْرَعٍ عَجْرفِيّةٍ   ترى البيدَ-مِنْ إعْصَافِها الجَرْيَ-ترْتمي[2]

2) هـ- ط -ع :

مُهْطِعِينَ:

قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [سورة إبراهيم: 43].

---

(1) يهرعون وهم أسارى: يساقون ويعْجَلون.

زفوف: سريعة- نياف: ناقة نياف، طويل في ارتفاع. والأصل نِواف: هيْرع: سريع، ومن الرّيح السّريعة الهبوب، الكثيرة الغبار – عجر فيّة: قلّة مبالاة لسرعته (جمل عجرفيّ المشي).

(2) إعصاف: أعصف الفرس: مرّ سريعا، والإبل استدارت حول البئر حرصا على الماء، وهي تثير التّراب.

المعنى القرآني:

يقول تعالى لنبيّه محمد في الآية قبلها: لا تحسبنّ الله غافلا عمّا يعمل الظّالمون. بل هو يحصي عليهم ذلك وإن أنظرهم ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ من شدّة هول يوم القيام. ثمّ ذكر تعالى كيفيّة قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى المحشر، فقال (مُهْطِعِين) قال ابن جبير: النّسلان، الخَبَبُ – السّراع مذْعِنين خاضعين – والإهْطَاع: إسراع المشي مع مدّ العنق كالمتختّل و هي هيئة الخائف. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ وإقناع الرأس: طأطأته من الذّلّ.

وهذا كما جاء في آية ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[1].

قال مجاهد: مهطعين: مديمي النظر، ويقال: مسرعين.

الشرح المعجمي:

هَطَع يهْطَع هُطوعا وأهطع: أقبل على الشّيء ببصره فلم يرفعه عنه.

وقيل المُهطع: الذي ينظر في ذلّ وخشوع والمقنع الّذي يرفع رأسه ينظر في ذلّ. كما جاء في الآية.

وهَطَعَ وأهْطَع: أقبل مسْرعا خائفا لا يكون إلاّ مع خوف. وقيل: نظر بخضوع.

---

(1) قال مجاهد: مهطعين – مديمي النّظر. (ويقال مسرعين).

وقيل: مدَّ عُنُقه وصوّب رأسه. وقال بعض المفسّرين في قوله مُهْطعين: مُحَمَّجِين. والتّحْميج إدامة النّظر، مع فتح العينين. وإلى هذا مال أبو العباس.

وأهطع البعير في سيره إذا أسرع. والإهطاع: الإسراعُ في العَدْو.

الشاهد الشّعري:

قال تُبَّع:

تَعَبَّدَنِي نِمْر بن سعْدٍ وقد رأى   ونمْر بن سعدٍ لي مُطيع ومُهْطِعُ

وقال الشّاعر:

بِدَجْلةَ أهلُها، ولقد أراهُمْ   بدَجْلَة، مُهْطعين إلى السَّماع[1]

3) هـ - ي - ت:

هَيْتَ:

قال تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [سورة يوسف: 23].

المعنى القرآني:

تعرّضت الآية لتقرير ثبات يوسف على العفاف وكان الله يخبر عن امرأة العزيز التي كان في بيتها بمصر، وقد غلّقت الأبواب مراودة له.

---

(1) تعني مهطعين هنا: مسرعين.

وتضعيف غلّقت أي أغلقته إغلاقا محكما، وقالت: هيت لك. وقد قرئت: هِيتَ وهَيْتَ...وهي اسم فعل بمعنى: بادِرْ، وقيل أصلها من الحَوْرانيّة، وهي نبطيّة. وقيل: هي من اللّغة العبرانيّة[1] واللاّم في (لك) لزيادة بيان المقصود بالخطاب. غير أنّ يوسف عليه السلام الذي عصمه الله، وقد امتنع من ذلك أشدّ الامتناع. (قال معاذَ الله إنّه ربّي أحْسَنَ مثْوايَ...).

قال عكرمة: هيت لك بالحورانيّة، هلمّ – وقال ابن جُبيْر: تعالهْ.

الشرح المعجمي:

هيْت : تعجّب. تقول العرب: هَيْتَ للحلم ! وَهِيتَ لك أي أقبل كما في الآية حكاية عن زُليخا حين راودت يوسف – أو هَلُمَّ.

ويقال هَيْتُ لك، وهَيْتِ بضمّ التّاء وكسرها. وأكثرُها هَيْتَ لك بفتح الهاء والتّاء. ورُوي عن عليّ عليه السّلام: هِيتُ لك.. وقال ابن عباس: هِئْتُ لك من الهيئة وكأنّها قالت: تهيّأت لك.

و(هَيْتَ) في معنى الأصوات ليس لها فعل يتصرّف منها وفُتِحت التّاء لسكونها وسكون الياء – ومن وهَيْتَ لك بالعبرانيّة: هَيْتَا لجْ: أي تعال.

وهَيَّتَ بالرّجل وهوّت به: صوّت به وصاح.

الشاهد الشّعري:

قال أحيْحة بن الجُلاح:

---

[1] قال عكرمة: هيْتَ لك بالحورانيّة: هلُمَّ. وقال ابن جُبيْر: تعالَهْ.
وقيل هيْت لك: تهيّأت لك..

به أحْمِي المَضَافَ إذا دعاني إذا ما قيل للأبْطالِ هَيْتَا

وأنشد الشاعر في أمير المؤمنين عليّ قوله:

أبلغ أمير المؤمنين، أخا العراق إذا أتيْنا
إنّ العِرَاق وأهْلهُ سِلْمٌ إليك فهيْتَ، هيْتا[1]

حرف الواو:

1) و- ز – ر:

لا وَزَرَ

قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [سورة القيامة: 10- 11].

<u>المعنى القرآني</u>:

بعد السّؤال عن تعيين وقت معلوم عن حلول يوم القيامة ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ هدّدوا بأهوال هذا اليوم عوض تعيين وقته وأنذروا بما يقع فيه، وكان فيه تعريض بالتّوبيخ لما فرّطوا في التّوقّي منه انشغالا بالسّؤال.

---

(1) معناه: هلمّ، هَلُمَّ – إنّ العراق...روي بكسر الهمزة وبفتحها – كما روي: عُنُقٌ إليْك: أي مائلون إليك.
وروى ابن جنّي أنْ هَيْتَ في البيت بمعنى : أسرِع.

وذكرت في الآية الأحوال ممّا يقع عند حلول السّاعة ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي بما يدلّ عليه، يقول الإنسان الكافر يومئذ: أين المفرّ؟ أي ليت لي فرارا إلى مكان نجاة. لكنّه لا يستطيع.

كلاّ: ردع وإبطال فهو (لا يجد مفرّا.. والوَزَرَ: الملجأ. وقال ابن عباس: الحصن. أي لا ملجأ ولا حصن من إصابة مكروه، وليس إلاّ النّار مثوى.

الشرح المعجمي:

الوَزَرَ: الملجأ، وأصل الوزر الجبل المنيع الذي يُلجأ إليه كما جاء في كلام العرب. وفي معنى الآية: لا شيء يُعتصم فيه من أمر الله - والوزَر: كلّ مَعْقِل ومُعْتصَم.

والوِزْرَ: الحِمْل الثقيل والذّنب.. والإثم والسّلاح - من وَزَرَ يَزِرُ، ووَزِرَ يوْزَرُ فهو مَوْزُور.

والوزير: خبَأ الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه. وقد استوزره فتوزّر له - والوزر: أيضا الثّقل والإثم. ويطلق على الذّنب - ووزر - يَزِرُ إذا حمل ما يُثْقِل ظهره من الأشياء ومن الذّنوب. وفي التّنزيل ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يُؤْخَذُ أحد بذنب غيره.

الشّاهد الشعري:

يقول عمْرو بن كلثوم:

لعمْـرُك مـا إنْ لـه صَـخْرَةٌ   لعَمْـرُكَ مـا إنْ لـهُ مِـنْ وَزَر

وفي معنى السّلاح يقول الاعشى:

وأعـدَدْتُ للحـربِ أوزارهـا رماحـا طـوالا وخـيلاً ذُكـورا

ويقول بعضهم:

تعَزَّ، فلا شيء في الأرض باقيـا ولا وَزَرٌ ممّـا قـضى الله واقيـا

2) و – ز – ع :

يُوزَعُون:

قـال تعـالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [سورة النمل: 17].

المعنى القرآني:

سليمان النّبي قد وهبه الله قوى يدرك بهـا منطـق الطّـير ودلالـة النّمل...الخ. وسليمان الملك لم يكن رسولا ولا مشرّعا فوهبـه الله ملكـا يتصرّف فيه بالسّياسة.

(وحُشِرَ لـسليْمان جنـوده...) أي أنّ جنـوده (جمـع جنـد وهـي الطائفة التي لهـا عمـل تُـسخَّرُ لـه) كانـت في حـضرته مـسخّرة لأمـره – وجنوده ثلاثة أصناف: الجـنّ لتـصريف القـوى الخفيّـة. والإنـس لتنفيـذ أوامره ومحاربة العدوّ وحراسة المملكة – والطّير لتوجيه الأخبار وتلقّيهـا. والوزْع: الكفّ عمّا لا يراد. أي فهم يؤمرون فيأتمرون ويُنهـون فينتهـون. أي قد سخّر الله له الرعيّة كلها.

وقيل: يوزعون: يُحْبس أوّلهم على آخرهم حتّى تنام الطّير.

الشرح المعجمي:

الوزْع: كفّ النّفس عن هواها – وزعَه وبه يَزَعُ ويزِعُ وزْعاً: كفَّه.

فاتَّزَعَ هو أي كفّ – ووزعْت الجيش إذا حبست أوّلهم على آخرهم.

وفي حديث أبي بكر ﷺ أنّ المغيرة رجل وازع، يريد أنّه صالح للتّقدّم على الجيش وتدبير أمرهم وترتيبهم في قتالهم. وفي الآية المذكورة (فهم يوزَعون) أي يُحبس أوّلهم على آخرهم. وقيل يُكلَّفون.

ويزَعُ الناس: يكفّهم عن التّفرّق والانتشار.

وفي حديث الحسن لّما ولي القضاء قال: لا بدّ للنّاس من وَزَعة. أي أعوان يكفّونهم عن التّعدّي. والشّرّ والفساد. وفي رواية: من وازع أي من سلطان يكفّهم.

الشاهد الشعري:

يقول الشاعر:

وزعْتُ رعيلها بأقبّ نَهْدٍ   إذا ما القوم شدّوا بعْد خمْسِ[1]

[1] الرّعيل: القطعة من الخيل أو مقدّمتها.
أقبّ: ضامر – نهْد: الفرس الحسن الجميل الجسم اللّحيم المُشْرف.

ويقول النّابغة:

على حينَ عاتبْتُ المشيب على الصِّبا وقلتُ: ألَمّا أصْحُ والشيْبُ وازعُ؟[1]

حرف الياء:

1) ي- ن- ع:

<u>يَنْعِهِ:</u>

قال تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [سورة الأنعام: 99].

<u>المعنى القرآني:</u>

قوله: (انظروا إلى ثمره) بيان للجمل التي قبلها التي ذكرتها الآية من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ والمقصود منه بيان صنع الله وقدرته. والضمير المضاف إليه في (ثمره) عائد إلى ما عاد إليه ضمير (مشتبهاً) من تخصيص أو تعميم.

﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾

---

[1] ويختلف معنى الفعل في قوله تعالى: "فتبسّمَ ضَاحِكًا منْ قَوْلِهَا وقال رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ" النّمل:19

ويعني: اجعلني.

و(ثَمَرِهِ بفتح الثّاء والميم كما قرأ البعض، أو (ثُمُرِهِ) بضمّ الثّاء والميم كما قرأ البعض يعني الجنى الذي يخرجه الشجر. واليَنْعُ: قيل هو نُضْجُهُ وبلاغه. وقيل: الطّيب والنّضج، من يَنَعَ ييْنَعُ أو ييْنِع.

وإذا أثمر أي ابتداء أثماره. ولم تقيّد ينع بـإذا لأنّه إذا ينع فقد حان قطافه.

الشرح المعجمي:

يَنَعَ الثّمرُ، يَيْنَعُ وييْنِع يَنَعًا ويُنْعًا ويُنُوعًا: فهو يَانِعٌ من ثَمَرٍ يَنْعٍ، وأَيْنَعَ يُونِعُ إينَاعًا، كلاهما: أدرك ونضِجَ.. وأَيْنَعَ أكثر استعمالا. وقُرِئ: ويَنْعِهِ ويُنْعِهِ ويانِعِهِ.

واليَنْعُ: النضج. وثمر ينيع ويانع مثل نضيج وناضج.

وجمع اليانع يَنْعٌ كصاحب وصحْب.

ويقال: أينع الثّمَر فهو يانع ومُونِع، كأيْفع الغلام فهو يافع.

الشاهد الشعري:

يقول الشاعر:

إذا ما مشَتْ وسْطَ النّساء تـأوَّدتْ كما اهْتَزَّ غُصْنٌ ناعِمُ النَّبْتِ يانِعُ

ويقول آخر:

في قِبَـــابٍ حَـــوْلَ دسْـــكَرَةٍ حَوْلها الزّيتـون قـد يَنَعَـــا[1]

---

(1) قيل: البيت للأحوص أو يزيد بن معاوية أو عبد الرحمان بن حسّان.

ويقول غيره:

لقد أمَرَتْنِي أمُّ أوْفَى سفاهةً ... لأهْجُر هَجْرًا حينَ أرْطَبَ يانِعُه[1]

وقال عمرو بن معد يكَرِب:

كأنَّ على عوارِضِهِنَّ رَاحًا ... يُفَضُّ عليه رُمّان ينيعُ

(1) سكّن: (هجرا) وكان عليه أن يقول هَجَرًا وذلك للضرورة.

خاتمة

إنّ الغريب الذي اختصّ به القرآن الكريم، وتميّزت به لغته عن سائر لغات العالم، كما تومئ إلى ذلك اللّمحة التي بثّت في هذا الكتاب، ليعتبر ظاهرة فريدة مثّلت تحدّيا كبيرا، وإعجازا بيّنا، وخروجا عن المألوف.. نضحت به الصّورة الخارجيّة والصّورة الدّاخليّة للّفظة، فأحدثت كلتاهما صدًى رهيبا يتّسع لعديد المعاني.

وقد فجّر ذلك نبعا دلاليّا في آنه (عند نزول القرآن) وفي الزّمن التّالي، شمل المنطوق والمضمّن فكان زاخرا عظيم الفائدة.

وكما أشرنا من قبل فليس غريب القرآن كغريب الشّاعر الذي يلجّ في الشّيء ويبالغ فيه حتّى يشوبه الغموض والشّارد النّافر، وقليل التّداول الذي يبدو كأنّما يجيء من نسب بعيد، فيطبع القول بطابع الاستعصاء والجمود، ويتيح لنا القول بأنّ الشّاعر أو النّاثر قد أغرب.

والذين يفقهون العربيّة ويفهمونها فهما جيّدا، ويدركون أسرارها سواء كانوا عربا أو أجانب، لو نظروا في غريب القرآن منتصرين للحقّ، مؤزّرين بقوّة العقل والعلم لأذعنوا له وما كانوا يجمحون، على الرّغم من نشأة بعضهم في بيئة عدوانيّة ترمي بشررها، وتسعى إلى الهدم والتّدمير ضرارا وباطلا، كنتيجة لحركة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي الذي استطاع توجيه الثقافة حسب ميوله السّياسيّة كهدف من أهدافه الكبيرة.. ولدواعٍ أخرى كالشّعوبيّة والدّسائس الدّينيّة...

ولا شكّ أنّ موضوع الغريب شائك جدّا..ولو آن لأحدهم أن يقف على دقائقه، ورموزه، ومحامله، وإشاراته، وإيحاءاته..وعلى الوضع الشّخصي لكلّ مفردة وما تجيش به من معان وصور، لألّف فيه المجلّدات.

ولعلّنا من هنا ندرك صدق كلمة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه:

" لا يقرئ القرآن إلاّ عالم باللّغة "

فما بالك بهذا الغريب العجيب.

كما ندرك أيضا، أنّ ما أوقع الذين ركبوا متن الشّطط والغلوّ في خطيئة الشّجب والتّطاول إلاّ عدم إتقانهم اللّغة العربيّة، أو لغاية خبيثة في النّفس. ذلك أنّ القرآن والسّنّة النّبويّة مرتهن فهمهما الصّحيح بالتّعمّق اللّغوي، وهو مصداق ما جاء في المزهر للإمام السّيوطي: "ولا سبيل إلى فهم معانيهما إلاّ بالتّبحّر في علم هذه اللّغة".

إيمانا منه بأنّهما – علاوة على تميّزهما – يطابقان لغة العرب العرباء الخلّص، والأعراب البلغاء، وليس مطلق اللّغة الواردة في القواميس، والتي قد لا تطابق الدّاعي إلى التّكلّم على الوجه المخصوص من فصاحة الكلام الذي لا تعتريه هجنة تفسده.

وللتّدليل على ذلك يمكن أن نضرب مثلا بسيطا قد يكشف عن بعض الجوانب التي نريد، فنقول: إنّنا لو أخذنا لفظة " طحاها " ونظرنا إليها من موقعها في الآية وحالها فيها:

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [1] وتدّبرناها مادّة واويّة يائيّة،

فأيّ لبوس يناسب مقامها لغويّا؟

---

(1) سورة الشمس: الآية 6 – و (ما) في الآية مصدريّة (وَ طَحْوِهَا)

وما هي الأبعاد التي تكتنفها ؟

إنها: طحا يطْحو – أي بسط، وانبسط، واضطجع – والطّحو: التّسطيح والبسط.

وهي: طحا يطحو – أي بعُد وهلك.

علما بأنّ طحو الأرض: بسطها وتوطئتها للسّير والجلوس والاضطجاع.

وفي اللّغة نقول: مظلّة مطحيّة ومطحوّة – أي عظيمة... [1]

على أنّنا قد نفسّر اللّفظة بمعنى: دَحَاهَا، حسب قول مجاهد.

أو: خلق فيها حسبما رُوِيَ عن ابن عبّاس.

أو: بسطها كما ذهب إلى ذلك أكثر المفسّرين.

ثمّ هل يكون الطّحو هو البسط والتّمهيد للحياة باعتبار ذلك خصيصة جعلها الله للأرض ليحيا على سطحها الإنسان والحيوان والنبات...بما يسمح ويهيّء لهذا الوجود الذي لا يتمّ إلاّ بنشأة الحياة..ونشأة الحياة لا تكون إلا بيد قادر مدبّر حكيم، يوجب على الإنسان تدبّر صنعه وحكمته؟

---

(1) "والطّحو والدّحو بمعنى، يقال طحا بك همّك يطحو طحوا إذا انبسط بك إلى مذهب بعيد. قال علقمة: "طحا بك قلب في الحسان طروب" يقال طحا القوم بعضهم بعضا عن الشيء إذا دفعوا دفعا شديد الانبساط. والطّواحي النّسور تنبسط حول القتلى وأصل الطحو البسط الواسع".

مجمع البيان في تفسير القرآن – ج 30 ص 124.

للشيخ أبي الفضل بن الحسن الطبرسي من علماء القرآن 6 هـ.

أو هل نفسّرها بمرادفها (دَحَاهـا): ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾[1]

ودحاها، من: د ح و – يدحوها، ومصدرها (دحْواً) ودحْو الأرض تمهيدها وبسط قشرتها. والدّحْو: البسط – (دحوْت أدحُو دحْوًا).

ومن يدْحاها، ومصدرها (دحْيا). أي بسطها – (دحيْت أدْحي دحْيا).

وهل نعتمد الدّحْو والدَّحْي أو نقتصر على الدّحي كما فعل الجوْهري مجاراة للمفسّرين قاصدًا المدّ والتّسوية. فالأرض خلقها الله مدحوّة مبسوطة مسوّاة لكي تصبح صالحة للحياة والعيش والاستقرار..

ما الذي – تُرى – يطابق مقتضى الحال عند اللّغويّين والمفسّرين حيث لكل رؤيته وتعليله؟

علما بأنّ أهل الذّكر قالوا إنّ الأرض قبل دحْوِها واستقرار قشرتها قد مضى عليها مئات ملايين السّنين وهي تدور، واللّيل والنهار يتعاقبان عليها، ثمّ:

---

[1] النازعات: الآية: 30

قال أميّة بن أبي الصلت:

دارٌ دحاها ثـمّ أعمـر بابهـا وأقـام بـالأخرى الـتي هـي أمجـد

وقال أوس:

ينفي الحصى عن جديد الأرض مبترك كأنـه فـاحص أو لاعـب داح

بعد ذلك دحاها. أي دحا الأرض بعد السّماء وإن كانت الأرض خلقت قبل السّماء.

وهكذا غير ذلك من الغريب مثل: أجاج (مرّ)، وإدّ (العوج والقول العظيم)، وأولي الإربة (الأحمق، لا حاجة له في النّساء. أو من ليس له أرب، أو لا يهمّه إلا بطنه...)، وتتْبيب (تدمير)، والرّميم (نبات الأرض إذا ديس ويبس)، ويُسْجرون (توقد بهم النّار)، والظُلّة (إظلال العذاب إيّاهم)، وغسلين (فِعْلين – الشّيء الذي يخرج من شيء غسلته)، وهضيم (يتفتّت بالمسّ) الخ.. كلّ ذلك وغيره هو الغريب الذي حارت فيه الأفهام منذ الزّمن الأوّل، وفيه ثراء لا حدّ له، لغة وتشبيها ورمزا وتمثيلا...

ومن ثمّ وللحاجة، وقع الاحتجاج على غريب القرآن وما أشكل منه بالشّعر لأنّ الشّعر عربيّ مادّة وروحا. ولأنّ القرآن نزل بلسان عربيّ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] وأيضا ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾[2].

أي أنزل بلغة عربيّة. وإذن فلا غرو أن نتبيّن الحرف الغريب من القرآن بالشّعر، وأن نستشهد كذلك بالشّعر على تفسير القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، والذي يثير على مرّ العصور قضايا فكريّة وروحيّة...قضايا ذاتيّة وموضوعيّة، دنيويّة وأخرويّة، وإنسانيّة ومنهجيّة، ذات شموليّة تتعلّق بالمخلوق في الأرض والخالق في عُلاه.

لذلك نرى أنّ هذا الغريب بما احتواه من دلالات تصعب السّيطرة عليها أحيانا حتّى نجم الاختلاف حولها، إنّما يقدّم لنا مثلا رائعا

---

(1) يوسف: الآية 2.
(2) الأحقاف: الآية 12.

لتطوير اللّغة والفكر والبحث سواء اتّفقت المفاهيم والاتّجاهات أو تباينت وسواء واكبت الشّرح اللّغوي المعهود أو صدّته وتجاوزته..ففي كلّ ذلك شحذ للذّهن، وتمكين العقل من التّحليل والبرهنة والاستكشاف وفكّ الأغلال ودعوة لعلمائنا في كلّ زمان إلى الرّؤية المتجدّدة، الكاشفة لما يكون قد ظلّ معمّى، إزاحة للظّنون العرجاء.. وصولا إلى الإيمان بجدوى ما بين أيدينا، مغمورين باليقين، منقادين إلى الفهم السّليم والتّبصّر.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

لكنّ المؤسف في الأمر هو أنّنا لا نزال نلمس إعراضا وصدّا عن هذا الغريب القرآني العظيم، والتّهكّم منه أحيانا ومن القرآن كتابا سماويّا، ملهما، مبهتا فنحزن لذلك لولا أنّ هناك ما يعزّينا من أقوال العقلاء، فنُسرّ ونحن نستمع إليهم على ما هنالك من مآخذ، مثل قولهم: "فقد كانت السّور المكّيّة مقتضبة قصيرة، ماضية قاطعة، ذات إيقاع ووزن، وغنيّة بالصّور والرّمز والتّوكيد..."[2].

وإنّه لمن الغبطة أن تعلو أصوات الحقّ فإذا نحن غير عابئين بما يلقى القرآن الكريم من أعدائنا في زماننا الحاضر، من تشويه وتشنيع صادرين من بعض الغربيّين والمستعربين فقد اعتدنا على هذه الهجمة الظّالمة منذ العصور الرّواحل وعلمنا أنّ الله متمّ نوره ولو كره اللاّغون.

ومهما كانت الحال فإنّنا شاكرون أعلام الشّخصيّات الذين أبدوا أسفهم لهذه المواقف العفنة التي أملتها السّياسة والأحقاد والعنصريّة

---

(1) النّحل: الآية 78.

(2) صانعو التاريخ العربي – ص 29 – د/ فيليب حتّي.

والجهل... سلاحا محطوما في وجه اللّسان العربي للحدّ من إشعاعه حسب اعتقادهم الخرث... وساهم مسيحيون وملاحدة ويهود وطائفة من المستشرقين وأدعياء العروبة والإسلام ضمن حملة مشبوهة تحاول ظاهريّا انتهاج المنهج العقلي والجدلي والمنطقي والتّحقيق العلمي...للتّأثير على الأمّة حاشدين وسائل غاية في الخطورة.

وقد تفطّن من قبل لهذه الرّداءة كتّاب وعلماء أمثال الدكتور فيليب حتّي الذي حدثنا قائلاً: طوال هذه الفترة الطويلة من الصراع بين الإسلام والمسيحية كانت الصّورة انطبعت في نفوس الغربيّين عن النّبي العربي وعن القرآن الكريم، صورة بعيدة عن الإنصاف والحقّ. ومن المؤسف أن يكون بعض الأدباء الغربيّين في القرون الماضية قد أسرفوا في فاحش القول أمثال دانتي وفولتير، حتّى أنّ الكاتب كارليل الذي اختار أن يكون محمّد أحد أبطاله لم ينصف القرآن الكريم، وقال فيه قول سوء[1].

وفي أيّ حال فلا يسعنا إلاّ أن نستثني المنصفين من المستشرقين العقلاء أصحاب الدّراسات الواعية التي علّمت العديد من العرب وجوب الإخلاص لدينهم وعلّمت الملاحدة والغربيّين المتعصّبين نبذ الأباطيل والافتراء والكذب ومحو السّواد العقائدي من قلوبهم.

ونذكر من هؤلاء الأعلام[2]:

* الدكتورة لورا قاجليري المستشرقة الإيطالية المتخصّصة في العربيّة وآدابها. ومن مؤلّفاتها كتابها الممتع الجميل الذي شاقنا رغم

---

(1) صانعو التاريخ العربي – ص 32.

(2) لمزيد التعرّف إلى هؤلاء انظر مثلا كتاب (نبوّة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر) للدكتور لخضر شايب – ص 201 وما بعدها.

اختصاره "تفسير الإسلام" ترجمة أحمد أمين عزّ العرب وتقديم ظفر الله خان وأيضا: الإسلام – ودفاع عن الإسلام.

* المستشرق السويسري (روجيه دو باسكويه) صاحب كتاب "إظهار الإسلام".
* الدكتور موريس بوكاي، المستشرق الفرنسي الذي اعتمد على منهج مقارنة الأديان. وقد وجدت في كتابه "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم" ترجمة الشيخ حسن خالد، دعوة إلى الحقّ صريحة وتحقيقا علميّا عزيزا. ومن المعلوم أنّ بوكاي تميّز بوفائه للبحث الجادّ.
* إيفا مايروفيتش – (ت: سنة 1999م) فرنسية الجنسيّة وصاحبة كتاب: انطولوجيا الصّوفيّة – Anthologie du soufisme - Eva Meyerovitch

فمثل هؤلاء تصدّوا للأكاذيب التي تشوّه صورة القرآن والمسلمين في أذهان المسيحيّين وضعفاء الفكر والعقيدة من المنتسبين إلى العرب، وأشاعوا جوّا من الاطمئنان بين المتردّدين وعبّروا عن حرّية الفكر ونزاهته، مثل ما فعل المستشرق اللاّمع الذي وقف حياته على دراسة التّراث الإسلامي: هملتون جب[1] الذي جاء في كتابه (دراسات في حضارة الإسلام) في معرض حديثه عن محمد عليه السّلام وعن القرآن[2]:

---

(1) كان عضوا في مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، وعضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق وفي المجمع العلمي العراقي.

(2) دراسات في حضارة الإسلام – Studies on the civilization of Islam by Hamilton A.R. Gibb

"إنّ مبدأ الإعجاز يعتمد على خصائصه الفنّية والجماليّة بقدر ما يعتمد على محتواه الغزير"[1].

"وليس غريبا أن لا يجد المسلم في أيّ كتاب مقدّس آخر شيئا من هذه الصّفة الشّعريّة الشّعوريّة، وهذه القوّة على تأييد ملكة الرّؤى الحدسيّة وتقويتها، والطّفرة الصّاعدة للعقل والرّوح كي يقفا من خلال تجربة محسوسة على الواقع الكامن وراء الظّواهر الزّائلة في عالم المادّة، غير أنّ هذا ليس هو كلّ شيء هنالك، إذ تقف شخصيّة محمد نفسه مرتبطة ارتباطا لا انفصام له بالقرآن بروابط من المشاعر الحارّة التي يسيغها الحبّ الإنساني، مكمّلة للقدرة العقليّة في تعاليمه وللجواذب الشعوريّة في لغته"[2].

لأجل هذا نعود فنقول إنّ القرآن قد احتوى على الغريب الذي حدّدنا معالمه إجمالا فيما سبق، وأنّ على الدّارسين تقصّيه على ضوء علوم العصر للوصول إلى استكناه روائعه التي لم يسبقه إليها كتاب مقدّس قبله، باعتباره قد شكّل عنصرا من أهمّ عناصر البحث التي شدّت اللّغويّين والمفسّرين، وما كادوا يحيطون به.. وميّزت الأسلوب القرآني بدقّة غير معهودة أثّرت في النّفوس تأثيرا بالغا وأدخلته في دائرة الإعجاز المؤيّد بخصائصه الفنّيّة والجماليّة، وبلسانه القويم.

لذلك "نصّ فيليب حتّي على ارتفاع أسلوب القرآن إلى قمّة البلاغة حين قال: "والقرآن كتاب حيّ فعّال له تأثير بليغ في النّفوس، وخصوصا إذا تُلِيَ مرتّلا بلغته الأصليّة. وبعض تأثيره في النّفس راجع

---

(1) دراسات في حضارة الإسلام – ص 256 -

(2) دراسات في حضارة الإسلام – ص 257 -

إلى ما هو عليه من حسن السّبك، وعذوبة السّجع، والبلاغـة، وموسـيقى الألفاظ، والأناقة.

ومن العسير أو المستحيل أن يستطيع مترجم نقل هـذه المميّـزات في أسلوب إنشائي رائع إلى لغة أجنبيّة[1].

وهو الأمر الذي نصّ عليه عدد كبير من المستـشرقين مثـل جـاك بيرك[2]، ودومينيـك وجـانين سـوديل[3]، وجـاك ريـسلر[4]، وغاسـطون زنانير[5][6].

وأخيرا:

سلام على العرب وغير العـرب الـذين بـذلوا ويبـذلون جهـودا مضنية في سبيل القرآن العظيم واللّغة العربيّة المجيدة. وما التوفيـق إلاّ مـن الله.

---

(1) العرب (تاريخ موجز) ص 51.

(2) انظر: les arabes – P :24

(3) انظر: La civilisation de l'Islam classique P :125

(4) انظر: الحضارة العربية – ص 30 –

(5) انظر: l'Eglise et l'Islam P :21

(6) نبوّة محمد – ص 547 – د/ لخضر شايب.



المصادر والمراجع

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي
تحت راية القرآن : مصطفى صادق الرافعي
أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني
إعجاز القرآن: الباقلاني
الروائع (الشعر الجاهلي): فؤاد أفرم البستاني
التّراث والمعاصرة: د/ أكرم ضياء العمري
غواية التراث: د/ جابر عصفور
العصر الجاهلي: د/ شوقي ضيف
المفصّل في تاريخ العرب: د/ جواد علي
من تاريخ الأدب العربي: د/ طه حسين
معلّقات العرب: د/ بدوي طبانة
صانعو التاريخ العربي: د/ فيليب حتّى
شخصيات قلقة في الإسلام:د/ عبد الرحمان بدوي
مذاهب الإسلاميين: د/ عبد الرحمان بدوي
الإعجاز الفكري في الإسلام: د/ السيّد الجميلي
في فلسفة الحضارة الإسلامية: د/ عفت الشرقاوي
الزمان الوجودي: د/ عبد الرحمان بدوي
دراسات في حضارة الإسلام: هملتون جب
الأمالي: أبو علي القالي

الكامل في الأدب: المبرّد
العمدة: ابن رشيق
معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربيّة
الوسيط: مجمع اللغة العربية
لسان العرب: ابن منظور
القاموس المحيط: الفيروز آبادي
الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي
في ظلال القرآن: سيّد قطب
مجمع البيان: أبو علي الفضل الطبرسي
التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور
تفسير ابن كثير: ابن كثير
دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي
تدريب الراوي: السيوطي
منبر الإسلام عدد 9-11/ 1975
المورد ج.7 عدد 8/ 1978: د/ أحمد ناصيف الجنابي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

Ghareeb AL-Quran Wa AL-Shere AL-Gaheli

غريب القرآن

والشعر الجاهلي

الأستاذ

محمد سعيد القطاري

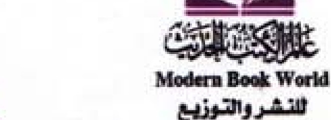
إنّ الغريب الذي اختصّ به القرآن الكريم، وتميّزت به لغته عن سائر لغات العالم، كما تومئ إلى ذلك اللّمحة التي بثّت في هذا الكتاب، ليعتبر ظاهرة فريدة مثّلت تحدّيا كبيرا، وإعجازا بيّنا، وخروجا عن المألوف.. نضحت به الصّورة الخارجيّة والصّورة الدّاخليّة للّفظة، فأحدثت كلتاهما صدّى رهيبا يتّسع لعديد المعاني.

وقد فجّر ذلك نبعا دلاليّا في آنه (عند نزول القرآن) وفي الزّمن التّالي، شمل المنطوق والمضمّن فكان زاخرا عظيم الفائدة.

وكما أشرنا من قبل فليس غريب القرآن كغريب الشّاعر الذي يلجّ في الشّيء ويبالغ فيه حتّى يشوبه الغموض والشّارد النّافر وقليل التّداول الذي يبدو كأنّما يجيء من نسب بعيد، فيطبع القول بطابع الاستعصاء والجمود، ويتبخ لنا القول بأنّ الشّاعر أو النّاثر قد أغرب.

والذين يفقهون العربيّة ويفهمونها فهما جيّدا، ويدركون أسرارها سواء كانوا عربا أو أجانب، لو نظروا في غريب القرآن منتصرين للحقّ، مؤزّرين بقوّة العقل والعلم لأذعنوا له وما كانوا يجمحون، على الرّغم من نشأة بعضهم في بيئة عدوانيّة ترمي بشررها، وتسعى إلى الهدم والتّدمير ضرارا وباطلا، كنتيجة لحركة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي الذي استطاع توجيه الثّقافة حسب ميوله السّياسيّة كهدف من أهدافه الكبيرة.. ولدواعٍ أخرى كالشّعوبيّة والدّسائس الدّينيّة...

ولا شكّ أنّ موضوع الغريب شائك جدّا..ولو آن لأحدهم أن يقف على دقائقه، ورموزه، ومحامله، وإشاراته، وإيحاءاته..وعلى الوضع الشّخصي لكلّ مفردة وما تجيش به من معان وصور، لألّف فيه المجلّدات.



Modern Book World
للنشر والتوزيع
إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفون: ٠٠٩٦٢ ٢ ٧٢٧٢٧٢٢٢ - خلوي: ٠٧٩/ ٥٣٦٤٣٦٣
فاكس: ٠٠٩٦٢ ٢ ٧٢٦٩٩٠٩ - صندوق البريد: (٣٤٦٩)
الرمزي البريدي: (٢١١١٠)
البريد الإلكتروني: almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com
almalktob@gmail.com
www.almalkotob.com

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع
الأردن - العبدلي مقابل عمارة جوهرة القدس


9789957703615

